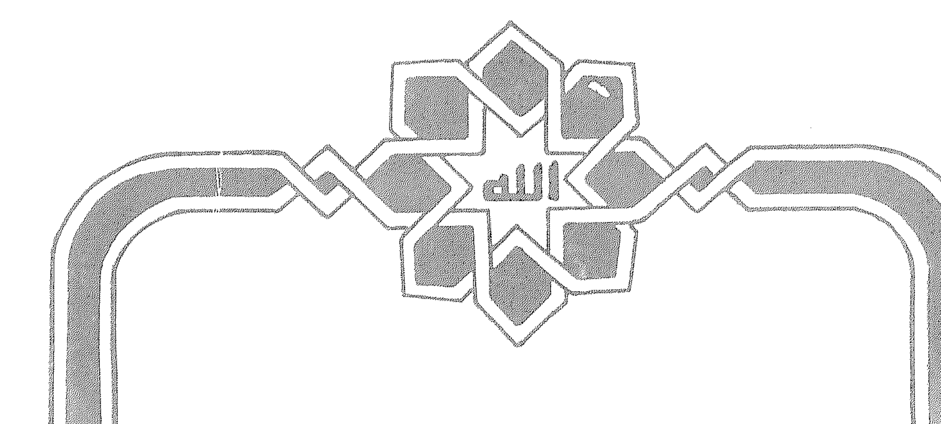


"ولذكر الله أكبر"

دراسة فى بعض أبعاد الذكر والفكر فى الكتاب والسنة

أ . د . محسن إبراهيم عبد المجيد اللبان

د . محسن إبراهيم عبد المجيد اللبان

" ولذكر الله أكبر "

دراسة فى بعض ابعاد الذكر والفكر فى الكتاب والسنة

يطلب من الناشر **لواء الحمد** للإعلام والنشر - ١٣ ش بورسعيد الشاطبى
الإسكندرية - ت /٥٩٦٤٤٠٣ جمهورية مصر العربية

اهداءات ٢٠٠١
أ.د أحمد أبو زيد
أنثروبولوجى

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد
خاتم النبيين و آله وصحبه وسلم

"يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اذْكُرُواْ اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً "

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ "

فهرست المحتويات

صفحة

الفصل الرابع : من آفاق الآيات فى الذكر

الباب الثانى
صور التنفيذ الفعلية

الفصل الخامس : آداب الذكر وأوقاته

الفصل السادس : قضايا فى الذكر

تنويه هام

كل آية ، أو حديث نبوى شريف أو قول عالم ، ورد ذكره في هذا الكتيب ، أعطيناه رقماً مسلسلاً مستمراً من أول الكتاب إلى آخره . وذكرنا بهامش الصفحة نفسها ، مكانه الدقيق فى أمهات الكتب والمراجع وإسم الناشر ، وتاريخ الطبعة ورقمها ، وتاريخ صدورها إن وجد .

وزيادة فى البيان ، وفتحا لأبواب البحث أمام القارئ ، أعطينا كل مرجع رقماً مسلسلاً بقائمة المراجع آخر هذا الكتيب ، نذكره دائماً فى هامش الصفحات ، إختصارا للتطويل ، وإزالة لأى التباس ..

فنرجو مراجعة قائمة المراجع قبل البدء فى القراءة .

تمهيد

لا إله إلا الله الملك الحق المبين ...
محمد رسول الله النبى الصادق المبين ...
اللهم اجعل عملى هذا فى سبيلك وحدك ...
لا مقصد له إلا الحق ...

وأنت... تباركت وتعاليت ...الله الحق ...
وتقذف بالحق ... علام الغيوب ...

والحمدلله رب العالمين
أولاًوآخراً،وظاهراًوباطناً

(١) نبدأ بما بدأ به الله : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، الهادى المعين الحكيم العليم ، له الملك وله الحمد، وله الحكم فى الأولى والآخرة ... لا إله إلا هو الحى القيوم .

وأسأله ـ تعالى ـ أن يصلى ويسلم على خير أمة المتقين ، وسيد الهداة المهتدين وقائد الدعاة المجتبين ، وحبيب رب العالمين ، وإمام الأعزة المعتزين : سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، النبى الأمى العربى القرشى الهاشمى، النور المبين الهادى إلى صراط الله المستقيم ... وعلى آله وأصحابه وأتباعه ، وسلم تسليما كثيراً فى كل وقت وحين .

(٢) هذا الكتيب سطرناه بناء على الطلب . إذ سألنى عدد كبير من تلاميذى وإخوانى خلال السنوات الأخيرة ، أن أكتب مذكرة فى حقيقة معنى ذكر الله وعلاقته بمفهوم الدين العام .

وشرح الله صدرى لذلك فى الآونة الأخيرة . ولكنى لم أقدم على الكتابة حتى عرفت فى عامنا هذا ـ١٤٠٧هـ رجلا أمريكياً فاضلاً مجاهداً فى سبيل ربه الأعلى ولا نزكى على الله أحداً . ودار بيننا حديث بل أحاديث . حول غياب المفهوم الإيمانى للدين فى العصر الحديث ، وكيف أن ما يسمى بالنهضة الإسلامية المعاصرة (١) ، خصوصا الجانب الحركى منها ، قد انحصر فى إطار

(١) ـ تعبير" النهضة " يوحى بوجود ، الرقدة ، والغفلة . ولا نظن أنه تعبير صحيح يعبر عن حقيقة الأمر الحادث على الساحة الآن . ولكننا إستعملناه مع التحفظ .

ضيق للغاية نتيجة لإعتمادها على مصادر محدودة من الفكر الإسلامى وجوانب محدودة من ظاهر الإسلام . والأخطر من ذلك فى رأينا أن نفهم الدين على أنه مجموعة من الأعمال ، ونغفل عن أهم حقائقه : ألا وهى علاقة المرء بربه ، مع كون هذه العلاقة هى المحدد الرئيسى لمستوى الإدراك والشخصية والسلوك .

(٣) فأعمال الإنسان السلوكيه الظاهرة ـ وهى بلا شك تعبر عن شخصيته ـ تتفاوت فى الدرجة والنوع .
ولا جدال فى أن نوعية الهدف المقصود ومدى الإنتزام به ، ودرجه الإخلاص والصدق فيه ، ومستوى الأداء والتنفيذ وحكمته ، كلها أمور لا تتحقق بمجرد توافر النية الظاهرة للقيام بالعمل الصالح . وإنما هى مرتبطة بحقيقة العبودية فى قلب المؤمن ، وبأبعاد الإيمان ومداركه فى التكوين الكلى للفرد . ولاخلاف فى أنها تعبير عن هذه الحقيقة الإيمانية .

وما يظهر من إختلال السلوك وغياب التوازن فى الشخصية الإسلامية المعاصرة أنما هو ناشىء ـ فى المقام الأول ـ عن إختلال فى التركيبة الكلية لعناصر الإيمان ، ومفهوم " دين الإسلام " لدى الشخص نفسه إذ من الواضح غياب الشمولية والتوازن عن أذهان معظم الدعاة والتابعين على السواء .

(٤) وفى خضم الحديث مع المهندس الأمريكى/ عبد الله نور الدين دوركى مدير ومؤسس دار الإسلام بولايه نيو مكسيكو بالولايات المتحدة ، تطرق الحديث إلى لب الأمر وهو " الوعى " بالله تعالى فى إدراك العبد : حاضراً موجوداً ، سميعاً بصيرا رقيباً ـ وهو معكم أينما كنتم ـ ووسائل التحقق بهذا الوعى من ذكر وفكر ، وهذا يحدد ـ بلا نزاع ـ السلوك الإنسانى ويحده ، ويفتح آفاقه أيضاً .

وبالطبع تطرق الحديث إلى مفهوم كلمة " ذكر الله " وموقعها فى القرآن والسنة . وإلى علاقة ذكر الله المقصود ، بالأذكار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمأمور بها كتاباً وسنة .

وقد ذكرت فى حديثى معه أن لكلمة " ذكر " فى آيات القرآن أكثر من أربعة عشر معنى {٢} . وأن الذكر والفكر والعقل والشكر والصبر ، وعدد عظيم من المبادئ والأساسيات الدينية إنما هى أوجه مختلفة لحقيقة مركزية واحدة ، وأنها كلها عناصر مترابطة فى وعى المؤمن وسلوكه .

(٥) ونشأ عن حديثنا هذا ، إصرار من جانبه على أن أكتب فى هذا الموضوع ـ مع التبسيط والإختصار ـ باللغة الإنجليزية التى أجيدها . ولكننى رأيت أن أكتب بالعربية ثم تترجم المادة بعد ذلك .
ومن ثم أمليت خلال شهر رمضان المبارك سنه ١٤٠٧ هـ ـ مادة الكتاب ، وراجع الأبناء الأستاذ (الحسن) صبرى محمد عارف ، وجلال الدين عبد العزيز ، تخريج الأحاديث والأقوال المنسوبة لعلماء الإسلام وقامت السيدة الفاضلة / حنان عبد الحميد رمضان بالكتابة على الآلة الكاتبة .

وأحمد الله تعالى أن تم ذلك كله عند آخر يوم من شهر رمضان المبارك : سيد شهور السنة .
وأسأله تعالى أن يجعل هذا كتاباً مباركاً كالشهر الذى كتب فيه .

(٦) وقد قسمت الحديث إلى بابين رئيسيين :

الباب الأول : فى الأساس النظرى

وفيه أبين فى **الفصل الأول** أن الذكر عنصر وخاصية أساسية فى شتى العبادات الإسلامية .
ونثبت فى **الفصل الثانى** أن الذكر جماع العبادات ، كما يتبين من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوال أئمة أهل السنة والجماعة .
ويكون منطقياً بعد ذلك أن نفرد **الفصل الثالث** لمناقشة مركزية الذكر والفكرفى الدين كله .

ونختتم الباب الأول بالفصل **الرابع** الذى نشير فيه إلى أبعاد بالغة الأهمية فى فهم الأفق الإسلامى للذكر فى العالمين المادى والمعنوى .

{٢} ـ انظر بند رقم / ٥٣ من هذا الكتيب .

الباب الثانى : فيما يتعلق بكيفيات الذكر وأصول الذاكرين .

وفى الفصل الأول من الباب وهو **الفصل الخامس** من الكتاب نعرض ما اتفق عليه علماء الأمة فى آداب ذكر الله تعالى ، من حيث المكان والزمان وحال الذاكر .

وفى **الفصل السادس** نناقش بعض المقولات والمواضيع التى يثور حولها نقاش كبير فى هذه الأيام ونثبت فيها بالدليل الشرعى المؤكد موقف أهل السنة والجماعة ليتبين للناس إنحرافات غيرهم ، ويتمحص الحق من الباطل .
ومن هذه المواضيع مايتعلق بجواز الذكر فى المساجد ، وجواز الذكر الجماعى ، وهل يجهر به ، واستعمال المسبحة ، والتمايل الذى شوهد على بعض الذاكرين .

ثم نختم الباب الثانى والكتاب كله **بالفصل السابع** الذى نعرض فيه عينة من الأوامر والتوجيهات القرآنية والنبوية عن الأفكار الرئيسية للمسلم.

محسن بن إبراهيم بن عبد المجيد بن اللبان

رمل الإسكندرية

شوال ١٤٠٧ هـ

الباب الأول
بعض المفاهيم الأساسية

الفصـــل الأول
الذكر فى مبانى الإسلام

- الذكر فى مبانى الصلاة
- الذكر فى مبانى الزكاة
- الذكر فى مبانى الصيام
- الذكر فى مبانى الحج
- الذكر فى مبانى الشهادتين
- خلاصة القول فى هذا الفصل

(٨) من الأخطاء الشائعة عند عامة مسلمى هذا العصر ، الظن بأن الإسلام ليس إلاخمسة أركان : الشهادتين ، والصلاة ، والزكاة ، والحج والصيام .

نعم ، صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

{ بُنِيَ الإسلامُ عَلَى خمس : شَهَادَةُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّداً رسولُ اللَّه ، وإِقَامِ الصَّلاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، والحج ، وَصَوم رَمَضَانَ } [٣]

ولكن هذا لا يعنى أن الإسلام هو هذه الخمسة .

فإنه صلى الله عليه وسلم ، إنما قال : " **بنى الإسلام على خمس** " ولم يقل هذه الخمسة هى تمام الإسلام وكماله . فالإسلام **مبنى على هذه القواعد الخمسة** ، وليست هذه القواعد الخمسة هى كل الإسلام .

(٩) وكلمة الإسلام يُعرف لها معنيان على الأقل :

الأول : وهو المعنى الواسع :

الإستسلام والطاعة والإنقياد ، وتشير إلى مضمون الدين كله .

قال تعالى : { **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ** ـ٣/ آل عمران ١٩ }

وقال تعالى : { **وَمَن يَبتَغِ غَيرَ الإِسلاَمِ دينا فَلَن يُقبَلَ منهُ وَهُو فِى الأخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ** ـ ٣/ آل عمران ٨٥ }

وفى هذا المعنى يكون الإسلام أكبر بكثير من مفهوم الأركان الخمسة التى قد تمثل البداية أو الحد الأدنى .

---

[٣] ـ حديث صحيح أخرجه البخارى واللفظ له ، ومسلم والترمذى والنسائى وأحمد بن حنبل عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما .

أنظر : فتح البارى ، المرجع / ١١ ، جزء ١ ، ص ٤٩

أنظر : إبن حسام الدين الهندى ، كنز العمال ، المرجع / ٢٨ ، جزء/١ ، ص٢٧ ، حديث / ٢١ وقارنه بالأحاديث / ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .

أنظر : الجامع الصغير ، الإمام السيوطى ، المرجع/٢٤، جزء/١، ص ١٢٦

الثانى : وهو المعنى الضيق :

يشير إلى الإلتزام بأداء الأفعال المأمور بها ، وفى مقدمتها هذه القواعد الخمس ، والإلتزام بالإنتهاء عما نهى عنه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

فهذا المعنى الضيق ينصب بالدرجة الأولى على جانب الأعمال بجوارح الجسد أو باللسان كما فى الشهادتين .وهو الذى يقصد عادةً إذا كان الحديث متعلقا بدرجات ونطاق الإسلام والإيمان والإحسان .

(١ .) وفى كلا المعنيين يلعب الذكر دورا مركزياً ودائماً ، حتى وكأنه جزءٌ لا يتجزأ من أعمال الإسلام بالمعنى الضيق ، كما أنه قاسم مشترك فى عامة مبانى الإسلام بالمعنى الواسع .

بل إن نصوص القرآن والسنة تتظاهر على إعتبار الذكر أفضل العبادات وأنه ينوب عنها وبديل لها فى حالات الضرورة . ومن صحيح السنة ما يدل بلا لبس ولا إبهام على أن الذكر جماع العبادات .

وإذا صح هذا القول ، يكون تغافل المسلم عن معرفة حقيقة الذكر { وأيضاً الفكر لشدة ارتباطهما ببعضهما البعض } وأبعاده الكلية سلوكا ناقصا غير مقبول .

كما أنه لا بد من بيان موقع الذكر فى مبانى الإسلام وأركانه الأساسية كبدايه ضرورية لتقدير حقيقته وأبعاده . ومن ثم فقد خصصنا هذا الفصل الأول لهذا الغرض .

إلاأن الملخص الوافى لموقع الذكر فى المبنى الإسلامى العام المقام على الأركان الخمسة تفصيلا أمر خارج عن نطاق هذا الكتاب . ومن ثم نأخذ ركنا واحدا من الأركان الخمسة : " **ركن الصلاة** " مثالا نبحثه بشىء من البيان، ثم نجمل بقية الأركان فى إختصار . {٤}

{٤} ـ أنظر دراستنا فى أبعاد المقصود بالمبانى الإسلاميه المقامة على الأركان الخمسة والتى تعد للطبع الآن ، بدار **لواء الحمد** .

اولا : الذكر فى مبانى الصلاة

فالصلاة مثلاًتبدأ بالنية ثم التكبير، ثم الإستفتاح ، فالتلاوة ، فالركوع ، فالتحميد، فالسجود ، فالتشهد ، فالتسليم . وهذه كلها مداخل ومجالات في التوحيد والتذكر عموما .

النيــــة

(١١) النية أساس لكل الأفعال والأحوال والأقوال ... وبدونها لا يصح عمل أياً كان .

فكل عمل لم يقصد به وجه الله تعالى ، ولم يفعله فاعله إستجابة لأمر الله به ، أو لأن الله أرشد اليه ، ورغبة فى الله وفى ثوابه ، لا يعد عملاً صالحا مهما كانت درجة خيريته .

قال تعالى :

{ من كان يريدُ العاجلةَ عجّلنا لهُ فيها مانشاءُ لِمَنْ نُريد ثُمَّ جعلنا لهُ جهنَّمَ يصلاها مذموماً مدحوراً ، ومَنْ أراد الآخرةَ وسَعَى لها سعيَهَا وهو مُؤمِنٌ فأولئِكَ كان سعيهُم مشكوراً ـ ١٧/ الإسراء ١٨ ، ١٩ }

{ ولقد أوحِي إليْكَ وإلى الذين من قبلكَ لئن أشْرَكْتَ ليَحْبَطَنَّ عَمَلُك ولتكُونَنَّ من الخاسرين ـ ٣٩ / الزمر ٦٥ }

{ قُل هَل نُنَبِّئُكُم بالأخسَرِينَ أعمَالا... الذينَ ضَلَّ سَعيُهُم فى الحَيَاة الدنيا وهُمْ يَحسَبونَ أنّهم يُحسِنُونَ صنعا ـ ١٨/الكهف ١٠٣ ، ١٠٤ }

وفى الحديث القدسى :

{ إن أول الناس يُقضَى يوم القيامة عليه رجلٌ إستُشهِدَ فأتىَ به فعرّفَهُ نعمَهُ فعرَفَها . قال : فما عملت فيها ... قال : قاتلت فيك حَتى إستشهدت ...قال : كذبت ولكنك قاتلت لأن

يُقَالَ جرئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . ورجلٌ تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمهُ فعرفها . قال : فما عملت فيها ... قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن ... قال : كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار .
ورجل وَسَّعَ الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ... قال : ما تركت سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ... قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جَوَاد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى فى النار) {٥}

والنية أساسا استحضار فى الذهن لمقصود العمل وحقيقته . وهذا هو " التذكر" كما أنه أيضا " توجه " فبدون تذكر المقصود بالعمل أى ذكر الله لا تصح الأعمال من أولها إلى آخرها .
وقد اشترط البعض فى نية الصلاة التلفظ بها بعد استحضار معناها ، ورأى آخرون الإكتفاء باستحضار النية ، أى تذكر المقصود ، ولا يلزم التفوه بها .

(١٢) واتفقت كلمة الأمة من عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى يومنا هذا ، على اعتبار حديث النيات أهم حديث يبنى عليه العمل فى الإسلام .
بل اعتبر العلماء أن إختيار الإمام البخارى رضى الله عنه لهذا الحديث ليصدر به كتابه كله ، دليل على فقهه وعلمه . وفيه يقول صلى الله عليه وسلم :
(إِنَّمَا الأَعمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امرِىءٍ مَا نَوَى ، فَمَن كَانَت هِجرَتُهُ إِلَى دُنيَا يُصِيبُهَا أَو إِلَى امرَأَةٍ يَنكِحُهَا فَهِجرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيهِ) {٦}

{٥} ـ أخرجه الإمام مسلم واللفظ له والترمذى والنسائى عن أبى هريره .
أنظر : الإمام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع / ١٢ ، جزء / ١٣ ، مجلد / ٥ ، ص . ٥ ـ ٥١
{٦} ـ أخرجه الإمام البخارى واللفظ له ومسلم ، متفق عليه .
أنظر : بن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، المرجع / ١١ ، جزء / ١ ، ص ٩ ، حديث / ١
أنظر : الأربعين النووية ، المرجع / ٢١ ، ص ٢٧ ، الحديث الأول .

ولا شك في أن استحضار النية ، هو جمع للهمة وتركيز للذهن بالحضور العقلى أو القلبى مع المذكور سبحانه . وإن لم تكن النية هى البداية الفعلية للصلاة ، فهى ـ على أقل الفروض ـ شرط إقامتها . فبدون ذكر الله وقصده بالعبادة ، وحصر الهمة فى ذلك لا تصح العبادة ، كما هو واضح من حديث النيات .

التكبيـــــر

(١٣) والتكبير هو إنشاء حال بالخروج من الدنيا وما فيها ، وإلقائها خلف العبد ، وهو غير ملتفت إليها بالفكر ولا بالإحساس . فقول العبد " الله أكبر " تعنى ضمن معانى أخرى أنه ـ عز وجل ـ أكبر من كل شئ يمكن أن يرد على البال أو يتصوره المرء .
والعبد الصادق ـ فى هذه اللحظات ـ يفنى عن كل شئ إلا توجهه إلى الله .
فالذى يكبر ربه يتوجه إلى الأعلى والأكبر والأعظم سبحانه وتعالى وحده ولا ينشغل بسواه ممن هو دونه .

وقد عُرفَ عن الإمام الشافعى رضى الله عنه وأرضاه والشافعية عموما عدم استحبابَ النطق بتكبيرة الإحرام للصلاة قبل أن يُتم العبد تركيز ذهنه فيها فيأتى بها بحقها وعلى معناها : وهو أن يكون صادقا فى عدم الإلتفات إلا إلى الله .

(١٤) وهذا بلا شك توجيه وتدريب على إسلام الوجه لله تعالى :

{ وَمَن يُسلم وَجهَهُ إلى اللهِ وَهُوَ مُحسنٌ فَقَد استَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقَى وإلَى اللهِ عَاقِبةُ الأمُورِ ـ ٣١ / لقمان ٢٢ }

{ وَمَن أحسَنُ دِيناً ممَّن أسلَمَ وَجهَهُ للهِ وَهُوَ مُحسن واتَّبَعَ مِلَّةَ إبرَاهِيم حَنِيفاً واتَّخذَ اللهُ إبرَاهِيمَ خَلِيلاً ـ ٤ / النِّساء ١٢٥ }

وسيدنا وأبونا إبراهيم عليه السلام ـ الذى نتبع ملته حنفاء ـ لما إستبان له الحق هتف قائلاً :

{ يَاقَومِ إنِّى بَرِئٌ مِمَّاتُشرِكُونَ إنِّي وَجَّهتُ وَجهِيَ للَّذى فَطَرَ السَّمٰوَاتِ وَالأرضَ حَنِيفاً وَمَاأنَا مِنَ المُشرِكِينَ ـ ٦/الأنعام ٧٨، ٧٩}

فالمشركون هم الذين يتوجهون لغير الله في الكون ، أيا كانت هذه الطواغيت من مال أو سلطان أو أشخاص أو شهوات أو نزعات . والحنيفية هي الميل إلى وجهة واحدة وإلى أمر بعينه ، ميلاً كاملاً تاماً لا انحراف عنه ولا تذبذب فيه .

فلا غرابة إذن فى أن إسلام الوجه إلى الله باب أساسى ومهنى رئيسى فى الدين كله ، بل قد يكون هو الأصل فيه : وهو فى حقيقته ذكر وتذكر وإنتباه .

وهو على أية حال أحد الشقين الرئيسيين فى معنى " **التسليم الكامل لله** " الذى هو أعلى درجات العبودية ، والذى اشتق منه إسم هذا الدين وإسم هذه الأمة . قال تعالى :

{ مِلَّةَ أَبِيكُم إبرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ المُسلِمِينَ مِن قَبلُ ـ٢٢/الحج٧٨ }

{ رَبَّنَا واجعَلنَا مُسلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمةً مُسلِمَةً لَك وأرنا مَنَاسِكَنَا وتُبْ علينا إنَّكَ أنت التوابُ الرحيمُ ـ ٢/ البقرة ١٢٨}

(١٥) فالشق الأول فى التسليم والإسلام لله هو **صدق التوجه إلى الله الحق .**

والشق الثانى هو إحسان العمل لله بطاعة الأمر والنهى الصادر منه بلا تردد ولا تمحك . قال تعالى :

{ إِذ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسلِم قَالَ أَسلَمتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ ـ ٢/ البقرة ١٣١}

فلما أطاعه بعد ذلك فى كل شئ : فى التسليم لقضائه بالحرق بالنار ، وفى ذهابه بإسماعيل وهاجر وتركهما فى الصحراء القاحلة ، وفى إطاعة التوجيه بذبح إبنه ... مدحه الله تعالى بالكمال فقال :

{ وَإبرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى ـ ٥٣ / النجم ٣٧ }

(١٦) ومن حكمة الله البالغة أن تكون بداية الصلاة الفعلية بالتكبير : وهو علامة وبداية وراية لحال العبد المصلى، وفاتحة توجهه وبداية تنفيذ نيته .

فكأنه يقول " الله أكبر من كل شئ قد يشغلنى فى الدنيا وأنا تاركها خلفى ومهاجر إلى ربى أناجيه وأسأله وأستعينه "
فكأنما خرج من الدنيا بالفعل فى رحلة إلى ربه .

والتكبير بلا نزاع ، وهو نطق بكلمات ذكر ، هى مدخل الأمر كله كما أن جماع النية ذكر وتذكر وتجميع همه .

فتوجيه الوجهة الذى نقصده ونتحدث عنه ينبنى ليس على النية وحدها وإنما يتأكد بالتكبير أيضا ــ وهو ذكر وتذكر وإنتباه ــ يؤدى إلى حال قلبى وإدراك شعورى معناه وحقيقته أصل فى الدين كله .
وقد قال الحق ــ تعالى شأنه ــ فى الأمر الصادر لنبيه الكريم ، عليه صلوات الله وسلامه ، ومن بعده أمة الإسلام كلها ...

{ قُل إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحيَاىَ وَمَمَاتِى لله رَبِّ العَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسلِمِينَ ــ ٦/ الأنعام ١٦٢، ١٦٣ }

أدعية الإستفتاح

(١٧) **أدعية الإستفتاح** تتضمن معرفة العبد بنفسه ، ومعرفة العبد بربه . وواضح من الوهلة الأولى أنها ذكر فى ذكر .

ومن هذه الأدعية وأشهرها ، الآيتين السابقتين الموجهتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقولهما المسلم بعد تغيير" **وأنا أول المسلمين**" إلى ما يتناسب مع حاله ... وأنا من المسلمين .
وفى هاتين الآيتين إشارة إلى أن العبد وما يفعله ، حياته ومماته جميعا ، يسلمها جميعا لله وحده . فهى تأكيد لملك الله فيه وعبوديته له .

وجميع الصيغ التى وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم {٧} إنما محورها الإعتراف بالعجز والحاجة وطلب الخير منه سبحانه ، والتسليم له بالعلو والعظمة والوحدانية ، وأن الأمر كله بيده ــ تعالى شأنه .

---

(٧) ــ تأمل مجموعة طيبة من أدعية إستفتاح الصلاة عند إبن تيمية، الكلم الطيب، المرجع/٢٩ ، ص ٢٨ ، ٣٠ .

وهذه هي المعرفة بالنفس ، والمعرفة برب النفوس والأرواح : فمن عرف نفسه فقد عرف ربه : من عرف نفسه بالعجز عرف الله ربه بالقدرة ، ومن عرف نفسه بالفقر عرف الله ربه بالغنى، ومن عرف نفسه بالجهل عرف الله ربه بالعلم .
وعكس ذلك صحيح أيضاً. من عرف الله تعالى فقد عرف نفسه أيضاً . {٨}

وهذه المعرفة وهذا الدعاء علم وإقرار بالعلم بالله وبصفات الله . والعلم به سبحانه والقول بذلك ودعائه ذكر وفكر . فالذكر هنا أيضا موجود لا ينفصم ، والمبنى الإسلامى المقام فى أدعية الإستفتاح هنا يشير إلى "مطلع العبودية إلى معالم الربوبية ".

تلاوة القــــرآن

(١٨) تلاوة كتاب الله بداية بالفاتحة فغيرها من الآيات والسور مدخل ثالث إلى الصلة برب العباد ومبنى آخر مقام على الصلاة ومتضمن فيها .
فليس من علم إلا من كتاب الله ، وليس من إدراك إلا من كتاب الله ، وليس من نور كذلك النور الذى من كتاب الله ، ولا تطهر كذلك الذى يفيض عليك من أنوار الكلام الأزلى من القدوس الواسع الحكيم . وهو مدخل التصديق والمعرفة وهو محل الثواب حيث :

{ مَن قَرَأَ حرفا من كتاب الله فله به حَسَنَةٌ والحَسَنَة بعَشر أمثَالِها، لا أقُولُ آلَم حَرف وَلَكِنَ ألِف حَرف ، وَمِيم حَرف } {٩}

وتلاوة القرآن يترشح منها على القلب { والنفس } آثار وأحوال . فمنه السكينة ومنه الشفاء لما فى الصدور ، ومنه الهدى والرحمة ، ومنه العلم الذى لم تكونوا تعلمون .

{٨} ـ أنظر فى عموم هذا المعنى : إبن قيم الجوزيه ، طريق الهجرتين ، المرجع / ٤٣ ، ص ٦ ، ١٨

{٩} ـ أخرجه البخارى فى التاريخ والترمذى واللفظ له والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنهم .
أنظر : بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع / ٢٨ ، جزء / ١ ، ص ٥١٩ ، حديث ٢٣٢٢
أنظر : المستدرك ، الحاكم ، المرجع / ١٨ ، جزء / ١ ، ص ٥٦٦
أنظر : المباركفورى ، تحفة الأحوذى ، المرجع / ١٣ ، جزء / ٨ ، ص ٢٢٦ ، حديث / ٣٠٧٥

قال الله تعالى :

{ قَدجَاءَتكُم موعِظَةٌ مِّن رَّبِّكمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِى الصُّدُورِ ـ ١٠/يونس٥٧ }

وقال تعالى :

{ وَنُنَزِلُ مِنَ القُرآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلمُؤمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَالِمِينَ إلاَّ خَسَاراً ـ ١٧ الإسراءَ ٨٢ }

وقال تعالى :

{ قُلْ هُوَ لِلذِينَ آمَنُوا هُدَىً وشِفَاءٌ ـ ٤١ / فصلت ٤٤ }

وقال تعالى :

{ كَمَا أَرسلنَا فِيكُم رَسُولاً مِنكُم يَتلُوا عَلَيكُم ءَايَتِنَا وَيُزَكِيكُم وَيُعَلِمُكُمُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَيُعَلِمُكُم مَالَم تَكُونُوا تَعلَمُونَ ـ ٢ / البقرة ١٥١ }

(١٩) والتلاوة ذكر بلا شك : وكتاب الله هو " الذكر الحكيم " الذى حفظه الله تعالى ويحفظه على الدوام .

قال تعالى :

{ إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ـ ١٥ / الحجر ٩ }

وأعلى ذكر اللسان وأفضله ذكره سبحانه بتلاوة كتابه ، أى فى ذكر وتذكر الحقائق المتعلقة به من ألوهية وربوبية ، وكذلك أحكامه وأفعاله التى تضمنتها الآيات .

ويجوز فى ذلك تكرار الآية الواحدة أو المقطع منها عدد من المرات كما ورد عن السلف وعن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

فالمبنى المقام على التلاوة هو مبنى الإتصال بالله والعلم به ، وبما خلق وقدر . وهذا " ذكر الله " فى أحد معانيه وأبعاده .

(٢٠) الركوع علامة التواضع لله عز وجل وبابه . وفيه ذكر الله **بتسبيح العبد** ربه العظيم فوق كل أحد ، والذى يضرب الأمثال وليس كمثله شئ ، العزيز القهار المتعال . قال الله تعالى :

{ التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُون السَّائِحُونَ الرَّاكِعُون السَّاجِدُونَ ـ ٩ / التوبة ١١٢ }

وقال تعالى :

{ وظَنَّ دَاوُدُ أنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاستَغْفَر رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَ أنَابَ ـ ٣٨/ ص ٢٤ }

فهو إنحناء بالإجلال والتعظيم ، ومعرفة من العبد بربه : فالعظيم سبحانه هو الذى يتواضع له وهو الذى يركع إليه العبد طالبا العفو ومقراً بالحاجة والصغار .
فيستغفر الله على ما بدر منه ويعرف له حقه فيما قدر له وعليه : سبحانك ربى العظيم .
فهذه حالة عبودية فيها رجوع وإنابة بالطاعات ومعرفة عظيم قدره سبحانه ـ كما فى قول سيدنا يونس عليه السلام :

{ لاَإِلَهَ إِلاَّأَنتَ سُبحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ـ ٢١/الأنبياء٨٧ }

التحميد عقب الركـوع

(٢١) ومن سنة النبى الخاتم صلى الله عليه وسلم ، التحميد بعد الرفع من الركوع .
فالله تعالى يسمع لمن يحمده ويرضى به وبقضائه وتدبيره وحكمه . وسْمعُ الله القادر الكريم ، وهو صلة منه للعبد وطلبه .
وقد ورد في ذلك أن رجلاً علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم قال :
{ ربَنَا ولَكَ الحَمدُ حمداً كَثِيرا طَيِّبا مُبَاركَا فِيهِ ... فَلَمَّا

انصرَفَ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَن المُتَكَلِّم قالَ: أنا. فقالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : رَأَيتُ بِضعَةً وَثَلاثِينَ مَلَكًا يَبتَدِرُونَها أيُّهُم يَكتُبُها أوَّلُ } (١٠)

وليس يخفى أن قول " سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد " إنما هو ذكر باللسان وبالقلب إن صدق فيه العبد ، ويتوافق مع حال الجسد بالنهوض من الركوع وربط بالركوع وليس بالسجود لأن التشهد أعلى من التحميد .
والحمد يكون على نعمة الله على العبد بأن جعله أو قبله عبداً راكعاً .

السجـــود

(٢٢) ويعلو معنى **السجود** فى مضمونه على معنى الركوع : فالسجود ذلة وتسليم وخشوع وهو من حيث معناه ومن حيث التحقق به علامة العبودية الأولى وسبب القرب الربانى الأعظم . قال تعالى :

{ كَلاَّ لاَ تُطِعهُ وَاسجُد وَاقتَرِب ـ ٩٦ / العلق ١٩ }

وعنه صلى الله عليه وسلم :

{ أقرَبُ مَا يَكونُ العَبدُ مِن رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ ، فَأكثِرُوا الدُّعَاءَ } (١١)

فهنا ذلة الفقر ، وذلة الإضطرار بتمريغ وجه العبد فى التراب .
يقول " **أنا العبد الأدنى فى أسفل الأرض ـ وأنت سبحانك الرب الأعلى "... ففى السجود أحوال ذكر وأقوال ذكر ، وكلها فى لب العبودية وحقيقتها . ومبنى السجود بمعناه فى الخشوع والتسليم مبنى آخر أساسى فى الدين ومقام على الصلاة ، لبه ذكر الله ، بقدرته وعظمته .**

---

(١٠) ـ أخرجه الإمام البخارى واللفظ له . وأخرجه الطبرانى فى الأوسط مع إختلاف فى اللفظ .
أنظر : إبن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، المرجع / ١١ ، جزء /٢ ، ص ٢٨٤، حديث ٧٩٩
أنظر : ابن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع / ٢٨ ، جزء / ٨ ، ص ١٢٥ ، حديث / ٢٢٢١ .
(١١) ـ أخرجه الإمام مسلم واللفظ له وأبو داود ، والنسائى .
أنظر : الإمام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع / ١٢ ، جزء / ٤ ، مجلد / ٢ ، ص ٢٠٠
أنظر : الإمام السيوطى ، الجامع الصغير ، المرجع / ٢٤ ، جزء / ١ ، ص ٥٢

التشهـــــد

(٢٣) والتشهد إقرار وتوكيد لما فى الشهادتين من إعتراف بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

والشهادة الأولى منهما تتعلق بعظمته وجلاله ، وتعاليه وحكمته ولطفه ورحمته ، ووده وكرمه ، وسائر صفاته وأفعاله .
وكل هذا يسبب ذكر العبد لربه فيسبحه ويمجده ، ويرجوه ويطلب منه ، ويتوب إليه ويستغفره ويستهديه .

والشهادة الثانية تستتبع الدعاء للنبى صلى الله عليه وسلم ، بزيادة الفيوضات والعطاءات شكراً وإمتناناً لمهمته التى وكله الله بها فى إيصال الهدى والخير إلى البشرية . ولأن محبته واتباعه شرط فى قبول الأعمال .

وهذا المعنى هو الأصل فى الصلاة والسلام عليه ومن ثم فليس بغريب أن يتبع ذلك الصلاة والسلام عليه وآله كما على سيدنا إبراهيم وفى صلب التشهد .
وهذان على وجه التحديد فى المقصود الأول بالذكر .

---

(٢٤) وفى التشهد أيضاً ، تثبيت للوجهة وإسلام الوجه لله تعالى تماماً كما فى إبتداء الصلاة بتكبيرة الإحرام . وفيه إدراك لشمولية أمة الإسلام ـ حزب الله ـ ووحدة المصير والوجهة ، ووحدة الحقيقة والتكوين .

فحينما يقول العبد " **السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**" يكون قد أشرك المؤمنين جميعاًمعه ، ودعا لأمة الحق مع دعائه لنفسه .
وهذه ظاهرة تتفق تماما مع قول العبد فى سورة الفاتحة " **إياك نعبد وإياك نستعين** " بصيغة الجمع لا بصيغة المفرد ،مع قوله "**صراط الذين أنعمت عليهم ...** " فهو تابع وداخل فى الأمة وليس مبتدعاً لطريق جديد يسير فيه وحده . {١٢}
وهذا المبنى كله ذكر الله وعباده الصالحين وملائكته ، وذكر لموقف الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى رحلة الإسراء والمعراج ، على بعض الأقوال .

{١٢} ـ أنظر فى بيان هذا المعنى وتأسيسه فى عمق وجلاء الشيخ العلامة إبراهيم حلمى القادرى ، رحمه الله ورضى عنه . كتاب مدراج الحقيقة ، المرجع / ٥٨ ، ص ١٥

(٢٥) ويتمم ذلك كله التسليم على الحضور الكلى فى الصلاة : ملائكة وغيرهم ، بإخلاص ويقين بالرابطة البشرية والكونية العامة . قال تعالى :

{ مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ـ ٣١ / لقمان ٢٨ }

وهذه إشارة إلى إشراك أمة الله وتوحيدها فى عبادته : فما من ملك فى السموات إلا قائم أو راكع أو ساجد لله تعالى : وهذه أفعال الصلاة : وهذا تشبه بالملأ الأعلى وعبادتهم . ولعل فى قوله تعالى :

{ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي ـ ٨٩/ الفجر ٢٧ ، ٣٠ }

إشارة إلى هذه الكلية ، فالله تعالى لم يقل مع عبادى وإنما " فى عبادى" ، والله تعالى أعلم .

خلاصة الذكر فى الصلاة

(٢٦) فالصلاة بدأت بتذكر الله وحصر النية لقصده ثم ذكر الله بالتكبير ، ثم ذكر الله بالدعاء إستفتاحاً ،ثم ذكر الله بالتلاوة ، ثم ذكر الله بالتسبيح راكعاً، ثم ذكر الله بالحمد قائماً ، ثم ذكر الله بالتسبيح ساجداً ، ثم ذكر الله بالتشهد ـ صادقاً، ثم ذكر الله بالتسليم مخلصا فهى ذكر من بدايتها . قال تعالى شأنه :

{ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي ـ ٢٠ / طه ١٤ }

فجعل المراد هو ذكره ، والصلاة هى الوسيلة لذلك .
والله تعالى أعلم .

الذكر فى مبانى الزكاة

(٢٧) وهذا البيان المقتضب عن الصلاة ، مثال لما فى الزكاة والصيام والحج من مبانى وإتساعات متعلقة بهذه الأركان . ولما لم يكن من قصدنا الدخول فى هذه الأبواب نعرض لها فى كلمات متعجلة ، فنقول :

الزكاة والمبنى المقام عليها تدريب على تفضيل الآخرة ، وكسر خاصية النفس فى تقييم الحاضر ، وإغفال المستقبل . وهو كذلك من حيث نقض الخوف على فقدان مقومات الحياة الدنيا المادية والتخلص من حبها الكامن فى النفس وتدريب على الثقة بالله تعالى وتدريب على الرغبة فيه وفيما عنده . قال تعالى :

{ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ـ ٣ / آل عمران ١٧٥ }

وعنه صلى الله عليه وسلم :

{ إنَّ الشَّيطَانَ قَعَدَ لِإبنَ آدمَ بأطرَقه فقعَدَ لَهُ بطريق الإسلام فقالَ تسلِمُ وَتَذَرَ دينكَ وَدينَ آبائكَ وآباء أبيكَ . فَعصاهُ فأسلمَ ثُمَّ قعدَ لَهُ بطريقِ الهجرة فقالَ تُهَاجر وَتَدَع أرضَكَ وَسمَاءَكَ وإنَّما مثلُ المهاجر كَمَثَلِ الفَرَسِ فى الطول ، فعَصاهُ فهَاجرَ ، ثُمَّ قعدَ لَهُ بطَريقَ الجهادَ فقالَ تُجَاهدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفسِ وَالمال فَتقَاتلَ فتُقتلَ فتَنكَح المرأة وَيُقسَّمُ المالَ ، فعصاهُ فَجاهدَ . فقالَ رَسولُ اللَّه صلَّى اللَّهُ عَليه وَسلَّم : فَمَن فَعلَ ذَلكَ كانَ حقًا عَلىَ اللَّه عَزَ وَجلَ أن يدخلهَ الجنَّة وَمَن قُتل كانَ حقا عَلى اللَّه عَزَ وَجلَ أن يدخِلهُ الجنَّةِ ... الحديث } [١٣]

---

[١٣] ـ أخرجه الإمام أحمد ، والنسائى واللفظ له ، وابن حبان . عن سبرة بن أبى فاكه بطريق صحيح . كما صححه العراقى فى المغنى عن حمل الأسفار .
أنظر : الإمام الغزالى ، الإحياء ، المرجع /٤٨ ، جزء / ٣ ، ص ٢٩
أنظر : الإمام النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع / ٢٥ ، جزء / ١ ، ص ٣٠٧
أنظر : النسائى ، السنن ، المرجع / ١٥ ، جزء / ٦ ، كتاب الجهاد ، ص ٢١ ، ٢٢

(٢٨) فالمبنى المقام على الزكاة من هذا المنطق ، إرتباط بالمعانى الكامنة في الروح ، وسمو إلى آفاق التقويم الأحسن الذى خلق الله الإنسان فيه . {١٤} وهذا الإختيار بين التدنى ، والتسامى : بين الدنيا والآخرة ، هو إختيار رئيسي فى مفهوم الدين . قال تعالى :

{ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ـ٣/آل عمران١٥٢ }

{ مَّن كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصلَاهَا مَذمُوما مَّدحُوراً ، وَمَن أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعيَهَا وَهُوَ مُؤمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعيُهُم مَّشكُوراً ـ ١٧/ الإسراء ١٨ ، ١٩}

والإختبار الإلهي للإنسان على الأرض محوره فى عملية الإختيار بين أعمال الدنيا وأعمال الآخرة ... بين الله والنفس . قال تعالى :

{ إِنَّا جَعَلنَا مَا عَلَى الأَرضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبلُوَهُم أَيُّهُم أَحسَنُ عَمَلاً ـ ١٨ / الكهف ٧ }

وقال تعالى :

{ اعلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنيَا لَعِبٌ وَلَهوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَينَكُم وَتَكَاثُرٌ فِي الأَموَالِ وَالأَولَادِ كَمَثَلِ غَيثٍ أَعجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصفَراً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضوَانٌ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنيَا إِلَّا مَتَاعُ الغُرُورِ ـ ٥٧ / الحديد ٢٠ }

وقال تعالى :

{ المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنيَا وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيرٌ أَمَلاً ـ ١٨ / الكهف ٤٦ }

وعملية الإختيار التى يقوم بها المرء إنما هى تذكر وتفكر وتعقل . وإذا غفل الإنسان عن الله واليوم الآخر تملكته النفس بنوازعها وشهواتها الجسدية الدنيوية . والزكاة تعبير عن هذا التذكر وهذا الإختيار .وهى ذكر بالأفعال فى المقام الأول .

{١٤} ـ قال تعالى : { لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين ـ ٩٥ / التين ٤ ، ٥ }

وهى تطهير للنفس من مراداتها الأرضية الدنيوية . فالمرء يذكر ربه وآخرته فيبيع حاضره بالجنة ورضا مولاه الكريم الحبيب . وهذا تطهير له من أدناس التدنى . قال الله تعالى :

{ خُذ مِن أموالِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُم وَتُزَكِّيهِم بِهَا ـ ٩/ التوبة ١٠٣ }

كما لا يخفى فإن النية هنا أيضاً ضرورية كما فى بقية الأعمال . وهى ذكر وتذكر وبدونها لا يصلح العمل .

الذكر فى مبانى الصيام

(٢٩) **والصيام** تدريب لقوى التحمل والجلد والعزيمة فالقوة قوتان: قوة إيجابية بالأفعال ضرباً وتنفيذاً، وقوة بالصبر والجلد . وأشار عليه الصلاة والسلام إلى ذلك فى قوله :

{ لِيسَ الشَّدِيدُ بِالصَّرعَةِ ، إنَّمَا الشَّدِيدُ الذى يَملِكُ نَفسَهُ عِندَ الغَضَبِ } {١٥}

والصيام صبر عن أمور كالطعام والشراب والجنس بمعنى الإمتناع ، وصبر على أمور كألم الجوع والعطش والشهوات بمعنى تحمل الآلام . وفى إستمراريته معنى المصابرة والمرابطة . وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال :

{ الصَّبر نصفُ الإيمَانِ } {١٦}

وفى الحديث الآخر قال :

{ الصَّوم نصفُ الصَّبرِ } {١٧}

{١٥} ـ أخرجه البخارى واللفظ له ، ومسلم والإمام أحمد عن أبى هريرة .

أنظر : إبن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، مرجع / ١١ ، جزء / ١٠ ، ص ٥١٨ حديث / ٦١١٤

{١٦} ـ أخرجه أبونعيم فى الحلية والخطيب فى التاريخ من حديث إبن مسعود بسند حسن .

أنظر : تخريج الإمام العراقى على هامش الإحياء ، مرجع / ٤٨ ، جزء / ١ ، ص ٢٣١

{١٧} ـ أخرجه الترمذى وحسنه من حديث رجل من بنى سليم وإبن ماجه من حديث أبى هريرة .

أنظر : تخريج الإمام العراقى على هامش الإحياء ، مرجع / ٤٨ ، جزء / ١ ، ص ٢٣٠ .

فأصبح الصوم ، بذلك ، ربع الإيمان . ولا يمكن بقاء الصائم صائماً، وهو يشعربآلام الجوع والعطش ويمتنع عن الشهوات ، إلا إذا كان ذاكراً ـ لمقصوده ـ وهو الله ورضاه ـ خوفاً وطمعاً . وقد قال عز من قائل :

{ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ـ ٣٩ / الزمر . ١٠ }

فمداومة الذكر بمعنى التذكر أمر جوهرى لاستمرارية الصيام . وقد أفصح صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى فى الحديث :

{ إذا أصبحَ أحَدُكُم يَومَاً صَائماً فَلاَ يَرفُثُ وَلا يَجهَلَ فَإنَ امرُوءٌ شَاتَمَهُ أو قَاتَلهُ ، فَليَقُل إنّى صَائمٌ إنّى صَائمٌ } {١٨}

فهنا أصبح الذكر عنصراً منفصلاً لصلاح الصيام بالإضافة لكونه عنصراً متضمناً ، فى حالة الصيام كله . والنية هنا أيضاً ضرورية .
وإن كان البعض قد رأى الإكتفاء بنية واحدة لصيام الشهر كله ، وأصر آخرون على نية لكل يوم ، إلا أنها ذكر لله لا ينفك عن الصيام ولا عن عمل آخر .

الذكر فى مبانى الحج

(٣ .) **والحج** رحلة عودة الروح إلى بارئها . فهو تمثل كامل لرحلة الحياة الإيمانية كلها فالإحرام توجه لله وترك للدنيا ، **ومداومة التلبية إنما هى ذكر بالعودة إليه سبحانه دنيا وآخرة** ، وملابس الإحرام أكفان المؤمن وحاجته من الدنيا ، التى رغب عنها إلى الله . ومناسك الحج كلها تعرف على الله بالعبودية :

أولاً : بجلاله وعظمته ورحمته وكرمه فى موقف عرفة . وهو موقف ذكر.
ثانياً : بالإزدلاف إليه ساعين ملبين بالعبادات والمأمورات والنوافل قاصدين له بين عرفة ومنى . وكلها أفعال ذكر .

{١٨} ـ أخرجه الإمام مالك ، والبخارى ومسلم واللفظ له ، وأبو داود وابن ماجه عن أبى هريرة . وابن حبان ، والحاكم والبيهقى وابن السنى عن أبى هريرة باختلاف فى اللفظ .
أنظر : إبن حسام الدين الهندى ، الكنز، المرجع/٢٨ ، جزء/٨ ، ص ٥.٦ ، ٥.٧ ، حديث/ ٢٣٨٦. والأحاديث / ٢٣٨٥٨ ، ٢٣٨٦٤ ، ٢٣٨٦٦ ، ٢٣٨٦٩ .
أنظر : الإمام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع / ١٢ ، جزء / ٨ ، ص ٢٨

قال عز من قائل :

{ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّن عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ، وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ، ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ـ ٢/ البقرة ١٩٨، ١٩٩ }

رابعاً : ثم الإفاضة إليه عند المعلم الذى جعله علماً للربوبية والألوهية ـ البيت الحرام ـ إنتظاماً فى سنة الكون العابد لربه ، وتشبهاً وتوافقاً مع الملأ الأعلى فى طوافهم بالبيت المعمور :

{ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ـ ٢١ / الأنبياء ٢٠ }

ثم يتبع الله تعالى ذلك كله بالأمر بدوام الذكر بأقصى ما يستطيع العبد من قوة وكثرة :

{ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً ـ ٢ / البقرة ٢٠٠ }

فالرحلة كلها ذكر فى ذكر من بدايتها لنهايتها . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ إِنَّمَا جُعِلَ رَمْيُ الْجِمَارِ وَالطَّوَافِ وَالسَّعْيِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللهِ لَا لِغَيْرِهِ } [١٩]

---

(١٩) ـ أخرجه أبو داود والحاكم عن عائشة رضى الله عنها واللفظ له وقال صحيح على شرط مسلم والبخارى ووافقه على ذلك الذهبى فى تلخيص المستدرك وصححه بأسفل الصفحة ذاتها .
أنظر : الحاكم ، المستدرك ، المرجع / ١٨ ، جزء / ١ ، ص ٤٥٩
أنظر : السيوطى ، الجامع الصغير ، المرجع / ٢٤ ، جزء / ١ ، ص ١٠٣

الذكر فى الشهادتين

(٣١) والشهادتان فى جوهرهما ومضمونهما ذكر .

فالشهادة الأولى بأن " لا إله إلا الله " تنطوى على ذكر الألوهية والربوبية بحقائقها المتضمنة : أسماء الذات ، وأسماء الصفات ، وأسماء الأفعال **وهذه الشهادة تنشئ التسبيح والتهليل ، والتحميد ، والتكبير ، والتمجيد، وما إلى ذلك من الأذكار الربانية .**

والشهادة الثانية بأن "محمد رسول الله" ذكر للواسطة { الوسيلة } التى إختارها رب العباد لإيصال الهدى للناس ، وهى بعث الرسل وإنزال الكتب وسيدنا محمد هو خاتم النبيين وإمام المرسلين : النبى الأمى الصادق الأمين . **وهذه الشهادة تنشئ الصلاة والسلام عليه وآله وصحبه : وهى دعاء له ، والشهادتان ذكر باللسان والقلب .**

(٣٢) والمعلوم أن لكل عبادة مأمور بها نوافل تطوعاً ، من نوعها أو ما يشابهها

- فنفل الصلاة صلاة : سنن الصلاة وتطوع بالصلاة ، والدعاء .
- ونفل الزكاة زكاة : صدقات ، وحسن خلق ، وتعليم للخلق . . . الخ
- ونفل الصيام صيام : وإقلال من الطعام ، وتورع . {٢٠}

{٢٠} ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص :{ صُم يوماً وأفطر يوماً فذلك صيامُ داود عليه السلام وهو أفضلُ الصيام فقال : إنى أطيق أفضل من ذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم :لاأفضلَ مِن ذلِكَ } { جزء من حديث فى صوم التطوع }
أنظر : إبن حجر العسقلانى، فتح البارى، المرجع/١١،جزء ٤ ، ص ٢٢٠ ، حديث/١٩٧٦
أنظر : الإمام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/١٢ ، جزء/٨ ، ص ٣٩، ٤٠، ٤١
أنظر : أبى حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، المرجع /٤٨ ، جزء / ١ ، ص ٢٣٨
أنظر : إبن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع/٢٨، جزء/٨ ،ص ٥٥٧ ،حديث٢٤١٤٨
أنظر : جلال الدين السيوطى ، الجامع الصغير ، المرجع / ٢٤ ، ص ٥٠ ، جزء / ١
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { المؤمنُ يأكُلُ فى مِعىً واحدٍ والكافرُ يأكل فى سبعةِ أمعاء } ، أخرجه الإمام أحمد ومسلم واللفظ له والبخارى والترمذى وإبن ماجه عن إبن عمر رضى الله عنهما ، كما أخرجه الإمام أحمد ومسلم عن جابر بن عبد الله الأنصارى . وأخرجه الإمام أحمد والبخارى ومسلم وإبن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنهم أجمعين .
أنظر : ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، المرجع/١١، جزء/٩ ، ص ٥٣٦ ، حديث/٥٣٩٤
أنظر : الإمام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع / ١٢ ، جزء / ١٤ ، ص ٢٤ ، ٢٥

ـ ونفل الحج حج : واعتمار ، واستحضار لمعانيه الإيمانية باللسان والعمل .
ـ ونفل الشهادتان : دوام النطق بهما ، واستحضار معانيهما فى القلب والعقل والنفس والجسد : أى كل طرق الذكر.

(٣٣) ولايتهاون أحد بأهمية الكلمة ولا بذكر اللسان .
فما الشهادة إلا الكلمة الطيبة المشرفة التى تنقل صاحبها من الكفر والضلال إلى الهدى والرشد وإلى الجنة ، ولو بعد حين . فبها يخرج الناس من النار ، وبها يدخلون الجنة .

قال صلى الله عليه وسلم :

{ يخرج من النار من قال : لاإله إلاالله ، وكان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النارمن قال : لاإله إلا الله ، وكان فى قلبه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النارمن قال : لا إله إلا الله ، وكان فى قلبه ما يزن من الخير ذرة } {٢١}

وقال صلى الله عليه وسلم :

{ يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِن أُمَّتى يَومَ القيَامَة عَلى رُؤوسِ الخَلائق فَيُنشَرُ لَهُ تِسعَة وتِسعُونَ سجلاً كُلُّ سجِل مَدُّ البَصر ثم يقولَ الله عز وجلَ هَل تُنكرُ مِن هَذَا شَيئا ؟ فَيَقولُ لايَارب ، فَيَقول :أظَلَمَتك كَتَبَتِى الحَافِظونَ ؟
ثم يقول : أَلَكَ عَن ذَلكَ حَسَنَة ؟ فَيهابُ الرَّجُل فَيَقول : لا، فيقول : بَلىَ إن لَك عندنَا حَسَنات وأَنَّهُ لا ظُلمَ عَليكَ اليوم ، فَتخرج لَهُ بطاقَةٌ فيهَا : أشهَدُ أَنّ لا إلهَ إلاَّ اللَّه وأَنّ محمدًا عَبدَه ورَسُولُهُ ، قَالَ : فَيَقول يَارَب مَا هَذِهِ البِطَاقةُ مَعَ هَذِهِ

{٢١} ـ أخرجه الإمام أحمد والبخارى واللفظ له ومسلم والترمذى والنسائى عن أنس رضى الله عنهم أجمعين
أنظر : بن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، المرجع /١١ ، جزء / ١٣ ، ص٣٩٢، ٣٩٣ ، جزء من حديث رقم / ٧٤١ .

السجلات ؟ فيقول : إنك لا تُظلم فتوضع السجلاتُ فى كفة والبطاقة فى كفة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة } {٢٢}

عن أبى ذر قال : قال صلى الله عليه وسلم :

{ ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق ، قلت وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق ؟ ثلاثا ثم قال فى الرابعة على رغم أنف أبى ذر قال فخرج أبو ذر وهو يقول: وإن رغم أنف أبى ذر } {٢٣}

(٣٤) وكلمة الكفر أو المعصية عظيمة الأثر أيضاً، عليها حساب شديد وعذاب أليم . قال تعالى :

{ كبرت كلمةً تخرجُ من أفواههم إن يقولون إلاكذبا ـ١٨/ الكهف٥}

وقال صلى الله عليه وسلم ، لمّا سأله معاذ بن جبل رضى الله عنه :

{ ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت بلى ، فأخذ بلسانه فقال : تكف عليك هذا قلت : يا نبى الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال : ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس على وجوههم فى النار إلا حصائد ألسنتهم } {٢٤}

{٢٢} ـ أخرجه البخارى والحاكم وإبن ماجه واللفظ له عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم أجمعين كما أخرجه الإمام أحمد والترمذى والحاكم والبيهقى عن إبن عمر مع إختلاف فى اللفظ .

أنظر : سنن إبن ماجه ، المرجع / ١٤ ، جزء / ٢ ، ص ١٤٣٧ ، حديث / ٤٣٠٠ .

أنظر : النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع / ٢٥ ، جزء / ٣ ، ص ٤٢٤ ، ٤٢٥

أنظر : الحاكم ، المستدرك ، المرجع / ١٨ ، جزء / ١ ، ص ٦ بلفظه .

{٢٣} ـ أخرجه الإمام أحمد والبخارى ومسلم واللفظ له وإبن ماجه عن أبى ذر رضى الله عنهم أجمعين .

أنظر : النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع / ١٢ ، جزء / ٣ ، ص ١١٤

أنظر : الإمام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع / ١٢ ، جزء / ٢ ، ص ٩٤

{٢٤} ـ أخرجه الإمام أحمد والترمذى والحاكم وإبن ماجه والبيهقى .

أنظر : الإمام النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع / ٢٥ ، جزء / ٣ ، ص ١٨ ، ١٩

أنظر : الإمام النووى ، رياض الصالحين ، المرجع / ٢٢ ، ص ٤٢٢ ، ٤٢٣

أنظر : سنن إبن ماجه ، المرجع / ١٤ ، جزء /٢ ، ص ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، جزء من حديث / ٣٩٧٣

[إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ] {٢٥}

حقيقة مهمة

(٣٥) والأصل أن النطق بهاتين الشهادتين لابد أن يصاحبه أو يسبقه الإدراك لما تعنيه من معانى والقناعة بهما .
بل ويشترط أيضاً حضور المعنى في الوعى والشعور قلباً وعقلاً حين النطق بالشهادتين وإلا كان ناطقاً ومتكلماً بما لا يقصد .

كما أن هذا النطق بالشهادة إما أن يكون حقيقة فى الوعى فيكون المرء صادقا عقلاً وقلباً ، وإما أن يكون بلا قناعة ولا إستحضار فى الوعى فيكون كذباً ونفاقاً .
وفى حالة النطق بالشهادتين على إيمان بهما إما أن يؤيد سلوكه هذا التلفظ بالشهادتين فيكون إيماناً كاملاً ، وإما أن يكون مع إختلاف فى السلوك فيكون إيمانا ناقصاً .

(٣٦) والحقيقه أن مبنى الإسلام كله وليس الشهادتين فقط مؤسس على هذا الإدراك والقناعة والحضور لجلال الألوهية وعظمة الربوبية فى الوعى والشعور.
إذ لا يتخيل صلاة ولا زكاة ولا صيام ولا حج ولا فعل من الأفعال بدون نوع من الإدراك للألوهية والتسليم لها ، والقناعة بما تعنيه ، وتواجد ذلك كله فى الوعى وللشعور بصورتيه : العقلية والقلبية { الوجدانية } .

{٢٥} ـ أخرجه الإمام مالك ، وأحمد فى مسنده ، والترمذى ، والنسائى ، وابن حبان ، والحاكم واللفظ له عن بلال بن الحارث ، وأخرجه الحاكم بروايات كثيرة .
أنظر : الحاكم ، المستدرك ، المرجع / ١٨ ، جزء / ١ ، ص ٤٥ ، ٤٦
أنظر : النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع / ٢٥ ، جزء / ١ ، ص ٣٠١

والشهادتان حين النطق بهما " ذكر لله " . وحين إستحضار معناهما في القلب والعقل " ذكر لله " وحين التفكر والتدبر في حقيقتهما وأبعادهما " ذكر لله " وحين تنفيذ ما يترتب عليهما من أعمال سلوكية " ذكرلله " وتأكدها في الوعي " ذكرلله " وأصل الذكر في الشهادتين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ جَدِدوا إِيمَانَكُم : أكثِرُوا مِن قولِ لا إِلهَ إِلاّ الله } (٢٦)

وكذلك نقلهما " ذكر لله " ، سواء بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ، أو التفكر والتأمل في معاني هذا التسبيح والتهليل ، وتكرار التلفظ بهما لتأكد المعنى ورسوخه، ردوام حضور العبد مع ربه ، والهروب من النسيان والغفلة هو ذكر الله .
والصلاة والسلام على رسول الله ودراسة سيرته وشخصيته وصفاته ، ومدحه والثناء عليه والدعاء له ذكر لله تعالى .
وكلها واجبات تترتب على الشهادتين بنفس المنطق وبنفس القياس .

---

(٢٦) ـ حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد والحاكم عن أبي هريرة رضى الله عنهم أجمعين .
أنظر : جلال الدين السيوطي ، الجامع الصغير ، المرجع / ٢٤ ، جزء / ص ١٤٣
أنظر : بن حسام الدين الهندي ، الكنز ، المرجع / ٢٨ ، جزء / ١ ، ص ٤١٦ ، حديث ١٧٦٨

خلاصة القول فى هذا الفصل

(٣٧) ويتلخص ما قلناه وأثبتناه فى هذا الفصل فى عدة نقاط :

أ ـ أن ما يسمى بالأركان الخمسة للإسلام ، ليس هو الإسلام وإنما مجرد الأركان الأساسية ، والتى قد ينظر إليها كالحد الأدنى المطلوب من كل مسلم .

ب ـ أن فى ثنايا هذه الأركان تظهر معاني جديدة ومبانى هامة هى فى صلب المأمورات والتكوينات الإسلامية .

ج ـ وأن هذه المبانى والتكوينات والأركان ، هى نفسها ذكر وأن المقصود منها إقامة الذكر . وأن الذكر يتخلل كل حركة وجزء منها ، حتى ليبدو أنها تفريعات على مفهوم الذكر .

د ـ أن أصل الذكر فى الشهادتين ، وهما أصل الإسلام كله . وأن تكرارهما يجدد الشعور الإيمانى ، كما أشار إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهكذا يكون أول الدخول فى الإسلام تذكر وذكر بالشهادتين .

وعماد الدين ، الصلاة ، تقام لذكر الله ، والذكر فيها بالقرآن والتسبيح . والدعاء بها وجوهرها .

والزكاة ذكر بالعمل بعد تصحيح النية .

والصيام ذكر مستمر طوال فترة الصيام . وذكر بالنية قبل البدء بالصيام .

والحج رحلة ذكر من بدء التلبية بالإحرام . فالذكر فى عرفة . وبعد الإفاضة من عرفة ، والذكر فى منى والذكر فى الطواف والسعى .

وأصول الأمر كله فى النية . وهى ذكر لله وتذكر له .

الفصل الثاني

هل الذكر جماع العبادات وأفضلها

- أولاً : الذكر أفضل العبادات
- ثانياً : ولذكر الله أكبر
- ثالثاً : الذكر جماع العبادات
- رابعاً : خلاصة القول فى هذا الفصل

(٣٨) يعلم المسلمون جميعا أن أركان الإسلام الخمسة هى الأساس لدين المسلم ، وأول ما يتوجب الوفاء به . وفى صحيح السنة ما يشير إلى أن الإتيان بها يسبب الفلاح ويدخل الجنة : فعن طلحة بن عبيد الله أن أعرابيا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثائر الرأس فقال :

{ يارسول الله أخبرنى ماذا فَرَضَ الله علىّ من الصلاة فقال الصلواتُ الخمسة الاأن تطوع شيئا . فقال : أخبرنى بما فرض الله على من الصيام ؟ قال شهرُ رمضانَ الاأن تَطوعَ شيئا قال: أخبرنى بما فرض الله علىّ من الزكاة ؟ قال : فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرائع الإسلام . قال : والذى أكرمك لا أتطوع شيئا ، ولا أنقص مما فرض الله علىّ شيئا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلح إن صدق ، أو قال دخل الجنة إن صـدق } {٢٧}

ولكن قليلا من التأمل ، يظهرأن الوفاء بهذه الأركان بالقدر المفروض منها هو الحد الأدنى المطلوب من المسلمين .
وأن الوفاء بثلاث منها ـ الشهادتين والصلاة والزكاة ـ يثبت المرء الإسلام فى مواجهة المجتمع فلا يحل دمه وعرضه . {٢٨}
فالقول بأنها أهم ما فى الإسلام قول صحيح : بمعنى أنه بدون الشهادتين لا يكون المرء مسلما أبدا ، كما أن الصلاة هى عماد الدين كله . {٢٩}

وقد أبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن :

{ أول مايُحَاسَبُ به العبد يوم القيامة الصلاة فان صَلُحَتْ صَلُحَ سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عَمَله } {٣٠}

{٢٧} ـ انظر : بن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، المرجع ١١ ، جزء/ ١٢ ، ص ٣٣٠ ،حديث رقم/٦٩٥٦
انظر : الإمام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع /١٢ ، جزء / ١ ، ص ١٧٤ـ ١٧٦
انظر : ابن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع /٢٨ ، جزء / ١، ص ٢٧٨ ، حديث رقم / ١٣٧٤ مع اختلاف يسير فى اللفظ .

{٢٨} ـ انظر : الإمام النووى ، الأربعين النووية ، المرجع/٢١ ، الحديث الثامن ، ص٣١

{٢٩} ـ انظر : الإمام النووى ، الأربعين النووية ، المرجع/٢١ ، حديث رقم / ٢٩ ، ص ٦٣
انظر : الحافظ المنذرى ، الترغيب والترهيب ، المرجع/٢٦ ،جزء/١ ، ص٣٢١

{٣٠} ـ حديث حسن أخرجه الطبرانى فى الأوسط .
انظر : بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع /٢٨ ، جزء / ٨ ، ص٣ ، حديث رقم ٢١٦١٥
انظر : الحافظ المنذرى ، الترغيب والترهيب ، المرجع/٢٦ ، جزء / ١ ، ص ٣٢١

غير أن الأفضلية بين المسلمين تتوقف على ما يأتون به من أعمال الإسلام علاوة على هذه الشروط والفروض الأساسية .

والسؤال هنا :أى الأعمال أفضل بالنسبة للمسلمين الذين يقومون بالفعل بهذه الأساسيات الخمس ؟ وهل تعتمد هذه الأفضلية على جمع من الأعمال يؤلف بينها ، أم يمكن لعنصر واحد أن يكون جماع هذه الأفضلية ومسببها . وما هو موقع الذكر بالذات فى هذه الأفضلية .

وفى بحث هذين الأمرين ، الأفضلية والأجمعية ، تسعفنا السنة النبوية بالتفصيل المطلوب : فهى تفسر آيات الكتاب الحكيم وتفصل معناها التنفيذى :

أولا : الذكر أفضل العبادات ؟!

(٣٩) يفهم من الآيات والأحاديث أن الذكر ليس فقط عنصرا أو جانبا من المأمورات ، ولا هو فقط قاسم مشترك فيها ، وانما قد يكون أفضلها . ومن الأحاديث التى ذكرت ذلك صراحة :

الحديث الأول : عن أبى سعيد الخدرى قال : سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العباد فقال :

{ أفضل العباد درجة عند الله يوم القيامة الذاكرون الله كثيرا، قيل ومن الغازى فى سبيل الله قال :لوضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون أفضل منه درجة } {٣١}

{٣١} ـ أخرجه الإمام أحمد ، و الترمذى و أبو يعلى وابن شاهين فى الذكر عن أبى سعيد الخدرى .
انظر : بن حسام الدين الهندى ، المرجع/٢٨ ، جزء/ ١ ، ص ٤٢٧ حديث رقم/١٨٤٥
انظر : بن قيم الجوزية ، الوابل الصيب ، المرجع/٤١، ص ٣٤
انظر : بن رجب الحنبلى ، جامع العلوم والحكم ، المرجع /٣٢ ، ص /٢٩٠

الحديث الثانى : وكذلك سُئل النبى صلى الله عليه وسلم أى المجاهدين أعظم أجرا وأى الصائمين أعظم أجرا وكذلك عن الصلاة والزكاة والحج والصدقة ، فقال صلى الله عليه وسلم :

{ أكثرهم لله ذكرا ، فقال الصديق أبو بكر رضى الله عنه : ذهب الذاكرون بكل خير فقال صلى الله عليه وسلم : أجل ، "وفى رواية أخرى" أجل ألم تسمع قوله تعالى ولذكر الله أكبر } {٣٢}

(٤٠) والذى يفهم من هذين الحديثين أن الذاكرين هم أفضل منفذى الشعائر والواجبات وأنهم يذهبون بالخير كله .

وقد يكون فى هذا المعنى بعض المفاجأة لعامة الناس ، من حيث أن الذكر الذى يبدو عبادة سهلة هينة ، يفضل كل أعمال الإسلام الأخرى .

ومع ذلك فان فى آيات القرآن مايدل على أكثر من ذلك . يقول الحق تعالى:ـ

{ وهو الذى جَعَلَ الليلَ والنهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أراد أن يَذَّكَّرَ أو أراد شكورا ـ ٢٥ / الفرقان ٦٢ }

فقوله تعالى ، جعل ، يتضمن حكمة ايجاد الليل والنهار ، وأن تخالفهما (أى تعاقبهما) لاحداث الذكر أو الشكر أو كلاهما .

والآية ، إما أن تعنى الحصر ، بمعنى أن تخالف الليل والنهار إنما جعله الله تعالى للذكر والشكر وليس لشىء آخر .

وإما أن تعنى أنه تعالى جعل فى هذا التخالف بين الليل والنهار الطريق اليه سبحانه بالذكر والفكر .

وفى كلا المعنيين ، يصبح الذكر والشكر ، هما المقصودان الأساسيان فى هذا التخالف .

وهذا أمر لا يثير دهشة ولا عجبا . فالله ـ جل جلاله ـ جعل الشكر نقيض الكفر فى كثير من الآيات . والإيمان به هو الشكر : اذ الإيمان به يستتبع

{ ٣٢ } ـ أخرجه الأمام أحمد والطبرانى عن معاذ رضى الله عنه .

انظر : بن حسام الدين الهندى، الكنز ، المرجع /٢٨ ، جزء/١ ، ص ٤٢٨ ، حديث ١٨٤٦

انظر : ابن قيم الجوزيه ،مدارج السالكين ، المرجع /٤٢ ، جزء ، ص ٤٢٦

انظر : ابن رجب الحنبلى ، جامع العلوم والحكم ، المرجع /٣٣ ، ص ٥٣٧ وما بعدها .

عبادته والتوجه اليه بالأعمال وهذا شكر بلا نزاع . والإيمان به وهو عكس الكفر ـ لا يمكن أن يتحقق بغير ذكره ، والإنتباه الى عظمته وقدرته وحكمته وهذا يعنى استحضار وجوده ودلائل ذلك الوجود والإستحضار فى الوعى ، هو لب الذكر .

(٤١) ولهذا فإن ما تشير به الآيات والأحاديث من أن الذكر هو أفضل العبادات لا عجب فيه . فإن من الآيات ما يشير الى أكثر من ذلك بكثير :أن الذكر هو مقصود العبادة :

الصلاة : مثل قوله تعالى :

{ وأقِمِ الصلاةَ لِذِكْرِي ـ ٢٠ / طه ١٤ }

ويقول ابن القيم الجوزية ، بخصوص " اللام " فى قوله " لذكرى " :
" الغالب أنها لام التعليل ، أى : أقم الصلاة لتذكرنى بها " { ٣٣ }

والعبد يذكر الله بصلاته وفى صلاته أيضا : فمجرد إقامة الصلاة ذكر لله ـ وهذا ما نسميه ذكر الله بالصلاة . كما أن الصلاة تتضمن كلمات ذكر وأفعال ذكر ، فيكون العبد ذاكرا لله فى صلاته .
فالصلاة تبدأ باستحضار المقصود ـ أى تحقق بالنية ـ ثم تكبيرة الإحرام التى تعنى عدم الإلتفات إلى غير الله ، وحصر كل أعمال العبد وأقواله خلالها فى مناجاة الله وعبادته إنما هى ذكر الله وفكر فى تركيز الهمة وانتباه للمذكور .

الصيام : وفى قوله تعالى :

{ شهرُ رمضانَ الذي أُنزِلَ فيه القرآنُ هُدىً للناسِ وبيِّنَاتٍ من الهدى والفرقانِ فمن شَهِدَ منكُمُ الشهرَ فَلْيَصُمْهُ ومن كانَ مريضاً أو على سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أيامٍ أُخَرَ يريدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ ولا يُريدُ بِكُمُ العسرَ ولِتُكْمِلُوا العِدَّةَ ولِتُكَبِّرُوا اللهَ على ما هداكُمْ ولعلكم تشكرون ـ ٢/ البقره ١٨٦ }

جعل الله الصيام وإكماله معلق بأمرين : تكبير الله على ما هدانا اليه من الحق ، وشكره سبحانه على نعمه التى لا تعد و لا تحصى .

{ ٣٣ } ـ انظر : ابن قيم الجوزية ، الوابل الصيب ، المرجع / ٤١ ، ص ٦٧

الحج : و فى قوله تعالى :

{ ولكُلِّ أمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسمَ اللهِ على ما رَزَقَهُمْ من بهيمةِ الأنعام ـ ٢٢ / الحج ٣٤ }

وقوله صلى الله عليه وسلم :

{ إنما جُعِلَ رميُ الجمار والطواف والسعى بين الصفا والمروة ، لإقامة ذكرِ الله لا لغيره } { ٣٤ }

تأكيد بأن الحج ومناسكه إنما هو لإقامة ذكر الله ، وذكر اسمه العظيم المبارك ، أي لحدوث الصلة بين الذاكر وربه فلا غرابة إذن أن يكون الذكر جماع العبادات وأفضلها .
وقد صح عنه ، صلى الله عليه وسلم القول بأنه :

{ ما عمل آدمى عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا: ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد إلا أن تَضْرِبَ بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حَتى ينقطع } {٣٥}

الحديث الثالث : عن أبى هريرة رضى الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا :

(ذَهَبَ أهل الدُّثُور بالدرجات العُلَى والنعيم المقيم : يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ولهم فضل من أموال : يحجون ويعتمرون ويجاهدون ، ويتصدقون فقال : ألا أعلمكم شيئا تدرِكُونَ به من سبقكم ، وتسبقون به من بعدكم ، ولا

{٣٤} ـ أخرجه أبو داود ، والحاكم عن عائشة رضى الله عنها واللفظ له . حديث صحيح . وقال صحيح على شرط مسلم والبخارى ووافقه الذهبى على ذلك فى تلخيص المستدرك وصححه بأسفل الصفحة ذاتها.
انظر : الحاكم ، المستدرك ، المرجع / ١٨ ، جزء / ١ ، ص ٤٥٩
انظر : السيوطى ، الجامع الصغير ، المرجع /٢٤ ، جزء / ١ ، ص ١٠٣
{٣٥} ـ أخرجه الإمام أحمد من حديث معاذ بن جبل ، كما أخرجه ابن أبى شيبه والطبرانى .
انظر : بن قيم الجوزية ، الوابل الصيب ، المرجع / ٤١ ، ص ٣٣
انظر : بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع / ٢٨ ، جزء/١ ، ص ٤٢٩ ، حديث ١٨٥١

يكون أحد أفضل منكم ، إلا من صنع مثل ما صنعتم ؟ قالوا: بلى يا رسول الله . قال : تسبحون وتحمدون وتكبرون، فرجع فقراءُ المهاجرين الى رسول الله فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك فضلُ الله يُؤْتيهِ من يشاء } {٣٦}

(٤٢) أما الحديث الثالث فتظهر منه عدة أمور :

الأول : قيام الذكر بديلا عن الحج والعمرة والصدقة والجهاد . ويقول الإمام ابن القيم في ذلك ، تعليقا على الحديث :
" فجعل الذكر عوضا لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد وأخبر أنهم يسبقونهم بهذا الذكر " {٣٧}

الثاني : أن ذكر الله بذاته يسبب سبق الذاكرين على غير الذاكرين، ولا يكون أحد أبدا أفضل من الذاكرين ، الا من فعل فعلهم .
وهذا تأكيد للأفضلية والأسبقية المطلقة ، كما يتبين من نهاية الحديث : حيث لم يخبرهم صلوات الله وسلامه عليه بأمر جديد يعوض لهم قيام الأغنياء بالذكرلما سمعوا بعظيم قدر الذكر والذاكرين .
وهذا المعنى مكون من شقين : السبق والأفضلية . وقد تأكدت الأفضلية من الحديث الأول أعلاه ، ومما يدور في فلكه من الأحاديث النبوية الصحيحة .

(٤٣) وأما سبق بعض العباد لغيرهم من المسلمين فإنه قد ينشأ من عدة احتمالات :
ــ إما لقلة الذنوب نتيجة للتقوى والورع .
ــ واما بمحو هذه الذنوب بالتوبة والإستغفار .
ــ واما بكثرة الأعمال الصالحات التى ترجح كفة الحسنات .
والظاهر أن سبق الذاكرين لغيرهم مسبب بهذه الأوجه الثلاث معا .

{٣٦} ـ أخرجه الإمام أحمد عن أبى هريرة، والإمام البخارى ومسلم .
انظر : النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع /٢٥، جزء / ١ ، ص ٤٨١
انظر : الإمام النووى ، رياض الصالحين ، المرجع /٢٢ ، ص٣٩٣ ، حديث ١٤١٨
انظر : بن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، المرجع/١١ ، جزء/٢ ، ص ٣٢٥ ، حديث رقم/٨٤٣
انظر : الإمام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع /١٢ ، جزء / ٥، ص ٩٢ ـ ٩٣ ، مجلد/٢
{٣٧} ـ هذا قول ابن القيم ، الوابل الصيب ، المرجع /٤١ ، ص ٦٩

* فذكر الله يعمر القلوب بحبه الى الحد الذى ينفر العبد ويبعده عن الذنوب والآثام : وهذا مدخل التقوى والورع : فالإنشغال بالحبيب وذكره ، يعنى الغفلة عن العدو وكراهيته .

تعصى الاله وانت تظهر حبه * هذا لعمرى فى القياس بديع
ان كان حبك صادقا لأطعته * إن المحب لمن يحب مطيع

* * وذكر الله عظيم الثواب عند رب العزة : قال صلى الله عليه وسلم :

{ كلمتان خفيفتان على اللسان ،ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان الى الرحمَن : سبحَان الله وبحمده سبحان الله العظيم } {٣٨}

* * * وذكر الله تعالى يمحو الذنوب والآثام ، التى تشد صاحبها الى الأرض وتثقله عن النهوض الى الله : ومن رحل الى ربه خفيفا ، طار عاليا .

قال صلى الله عليه وسلم :

{ سَبَقَ الْمُفَرِّدون (ثلاثا) : الذين يَهْتَرون فى ذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامةِ خفافا } {٣٩}

وقال صلى الله عليه وسلم :

{ ان لكل شيء صقَالة (سقالة) وأن صقَالةُ (سقَالةُ) القلوب ذكر الله وما من شيء أنجى من عذابَ الله ولو أن تضرب بسيفك حتى ينقطع } {٤٠}

{٣٨} ـ أخرجه البخارى ومسلم واللفظ له ، وأحمد والترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة .
انظر : بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع /٢٨، جزء / ١ ، ص ٤٦٢ ، حديث ٢٠٠٧
انظر : بن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، المرجع / ١١ ، جزء/١١ ، ص ٢٠٦ ، حديث ٦٤٠٦
انظر : الإمام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع /١٢ ، جزء / ١٧ ، ص ١٩

{٣٩} ـ أخرجه البخارى ومسلم ، والحاكم . عن أبى هريرة ، والطبرانى عن أبى الدرداء .
انظر: بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع / ٢٨ ، جزء /١ ، ص ٤١٧ ، حديث ١٧٧٣

{٤٠} ـ أخرجه البيهقى عن إبن عمر رضى الله عنهما .
انظر : بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع / ٢٨ ، جزء /١ ، ص ٤٢٨ ، حديث ١٨٤٨
انظر : بن قيم الجوزية ، الرابل الصيب ، المرجع / ٤١ ، ص ٣٥ـ ٣٦
انظر : السيوطى ، الجامع الصغير ، المرجع / ٢٤ ، جزء / ١ ، ص ٩٧

الحديث الرابع : عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا: بلى يارسول الله قال : ذكر الله تعالى } {٤١}

(٤٤) أما الحديث (الرابع) ففيه تأكيدات بالغة الخطورة :

(١) ـ إن ذكر الله خير أعمال العباد . وهذه " خيرية مطلقه " بمعنى أنها لا يفضلها عمل أخر .

(٢) ـ إن ذكر الله خير من إنفاق الذهب والفضة ، أى من الزكاة والصدقات وسائر الإنفاقات .
وهذا المعنى يؤكد " الخيرية المطلقه " أعلاه . وقد وردت فى ذلك ثمانية أحاديث يقوى بعضها بعضا ، منها :

ـــ **{ الذكر يَفْضُلُ على النفقةِ فى سبيلِ اللهِ مائة ضعف } {٤٢}**

{٤١} ـ رواه الترمذى وقال حسن صحيح ، والحاكم فى المستدرك وقال إسناده صحيح وصححه السيوطى ، وصحح الذهبى إسناده فى تلخيص المستدرك ، كما أخرجه الإمام أحمد فى المسند ومالك فى الموطأ وابن ماجه والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى شعب الإيمان . وأخرجه الإمام أحمد من حديث معاذ ايضا وقال المنذرى إسناده جيد . وإسناده حسن عند أبى الدرداء . وكذلك قال الهيثمى واختاره ابن تيمية فى الكلم الطيب وصححه الشوكانى فى تحفة الذاكرين وعلق عليه باستشكال بعض أهل العام العلم فى تفضيل الذكر على الجهاد .

انظر : الإمام النووى ، رياض الصالحين ، المرجع/٢٢ ، ص ٣٩٨ ، حديث رقم/١٤٤١

انظر : النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع /٢٥ ، جزء/١ ، ص٤٨١

انظر : الحاكم ، المستدرك ، المرجع/١٨ ، جزء/١ ، ص٤٩٦ ، وبهامشه تصحيح الذهبى .

انظر : الشوكانى ، تحفة الذاكرين ، المرجع/٣٠ . ص٩

انظر : المباركفورى ، تحفة الأحوذى ، المرجع/١٣ ، جزء/٩ ،ص٣١٧، حديث رقم/٣٤٣٧

{٤٢} ـ أخرجه الطبرانى عن معاذ بن جبل ، والطيالسى عن أبى موسى ، وأبو الشيخ عن أبى هريرة ، والطيالسى عن عباس ، وابن شاهين فى الترغيب مع اختلاف فى اللفظ .

انظر ابن حسام الدين الهندى ، الكنز، المرجع /٢٨ جزء / ١ ، ص ٤٢٢ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ حديث رقم / ١٨٠٤ ، ١٨٥٨ ، ١٨٥٩

— { ما صدقة أفضل من ذكر الله } {٤٣}

(٣) — وان ذكر الله خير من الجهاد . وفى ذكره — صلى الله عليه وسلم — لهذين العملين — الجهاد والصدقة — على وجه التخصيص بعد تعميمه القول زيادة تأكيد لما دلّ عليه قوله : (**ألا أنبئكم بخير أعمالكم**) .

وهذا التخصيص والتأكيد فى ذاته يعد عند العلماء كما يقول الإمام الشوكانى " مبالغة فى النداء بفضله عليها ودفع لما يظن من أن المراد بالأعمال هنا غير ما هو متناه فى الفضيلة وارتفاع الدرجة — كالجهاد والصدقة — بما هو محبب الى قلوب العباد فوق كل نوع من أنواع المال وهو الذهب والفضة " {٤٤}

(٤) — وإن ذكر الله تعالى أزكى أعمال العباد من وجهة نظر الله . والزكاء هو النماء والبركات ومعنى هذا أن الذكر (عند مليككم) أفضل من جميع الأعمال التى يقوم بها العباد وأكثرها نماء وبركة .

(٥) — وإن الذكر أيضا . أرفع هذه الأعمال درجة عند رب العزة : هذا إما أن يعنى عظمة العمل وعلو مقامه ، وإما أن يعنى عظمة الثواب .
فهذا الحديث الثابت الصحة بيان آخر بالأفضلية المطلقة يؤكد أن أفضل العبادات بعد الوفاء بأمورات الدين الأساسية هو ذكر الله .

وهذا المعنى يبعث فى النفس التساؤل عن حقيقة معنى " الذكر " واستعمالات هذه الكلمة حتى أنه تعالى سمى كلامه الأزلى — القرآن — الذكر. قال تعالى :

{ إنا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكرَ وإنا لَهُ لَحَافِظُون — ١٥ / الحجر ٩ }

{٤٣} — أخرجه الطيالسى عن ابن عباس ، كما أخرجه أبو الشيخ عن أبى هريرة ، وابن شاهين فى الترغيب مع اختلاف فى اللفظ .
انظر: بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع / ٢٨ ، جزء /١ ، ص ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٣٠ حديث رقم / ١٨٠٣ ، ١٨٠٤ ، ١٨٥٩

{٤٤} — انظر : الشوكانى فى تحفة الذاكرين ، واقرأ الصفحات ٩ـ ١٢ فى استشكال بعض أهل العلم فى تفضيل الذكر على الجهاد والصدقة . المرجع /٣٠ ، ص ١٠

ثانيا : ولذكر الله أكبـــر

(٤٥) ولا شك أن قوله تعالى " ولذكر الله أكبر " يثير تساؤلات عديدة وقد أثار بالفعل مناقشات واسعة .

يقول ابن قيم الجوزية :

" وأما الأخبار عنه بأنه أكبر من كل شئ فقوله تعالى :

{ اتْلُ ما أُوحِيَ إليكَ مِنَ الكتابِ وأقِمِ الصلاةَ إنَّ الصلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ . وَلَذِكْرُ اللهِ أكبَرُ ـ ٢٩ / العنكبوت ٤٥ }

وفيها أربعة أقوال :

أحدهما : أن ذكر الله أكبر من كل شئ . فهو أفضل الطاعات . لأن المقصود بالطاعات كلها إقامة ذكره فهو سر الطاعات وروحها .

الثانى :أن المعنى : انكم اذا ذكرتموه ذكركم . فكأن ذكره لكم أكبر من ذكركم له . فعلى هذا : المصدر مضاف الى الفاعل وعلى الأول : مضاف الى المذكور.

الثالث : أن المعنى : ولذكر الله أكبر من أن يبقى معه فاحشة ومنكر . بل اذا تم الذكر : محق كل خطيئة ومعصية . هذا ما ذكره المفسـرون .

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يقول معنى الآية أن فى الصلاة فائدتين عظيمتين :

أحدهمـا : نهيها عن الفحشـاء والمنكر .

والثانية : اشتمالها على ذكر الله وتضمنها له . ولما تضمنته من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر . انتهى {٤٥}

فيقول ابن زيد وقتادة ، معناها لذكر الله أكبر من كل شئ . وقيل لسلمان أى الأعمال أفضل ؟ فقال : أما تقرأ القرآن (ولذكر الله أكبـر) .

ويشهد لهذا حديث أبى الدرداء المتقدم " ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم ... الحديث "

وكذلك ذكر ابن أبى الدنيا عن ابن عباس أنه سئل : أى الأعمال أفضل ؟ قال : ذكر اللـه أكـبر " . انتهى { ٤٦ }

{٤٥} ـ ابن قيم الجوزيه ،مدارج السالكين ، المرجع /٤٢ ، جزء /٢ ، ص ٤٢٦

{٤٦} ـ ابن قيم الجوزيه ، الوابل الصيب ، المرجع /٤١ ، ص ٦٨

(٤٦) والذى يلفت النظر أن الله تعالى يقول :

{ وإنْ مـنْ شىءٍ إلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ولَكِنْ لاتَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُم ـ ١٧ / الإسراء ٤٤ }

فهذا العمل (أى التسبيح) هو الوحيد ـ فيما نعلم ـ الذى أثبته الله تعالى لجميع الكائنات على الإطلاق . بحيث أصبح ذكره بالتسبيح هو الفعل المشترك فى كل الموجودات بلا استثناء . فقد ورد عن الملائكه والملأ الأعلى :

{ يُسَبِّحُونَ الليلَ والنهارَ لا يَفْتُرُونَ ـ ٢١ الأنبياء ٢٠ }

وهاهى بقية الموجودات (ان من شىءٍ) تسبح بحمده . فالذى يتبقى بعد ذلك هم المكلفون من إنس وجن . { ٤٧ }
وهؤلاء مطالبون بدوام ذكره وتسبيحه .

{ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُم أو أشَـدَّ ذِكْـرا ـ ٢ / البقرة ٢٠٠ }

{ ياأيها الذينَ آمنوا اذكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً . وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأصيلا ـ ٣٣ / الأحزاب ٤١ . ٤٢ }

فكأن الأمر بالذكر هنا ، حتى يكون الكون كله فى تسبيح للواحد الأحد . ولا نكون نحن المكلفون وحدنا الشواذ فى الكون الفسيح .

والتساؤل هنا : اذا كان الله قد اختار " ذكره " ليكون هو السمه الرئيسيه للكون كله ، فهل ياترى يكون هناك ما هو أعلى منه ولم يختاره الله تعالى ؟ أفلا يكون اختياره هذا واخبارنا إياه بهذا الإختيار ارشاداً لنا بأن الذكر هو أعلى المطلوبات على الإطلاق ؟ وكل الكائنات قامت بالكلمة :

{انماقولنالشىء اذا اردناه أن نقول له كن فيكون ـ ١٦/النحل ٤٠}

فكلمة " كن " هى التى قامت بها الموجودات : والكون كلمة الله بالإيجاد . ولا عجب أن يكون ذكره سبحانه وتعالى بالكلمة أعلى العبادات . والله تعالى أعلم .

---

(٤٧) ـ يثبت تكليف الجن من قوله تعالى :
(يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ ـ ٦ / الأنعام ١٣٠)

ثالثا : الذكر جماع العبادات

(٤٧)   وبعد ما تبين لنا أفضلية الذكر وخيريته على الأعمال الأخرى، تواجهنا قضية الأجمعية . والظاهر من صحيح الأحاديث أن الذكر جماع للعبادات وينوب عنها ، بعد الإتيان بالفرائض الخمس التى هى الحد الأدنى الضرورى .
أ ـ عن عبد الله بن بشر رضى الله عنه قال :

{ أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقال : يا رسول الله أن شرائع الإسلام قد كثرت علىّ ، فباب نتمسك به جامع ، قال : لا يزال لسانك رطبا بذكر الله . وفى رواية قال : ويكفينى يارسول الله ؟ قال : نعم ويفضل عنك } {٤٨}

فرسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن أمر واحد فى الدين يتمسك به رجل بسيط يتبين طريقه الى الله فى خضم الأوامر والنواهى الالهية، فأخبره عليه الصلاة والسلام بأن دوام الذكر ينوب عنه فى ذلك ، فيكون بديلا لها وعوضا عنها .
فهاهنا اشارة الى أن الذكر جماع كثيرمن أبواب الإسلام : فهو هنا " باب جامع"

(٤٨)   وكذلك كان فى ارشاد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى احلال الذكر محل تلاوة القرآن فى الصلاة ـ لمن لا يقدر على القرآن ـ اشارة الى البدلية ولكن ليس الى الأفضلية .
ففى فتوى للشيخ ابن تيميه يقول :

" في صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر"
وفى الترمذى عن أبى سعيد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من شغله

{٤٨} ـ أخرجه الإمام أحمد بهذا اللفظ، . وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وأبو نعيم فى الحليه والحاكم فى المستدرك وصححه وخرجه الترمذى وقال حسن غريب ، وخرجه إبن السنى والطبرانى وابن حبان عن معاذ بن جبل ، وصححه ابن رجب فى جامع العلوم والحكم ، والمنذرى فى الترغيب والترهيب واللذهبى فى تلخيص المستدرك ، واعتمده بن القيم فى الوابل الصيب من الكلم الطيب .
انظر: بن حسام الدين الهندى ،الكنز، المرجع /٢٨ ، جزء/١ ، ص ٤١٤، حديث ١٧٥٢، ص/٤١٧ حديث رقم / ١٧٧٢، حديث ١٨٤١ ص ٤٢٧

قراءة القرآن عن ذكرى ومسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين " وكما فى الحديث الذى فى السنن فى الذى سأل النبى صلى الله عله وسلم فقال : انى لا أستطيع أن آخذ شيئا من القرآن فعلمنى ما يجزئنى فى صلاتى ، قال : " سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولهذا كانت القراءة فى الصلاة واجبه . فإن الأئمة لا تعدل عنها الى الذكر الا عند العجز والبدل دون المبدل منه " انتهى {٤٩}

(٤٩) والظاهر من الايات والأحاديث أنه ليس من عبادة أخرى غير ذكر الله ، صرح الشرع بأنها تحل محل غيرها من العبادات : ومقتضى ذلك إما أن لهذه العبادة خاصية هى لب العبادات الأخرى بحيث تغنى عنها .
أو أن هذه العبادة فيها المراد من جميع العبادات الأخرى بحيث يمكن أن تحل محلهن ، وأن تغنى عنهن اذا اقتضى الأمر .

(٥٠) وليس من عبادة أمر الحق ـ جل جلاله ـ بالدوام عليها فى كل الأحيان ، وكل الأماكن ، حتى فى الأسواق غير الذكر : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ من دخل السوق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو علي كل شئ قدير . كتب الله له ألفَ ألفَ حسنة ، ومحا عنه ألفَ ألفَ سيئة ، ورفع له ألفَ ألفَ درجة ، وبنىً له بيتا فى الجنة } {٥٠}

{٤٩} ـ انظر ابن تيميه ، الفتاوى الكبرى ، المرجع / ٤٥ ، جزء /١ ، ص ٢٣٣

{٥٠} ـ أخرجه الإمام أحمد ، والترمذى ، والحاكم ، وإبن ماجه عن إبن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .
انظر : النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع /٢٥ ، جزء / ٣ ، ص ١٨٩
انظر : الحاكم ، المستدرك ، المرجع /١٨ ، جزء / ١ ، ص ٥٣٨
انظر : المباركفورى ، تحفة الأحوذى ، المرجع /١٣ ، جزء ٩ ، ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، حديث رقم/ ٣٤٨٨ ، ٣٤٨٩

رابعا : خلاصة القول فى هذا الفصل

(٥١) فخلاصة القول إذن أن الذكر يفضل غيره من العبادات ، ويحل محلها إذا نشأت الضرورة لذلك، وفيه جماع العبادات كلها .

ولله در ابن القيم ، وهو يعبر عن الإتجاه العام لدى علماء الأمة ، بالبيان البليغ فيقول :

" والذكر منشور الولاية ، الذى من أعطيه اتصل ، ومن منعه عزل . وهو قوت قلوب القوم ، الذى متى فارقها صارت الأجساد لها قبورا . وعمارة ديارهم ، التى إذا تعطلت عنه صارت بورا .

وهو سلاحهم الذى يقاتلون به قطاع الطريق وماؤهم الذى يطفئون به التهاب الحريق ، ودواء أسقامهم الذى متى فارقهم انتكست منهم القلوب . والسبب الموصل ، .العلاقة التى كانت بينهم وبين علام الغيوب .

" إذا مرضنا تداوينا بذكركم : فنترك الذكر أحيانا فننتكس "

به يستدفعون الآفات ، ويستكشفون الكربات ، وتهون عليهم به المصيبات ، إذا أظلهم البلاء . فإليه ملجؤهم . إذا نزلت بهم النوازل ، فاليه مفزعهم .

فهو رياض جنتهم التى فيها يتقلبون ، ورؤوس أموال سعادتهم التى بها يتجرون ، يدع القلب الحزين ضاحكا مسرورا ، ويوصل الذاكر الى المذكور، بل يدع الذاكر مذكورا .

وفى كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة . و " الذكر" عبودية القلب واللسان وهى غير مؤقتة .

بل هم مأمورون بذكر معبودهم ومحبوبهم فى كل حال : قياما، وقعودا ، وعلى جنوبهم .

فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها فكذلك القلوب بور خراب ، وهو عمارتها ، وأساسها وهو جلاء القلوب وصقالها . ودواءها اذا غشيها اعتلالها .

وكلما إزداد الذاكر فى ذكره استغراقا : إزداد المذكور سبحانه محبة الى لقائه وإشتياقا .وإذا واطأ فى ذكره قلبه للسانه : نسى فى جنب ذكره كل شئ. وحفظ الله عليه كل شئ وكان له عوضا عن كل شئ .

به يزول الوقر عن الأسماع ، والبكم عن الألسن ، وتنقشع الظلمة عن الأبصار . زين الله به ألسنة الذاكرين . كما زين بالنور أبصار الناظرين . فاللسان الغافل : كالعين العمياء ، والأذن الصماء ، واليد الشلاء . وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ، مالم يغلقه العبد بغفلته .

قال الحسن البصرى رحمه الله : تفقدوا الحلاوة فى ثلاثة أشياء : فى الصلاة ، وفى الذكر ، وفى قراءة القرآن ، فإن وجدتم .... والا فإعلموا أن الباب مغلق .

وبالذكر يصرع العبد الشيطان . كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان .

قال بعض السلف : إذا تمكن الذكر من القلب . فإن دنا منه الشيطان صرعه كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان . فيجتمع عليه الشياطين فيقولون : ما لهذا ؟ فيقال : قد مسه الانسى .

وهو روح الأعمال الصالحة . فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذى لا روح فيه . والله أعلم " . انتهى {٥١}

{٥١} ـ انظر : ابن القيم الجوزية ، مدارج السالكين ، المرجع / ٤٢ ، جزء / ٢ ، ص ٤٢٣ ـ ٤٢٤

الفصل الثالث

مركزية الذكر والفكر فى الإســـلام

- أولا : مركزية الذكر والفكر فى الإسلام
- ثانيا : ماهية الذكر
- ثالثا : الذكر والفكر
- رابعا : خلاصة القول فى هذا الفـصل

(٥٢) النتيجة السابقة التى توصلنا إليها في الفصل السابق ، وهى أن ذكر الله قاسم مشترك فى العبادات والقربات ، وأنه مرادها ، وأنه أفضلها وجماعها ، تنشىء عدة تساؤلات :

الأول : إذا كان ذكر الله على هذه الأهمية ، فلابد أن له معنى أو معان ، وبعد أو أبعاد ، تفوق بكثير المعنى المألوف والدارج عند عموم الناس . فما هى طبيعة هذا الذكر ، وما معناه وماهيته ؟ وما هى أبعاده ؟

الثانى : إذا كان لذكر الله هذه الأهمية ، فلا بد أنه أساس فى القرآن والسنة ومراد لذاته فيهما . ولا يكون أساساً ومراداً لذاته إلا إذا حقق مطلباً أساسياً فى الدين . فما هو هذا المطلب وما علاقته بالذكر ؟

الثالث : وإذا كان الذكر مركزياً وهاماً فى لب الدين ، وقد ربطه الله تعالى في آيات كثيرة بالفكر ، فما العلاقة بينهما وما دورهما فى الدين ؟
وأمثال ذلك من هذه التساؤلات . ونقول فى ذلك :

أولا : الطبيعة العامة للذكر

كلمة الذكر فى القرآن :

(٥٣) وردت كلمة " الذكر " ومشتقاتها فى القرآن بأوجه عديدة ، نذكر منها ، وليس كلها :

(١) ذكر اللسان :

{ فاذكروا اللهَ كذكرِكُمْ آباءَكُمْ أو أشدَّ ذكرًا فمنَ الناسِ من يقول ربَّنا آتِنَا فى الدُّنيا ومالَهُ فى الآخرةِ من خَلَاق -٢/البقرة ٢٠٠ }

(٢) ذكر القلب مع اللسان أو بدونه :

{ والذينَ إذا فعلُوا فاحشةً أو ظلَمُوا أنفُسَهُمْ ذكرُوا اللهَ فاستغفروا لذُنُوبِهِمْ ومنَ يغفرُ الذنوبَ إلا اللهُ ولم يُصِرُّوا على مافعلواَ وهمَ يَعلمون - ٣/ آل عمران ١٣٥ }

(٣) العظة ، وهى التنبيه على أمر ما وأحضاره فى ذهن المستمع :

{ فلما نَسُوا ماذُكِّرُوا به فَتَحنَا عليهم أَبْوَابَ كُلِّ شيءٍ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهُمْ بغتَةً فإذا هم مُبْلِسُون - ٦/ الأنعام ٤٤}

{ وَذَكِّر ، فإنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ المؤمنين - ٥١/ الذاريات ٥٥ }

(٤) البيان : وهو توضيح معنى واحضاره للوعى مفهوماً :

{ أَوَعَجِبْتُمْ أن جاءكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ على رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ ولِتَتَّقُوا ، ولعلكم ترحمون - ٧/ الأعراف ٦٣ }

(٥) الحديث : أى ذكر الخبر عن شيء ما وتنبيه السامع إليه :

{ وقال للذي ظن أنه نَاجٍ منْهُمَا اذْكُرْنِى عند رَبِّكَ فأنساه الشيطانُ ذِكْرَ ربِّهِ فَلَبِثَ فى السِّجنِ بِضْعَ سِنِين - ١٢/ يوسف ٤٢ }

(٦) القرآن : وهو وسيلة العلم بالله وصفاته وأفعاله :

{ إنا نحن نَزَّلْنَا الذكرَ وإنا لَهُ لَحَافِظُون - ١٥/ الحجر ٩ }

(٧) الخبر : وهو إعلام السامع بأمر ما وإحضاره إلى وعيه :

{ ويسألونَكَ عَنْ ذِى القَرْنَيْنِ قُلْ سَأتلوا عليكُمْ مِنْهُ ذِكْراً - ١٨/الكهف٨٣}

(٨) الحفظ : وهو مداومة الوعى بالشيء وعدم نسيانه :

{ وإذ نَتَقْنَا الجبلَ فوقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وظَنُّوا أنه واقعٌ بِهِمْ خُذُوا ماآتيناكم بِقوةٍ واذكروا ما فيه لعلكم تتقون - ٧/ الأعراف١٧١ }

(٩) العيب :أى الأخبار بسوء ، أى إحضار معنى قبيح عن شيئ فى ذهن المستمع :

{ وإذا رَآكَ الذين كفروا إنْ يَتَّخِذُونَكَ إلا هُزُواً أهذا الذى يَذْكُر آلِهَتَكُمْ وهم بِذِكْرِ الرحمنِ هم كافرون - ٢١ / الأنبياء ٣٦ }

(١٠) اللوح المحفوظ :

{ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزبور مِنْ بَعْدِ الذكرِ أَنَّ الأرضَ يَرِثُهَا عِبادِىَ الصالحون ـ ٢١/ الأنبياء ١٠٥** }

(١١) صلاة الجمعة :

{ **يأيها الذين آمنوا إذا نُودِىَ للصلاةِ مِنْ يوم الجُمُعَة فاسعوا إلى ذكر الله وَذَروا البَيْعَ ذَلِكُم خيرٌ لكم إنْ كنتم تعلمون ـ ٦٢/ الجمعة ٩** }

(١٢) التوراة : من حيث كونها علم من الله :

{ **وما أرسلنا قَبْلَكَ إلا رِجالاً نُوحِى إليهم فَسْئَلُوا أهلَ الذكرِ إن كنتم لاتعلمون ـ ٢١/ الأنبياء ٧** }

(١٣) الشرف : وهو جعل أمر مافى محل مرتفع فى إدراك الناس :

{ **وإِنهُ لذكرٌ لكَ ولِقَوْمِكَ وسَوْفَ تُسْئَلُون ـ ٤٣/ الزخرف ٤٤** }

(١٤) الوحى : وهو تنزل العلم من الله لوعى الموحى إليه :

{ **فالتّالِيَاتِ ذِكْراً ـ ٣٧/ الصافات ٣** }

وعدد من الأستعمالات الأخرى التى اشتبهت علينا فلم نذكرها صراحة .

(٥٤) والواضح من هذه الأوجه السابقة لأستعمالات كلمة "**الذكر**" فى القرآن الكريم أن هناك رباطاً يجمع بينهما جميعا :
ألا وهو : تواجد أو إستحضار شىء ما فى الإنتباه والوعى . والقلب هو محل ذلك الوعى . {٥٢}

{٥٢} ـ القلب الذى يتحدث عنه علماء المسلمين ، والذى نقصده هنا ليس هو القلب المادى الذى يعمل كمضخة الدم لباقى أجزاء الجسم . ولكنه "لطيفة" أو خاصية موقعها نفس موقع ذلك القلب . والعقل والإدراك والنفس كلها مرتبطة بهذا القلب غير المادى وتدور فى فلكه .

وقد تستخدم الجوارح ـ أى أعضاء الجسد ـ فى تأكيد هذا الوعى فيكون المرء ذاكراً بقلبه ولسانه . وقد يؤكد العمل حقيقة هذا الذكر فيكون الذاكر ذاكراً باللسان والقلب والعمل أو يكون الذكر فقط بالقول باللسان أو خفياً فى القلب .

مفهوم كلمة " الذكـــر "

(٥٥) فالذكر فى المفهوم الواسع يشمل جميع الأقوال والأحوال والأفعال التى يكون لها تعلق بالله تعالى .
فجميع أعمال الجوارح التى يقصد بها المرء ربه ، والتى هى من الأستجابة لأمره ونهيه هى ذكر لله . وانطلاقات القلب الباطنة ومداركه تشوقاً إلى مولاه هى ذكر لله .
إلا أن الغالب على معنى لفظ " الذكـر " عند عامة الناس ، إنما هو الذكر بحركة اللسان ، سواء اشترك معه القلب والجسد ، أم انفرد به اللسان .
ولا جدال فى أن الذكر الذى يجمع بين القول والحال القلبى والعمل هو قمة ذكر الله كله .

(٥٦) وقول الإمام ابن القيم الجوزية " الرأى الغالب عند العلماء اعتبار ما يتعلق بأفعال العباد سواء دراسة أحكام الأمر والنهى أى الشريعة والفقه ، أو القيام بتنفيذها عبادات ومعاملات ، من الفقه الأكبر . ومن ثم تستبعد من المعنى المتعارف عليه والمألوف للذكر " . {٥٣}

وذلك بنفس المنطق الذى بيناه بخصوص كلمة الإسلام فى المعنى العام الواسع ومعناها الخاص المألوف . {٥٤}

فإذا استبعدنا الذكر بالأعمال ودراسة ما يتعلق بها من أحكام يتبقى الذكر بالقلب والذكر باللسان . والذكر بالقلب ذكر خفى والذكر باللسان ذكر جهرى .

{٥٣} ـ انظر : ابن قيم الجوزية ، الوابل الصيب ، المرجع / ٤١ ، ص ٨٢

{٥٤} ـ انظر : بداية الفصل الأول .

(٥٧) ويجمع الله في آيات الكتاب المبين ، بين الإيمان والعمل الصالح على الوجه الذي يظهر منه أن الأفعال تابعة للأحوال القلبية ، ومنعكسة عنها وأن القلب محل نظر الله تعالى في العبادة .

{ يوم لا يَنْفَعُ مَالٌ ولا بَنُونَ إلا مَنْ أتى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيم ـ ٢٦/ الشعراء ٨٨ ، ٨٩ }

والأعمال ـ عند أهل السنة والجماعة ـ جزء من مفهوم الإيمان : فلا يتصور إيمان بلا عمل . فإن القلب إذا امتلأ بشعور ما ـ أياً كان هذا الشعور ـ لابد له من التعبير عنه ، ولو في خلجة عين ، أو ابتسامة ، أو فعل أوضح من ذلك . قال الله تعالى :

{ مَنْ عَمِلَ صالحًا مِنْ ذكرٍ أو أنثى وهُوَ مُؤْمِنٌ : فَلَنُحْيِيَنَّهُ حياةً طيبةً ، وَلَنجْزِيَنَّهُم أجرهم بِأحسنِ ماكانوا يعملونَ ـ ١٦/ النّحل ٩٧ }

وقال تعالى :

{ ومَنْ أرادَ الآخرةَ وسَعَى لها سَعْيَهَا وهو مُؤْمِنٌ ، فأولئك كان سَعْيُهم مشكوراً ـ ١٧/ الأسراء ١٩ }

فجعل ـ سبحانه ـ الإيمان شرطاً سابقاً لحدوث الأعمال الصالحات التي يعتد بها . وهي بلاشك تكمله وتكون معه كُلاً واحداً هو الموجب والمسبب لرضاء الله تعالى وثوابه . ولقد وضح رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المعنى ، في بيانه للإيمان بأنه :

{ ما وَقَرَ في القلب ، وصَدَّقَهُ العمل } {٥٥}

وقوله ، عليه أفضل الصلاة والسلام :

{ الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ شُعْبَة : فأفضلُها قولُ لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان } {٥٦}

{٥٥} ـ أخرجه الديلمي في مسند الفردوس وابن النجار وسعيد بن منصور في سننه عن أنس رضي الله عنه ، حديث حسن .

انظر : النبهاني ، الفتح الكبير ، المرجع/ ٢٥ ، جزء/٣ ، ص٥٧

انظر : بن حسام الدين الهندي ، الكنز ، المرجع/ ٢٨ جزء/١ ، ص٢٥ ، حديث رقم/١١

{٥٦} ـ أخرجه الإمام مسلم وأبوداود ، والنسائي ، وبن ماجه ، عن أبي هريرة . وكذلك أخرجه الترمذي ، والبخاري باختلاف في اللفظ عن أبي هريرة أيضاً ، رضي الله عنهم .

انظر : النبهاني ، الفتح الكبير، المرجع/ ٢٥ ، جزء/١ ،ص ٥١.

انظر : بن حسام الدين الهندي ، الكنز ، المرجع/٢٨ ، جزء/١ ،ص٣٥، حديث رقم/٥٢

ففى الحديث الأول يكون العمل دليلاً على ما فى القلب من خصال .
فكأن العمل هو ذكر إيجابى تنفيذى يصدقه مافى القلب ويبينه وينعكس عنه .

وفى الحديث الثانى تشمل شعب الإيمان القول بالشهادة ، وما يترتب عنها من حال وسلوك حتى إماطة الأذى عن الطريق العام رغبة فى ثواب الله .
كما أن هذا العمل يعبر عن حال شعورى يعد من الإيمان أيضاً .
ولعل أوضح دليل على توقف نوعية العمل ودرجته على حال القلب إنما هو قوله صلى الله عليه وسلم :

{ ألا إن فى الجسد مُضْغَةً إذا صَلُحَتْ صَلُحَ الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب } (٥٧)

فالعمل الصالح ثمرة لما فى القلب من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره .
فالإيمان ـ عند أهل السنه والجماعة ـ مجموع كلى لما فى القلب ، وما ينبعث عنه من أعمال سلوكية .

(٥٨) ومن ثم فإجماع أهل العلم على أن ذكر القلب يعلو على ذكر اللسان ويفضله . وإلى هذا يشير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ خَيْرُ الذكرِ الخَفِى وخيرُ الرزقِ ماكَفَى } (٥٨)

وهو خبر كاف فى أن ذكر القلب وحده يعلو على ذكر اللسان وحده .
أما أفضل الذكر فيكون بالجمع بينهما طالما أن لكل منهما أجره وفوائده .

---

(٥٧) ـ جزء من حديث متفق على صحته ، رواه الشيخان البخارى ومسلم عن النعمان بن بشير رضى الله عنهم أجمعين .
انظر : الإمام النووى ، الأربعين النوويه ، المرجع/ ٢١، الحديث السادس ، ص ٢٦
انظر : ابن رجب الحنبلى و جامع العلوم والحكم ، المرجع/ ٢٣ ، ص٨١

(٥٨) ـ أخرجه الإمام أحمد ، وابن حبان ، والبيهقى عن سعد .
انظر : الإمام السيوطى ، الجامع الصغير ، المرجع/ ٢٤ ، جزء/٢ ص٨
انظر : ابن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع/ ٢٨ ، جزء/١ ص٤١٧ ، حديث رقم/ ١٧٧١

غير أن ذكر اللسان يبدو ضرورياً لتحقيق ذكر القلب : فهو مدخل وباب للذكر القلبى ومحرك لحال القلب .
ولذا يعتبر ذكر اللسان بداية ذكر الله كله . ولعل هذا واضح فى كون الإسلام كله يبدأ بالشهادتين ويشترط فيهما التلفظ جهراً باللسان . وواضح أيضاً من قوله صلى الله عليه وسلم :

{ جَدِّدُوا إيمانكم : أكثروا من قول لا إله إلا الله } {٥٩}

(٥٩) وذكر الله باللسان إنما يقصد به أمران أساسيان :

الأول : الثواب من الله تعالى . **إذ يرى جمهور الفقهاء وجوب التلفظ باللسان فى الذكر** . وسبب ذلك أن الأحاديث النبوية الشريفة وردت دائماً بقوله صلى الله عليه وسلم بصيغة :

{ من قال كذا كان له من الأجر كذا } {٦٠}

والقول لا يكون إلا بالتلفظ بالكلمة .

الثانى : إيقاظ القلب وتعميره بالمذكور ، وإيضاح المعنى للعقل . ويتحقق ذلك بأمرين :

أ ـ التكرار ، إذ هو إصرار على إلزام النفس باستحضار عظمة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله سبحانه وتعالى المذكورة بكلمات الذكر . ومن ذلك تكون الفائدة بتحقق الأنتباه مع الأعتياد على الذكر ، ثم تفهم معانيه .
وهذا التكرار يثبت " المذكور " بالإيحاء ويكون الألفة معه . وفى هذا المعنى يقول النبى الخاتم عليه صلوات الله وسلامه :

{ جددوا إيمانكم : أكثروا من قول لا إله إلا الله } {٦١}

ب ـ اشتراك أكثر من جارحة فى الذكر : فدخول السمع مع اللسان يزيد فى الأنتباه ويقوى الإحساس ، ويرسخ المعنى .

{٥٩} ـ سبق تخريجه ، انظر بند رقم/٣٦ ، هامش رقم/٢٦، ص٣٢

{٦٠} ـ انظر : محمد بن على الشوكانى ، تحفة الذاكرين ، المرجع/٣٠ ، ص٣٣

{٦١} ـ سبق تخريجه ، انظر : بند رقم/٣٦ ، هامش رقم/ ٢٦ ، ص٣٢

إذ أن تعدد وسائل الإدراك يعدد "صور" و "مفاهيم" المذكور فى الوعى .
فالمستمع لحديث بدون رؤية المتكلم يكون بلا شك أقل تخيلاً لمعنى الكلام من الناظر إلى المتكلم حيث تنتقل إليه بعض المعانى من صورة المتكلم وإنفعالاته.
كما أن أستقرار الجوارح يستتبع راحة النفس والأطمئنان إلى جنب الله .

(٦٠) إلا أنه لا يشترط واقعيا فى كل من تلفظ بقول ما ، كالنطق بالشهادتين مثلاً ، أن يكون على يقين قلبى وقناعة تامة بهما ، ولا أن تكون أفعاله معبرة عن التزامه بحقيقة الشهادتين تعبيراً يتطابق مع الأنطباع الذى يعطيه نطقه اللسانى .
فالعلاقة بين القول وحال القلب ، والعمل تثير احتمالات كثيرة .

فأولاً : إذا كان الفعل الظاهر يفوق ويعلو على أحوال العبد القلبية الباطنة فنحن أمام ثلاث احتمالات :

أ ـ أن يكون سلوكه الظاهر ـ بالتقوى والصلاح والزهد ومظاهر الإيمان العميق مثلاً ـ بقصد التظاهر للحصول على إعجاب الناس . ويكون مع ذلك أصل التقوى والصلاح والزهد والإيمان فى قلبه فعلا ولكن بدرجة أقل مما تعبر عنه أحواله الظاهرة ـ فهذا يكون رياء .

ب ـ وأما إذا كانت هذه الأفعال الظاهرة خداعاً وليس فى القلب إيمان ولا تقوى ولا غيره ، فهذا هو النفاق .أى أن النفاق متعلق بانتفاء (أى عدم وجود) حقيقة الإيمان من القلب ، و بأن القصد ليس الحصول على إعجاب الناس ، وإنما مخادعتهم . قال تعالى :

{ يُخَادِعُونَ اللهَ والذين آمنوا ، وما يَخْدَعُونَ إلا أَنْفُسَهُمْ وما يشعرُونَ ـ ٢/ البقرة ٩ }

جـ ـ وإما أن تكون أفعاله الظاهرية الطيبة ، وإن كانت تفوق حاله الإيمانى فى القلب إنما هى بقصد الحصول على الثواب من الله ، وتشبها بالصالحين والتزاما منه بأمر الله ورسوله ، وليست لمراءة الخلق : فهذا ليس نفاقاً قطعاً ، وإنما نوع من المجاهدة فى الله .
وهذا من حال المسلم فى أول الطريق . إذ يحاول أداء المأمورات وهو لم يتحقق بعد بالإيمان الكامل المتعلق بها .

(٦١) وثانيا وعلى العكس من ذلك يتخيل أن يكون قلب المؤمن عامراً بالإيمان ، وتنفيذه الفعلي أقل من حاله القلبي : والظاهر أن هذا هو حال غالبية العباد . وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ نيّةُ المؤمن خيرٌ منْ عَمَلِه ، وعملُ المنافق خيرٌ من نيته وكل يعمَل على نيّته فإذا عمل المؤمن عملاً ثارَ في قلبه نور } {٦٢}

فهنا مشكلة نعاني منها جميعاً ، هي رغبتنا في تحقيق وتنفيذ ما نعرف من الدين ، ولكن قدرتنا التنفيذية أقل في القوة والشدة ، من مدى علمنا بما هو مطلوب ومستحب فلا تنفذ عادة إلا جزءاً مما نعرف .

ولعل السر في ذلك يرجع إلى ضعف العزيمة ،وإلى النسيان ، وهذان يؤديان إلى إنشغال المرء بالظروف المحيطة به والإستسلام إلى تنازلات صغيرة ، تكون كبيرة في مجموعها ، وخطراً على حاله كله : ومعظم النار من مستصغر الشرر .

والتمسك بحدود الشرع هو أول الوقاية ، والخروج من الغفلة إنما هو بدوام الإنتباه إلى المولى سبحانه بتذكره وذكره وهو عماد الأمر كله .

(٦٢) وخلاصة القول إذن ، أن القلب هو البؤرة المركزية للأعمال والأقوال وأن استعمال اللسان هو البداية والمعين على تعمير القلب بذكر الله ، وقد يكون شرط للحصول على ثواب الأذكار .

وأن الأعمال الصالحات المتصفة بالأخلاص ــ وهو شرط في قبول الأعمال ــ إنما تنبعث عن القلب وتعبر عن حاله : وقد تسبق هذه الأعمال حال القلب فتكون إما مجاهدة بالإلتزام ، وإما مراءاة للناس .
وإما إذا كانت الأعمال لا أساس لها في القلب ، فهي نفاق والعياذ بالله من الشيطان الرجيم .

{٦٢} ـ أخرجه البيهقي عن أنس ، والطبراني عن سهل بن سعد وله روايات، ومعناه صحيح وله شواهد كثيرة منها : حديث عمر بن الخطاب المتفق على صحته " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرىء ما نوى ..الخ
انظر : النبهاني ، الفتح الكبير ، المرجع/٢٥٠ ، جزء/٣ ،ص ٢٦٥
انظر : على بن أبى بكر الهيثمي ، مجمع الزوائد ، المرجع/٣٨ ،جزء/١ ،مجلد/١ ، ص ١٠٩

ثـانيـا : مـاهيـة الذكـر

(٦٣) الإنتباه ضد الغفلة : فلا شك فى أن الناسى لأمر ما لا يخطر بباله شىء عن هذا الأمر ، أى أنه يكون غافلا عنه .

ومن ثم فإن الإنتباه لأمر ما إنما يعنى تذكر الشخص لهذا الأمر ، وانصراف وعيه إليه . ولذا يكون ذاكرا له أو متفكرا فيه ، أو الإثنين معا .

وذاكر الله ، إذن ، هو المنتبه إليه أو إلى صفاته أو أفعاله ، واعيا لوجود الله مستحضرا له فى الذهن أو الشعور . أما الناسى الغافل فهو على العكس من ذلك .

والغفلة عن الله ونسيانه خطر عظيم يقع فيه المرء كما أن صاحبها ممقوت من الله تعالى ، وقد وصفه رب العزة بالفسق مرة وبأنه أحط من الأنعام مرة أخرى :

{ وَلا تَكُونُوا كَالذِينَ نَسُوا اللهَ فَأنسَاهُمْ أنفُسَهُمْ ، أولَئكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ـ ٥٩/ الحشر١٩ }

{ وَلَقَدْ ذَرَأنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنِّ وَالإنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لايَفْقَهُونَ بِها ولهم أعينٌ لايُبصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذانٌ لايَسْمَعُونَ بِهَا ، أولَئكَ كَالأنعامِ بَلْ هُـمْ أضَلُّ أولَئِكَ هُـمُ الغَافِلُونَ ـ ٧/ الأعراف ١٧٩ }

{ أولَئكَ الذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلىَ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأبْصارِهِم وَأولَئِك هُمُ الغَافِلُونَ ـ ١٦/ النحل ١٠٨ }

ومشكلة النسيان عند الإنسان تحتل دوراً بالغ الأهمية والخطورة فى الدين . كما أن اليقظة من الغفلة ، والتى تعنى القومة لله أى (النهوض إلى خدمته ومعاملته) بالعلم والعمل ، هى أول وأهم خطوات الطريق إلى الله تعالى ، وهى أساسه أيضا :

قال تعالـى : **{ قل إنما أعظُكُمْ بِواحدَة :أنْ تَقُومُوا للهِ مَثْنَى وفُرادى ، ثم تتَفَكَّروا ... ـ ٣٤/ سبأ ٤٦ }**

(٦٤) والله ـ جل شأنه ـ يبين أن النسيان أحد أهم الخصائص التى سببت السقوط الآدمى ، والذى تعمل أوامر الشرع كلها ـ خاصة العبادات ـ على علاجها وتخليص الإنسان منها ومن آثارها ونتائجها . يقول سبحانه وتعالى :

{ وَلَقَدْ عَهِدنَا إلى آدَمَ منْ قَبْلُ فَنسيَ وَلَمْ نَجدْ لهُ عَزْماً ، وإذْ قُلْنَا للمَلائكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبليسَ أبى ، فَقُلْنَا: يا آدمُ إنَّ هَذَا عَدُوٌ لَكَ ولزَوْجكَ فلا يُخرجَنَّكُما منَ الجنة فتشقَى ، إنَّ لك ألا تَجُوعَ فيهَا ولاَ تَعرَى وأنَّكَ لاَتَظْمَأُ فيها ولاَ تضْحَى فَوَسْوَسَ إليه الشيطانُ قالَ يا آدمُ هَلْ أدُلُّكَ على شَجَرَةِ الخلد ومُلْك لايبلى ، فَأكَلاَ منْهَا فَبَدَتْ لهُما سَوْءاتهما وطفقَا يَخْصِفَانِ عَليهمَا منْ وَرَق الجنة وَعَصَى آدمُ ربَّهُ فَغَوَى ، ثم اجتَبَاهُ ربُّهُ فتابَ عليه وهدَى قَالَ اهْبطاَ منْها جميعاً بَعْضُكُمْ لبَعْضٍ عدوٌ فإمَّا يَأتيَنَّكُم منِّى هُدًى فَمَنْ اتبعَ هُدَايَ فلا يَضلُّ ولا يشقَى ومن أعْرَضَ عَن ذكْري فإنَّ له مَعيشَةً ضَنْكاً وَنَحشُرُهُ يومَ القيامَة أعمى ، قالَ رَبِّ لم حَشَرْتَنى أعمى وقد كنتُ بصيراً قالَ كَذلكَ أتَتْكَ آياتُنا فَنَسيتَهَا وكذلك اليومَ تُنْسَى ، وكذلك نَجْزى من أسرَفَ ولم يُؤْمنْ بآياتِ ربِّه ولعذابُ الآخرة أشدُّ وأبقَى ـ ٢٠/ طه ١١٥ـ١٢٧ }

ففى هذه الآيات أربعة عناصر تفسر الهبوط الآدمى وهي خصائص فى الإنسان : اثنتان من قبيل الصفات ، واثنتان من قبيل النزعات النفسية :

١ـ النسيان ...... { ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى}

٢ـ ضعف العزيمة ......{ ... ولم نجد له عزما }

٣ـ حب الخلود ..... { قال هل أدلك على شجرة الخلد...}

٤ـ حب الملكية ......{ وملك لا يبلى ... }

٥ـ ويضاف إلى هذه العناصر ، عنصراً خامساً اشترك فى تسبيب ظاهرة الهبوط ، وهو حب السمو والعلو ويستدل عليه من قوله تعالى :

{ وقال مانَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذه الشجَرَة إلا أنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أو تكونا من الخالدين ـ ٧/ الأعراف ٢٠ }

فهنا حب آدم لأن يكون فى المقام الأعلى من حيث القرب من الله .
فخديعة الشيطان له هنا ، تبدو لبعض العلماء ، لا من نزعة إلى عصيان الله ، ولكن رغبة فى القرب منه ، ظنا بأن الملائكة هم أقرب خلقه إليه .

مشكلة النسيان وهبوط سيدنا آدم عليه السلام

(٦٥) ومن هذه الخصائص الأساسية تنبع الصفات السلوكية الهبوطية والصعودية : أى التى تعلو بالأنسان إلى الرقى والتسامى ، وتلك التى تحطه إلى الأرض والتدانى . وقد جعل الله تعالى خصائص الإنسان فيه ، قابلة لاتخاذ الإتجاهين الهابط والصاعد ، فجوراً وتقوى . قال تعالى :

{ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ـ ٩١/ الشمس٧ ، ٨}

فالغضب شر ولكنه إن كان لله وفى الله فهو خير .
والخيلاء شر ناتج عن مرض في النفس ولكن إن كانت مشية الخيلاء عند اللقاء فى الجهاد فى سبيل الله فهى مشيه يحبها الله ورسوله .
والحب خير ، ولكن حب أعداء الله شر .
والرحمة خير إن كانت مع المؤمنين وشر إن كانت مع الكافرين ، إلا إن كانت الرحمة بمعنى أن تهديهم إلى الله .
والعزة على المؤمنين شر ، وعلى الكافرين خير .

(٦٦) وعمل هذه الصفات والنزعات في الأتجاه الهبوطى أو الأتجاه الصعودى وثيق الإرتباط بأمرين عظيمى الأهمية : أولها الشيطان وإغوائه ، وثانيهما النفس ونوازعها .
فالبشر أصلاً على الفطرة : قال صلى الله عليه وسلم :

{ كُلُّ مولود يُولَدُ على الفِطْرَةِ وإنما أَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ويُنَصِّرَانِهِ ويُمَجِّسَانِهِ } {٦٣}

{٦٣} ـ أخرجه الإمام البخارى ومسلم والترمذى عن أبى هريرة ، والطبرانى وأبو يعلى عن الأسود بن سريع .
انظر : ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، المرجع /١١، جزء / ٣ ، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ ، حديث رقم / ١٣٨٥ .
انظر : النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع/٢٥ ، جزء/٢ ، ص ٣٢٩

و انحراف الإنسان عن الفطرة إنما هو بفعل البيئة العامة . والبيئة تشمل الشياطين ، وما فعلته فى الأنسان فأورثته ما يسمى ثقافة وحضارة قد تكون شيطانية فى حقيقتها . والأبوان جزء من بيئة المولود . على اختلاف حالهما من صلاح وتقوى أو فساد أو عصيان لرب السماوات والأرض . ولولا محاربة الشياطين للإنسان لكان الناس على الفطرة متصلين بقلوبهم بربهم وبما خلق من أكوان . وقال صلى الله عليه وسلم :

{ لولا أن الشياطينَ يَحُومُونَ على قلوبِ بَنى آدمَ لَنظَروا فى مَلَكُوتِ السموات والأرضِ } {٦٤}

(٦٧) فالشيطان تتوجب معاداته بمعنى عدم طاعته أو الألتفات إليه ، وعدم الأمان لما يورده من وساوس . وليس معنى معاداته الإنشغال به بحيث يجعل المرء هذه المعاداة هى همه الأول . بل إن معادته الحقيقية هى فى أن ينشغل العبد بالله تعالى ويلجأ إليه فى عبودية صادقة بالطاعة والحب.

والله تعالى يكفى عبده كل حاجاته إن كان العبد لله وليس لغيره ...

{ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ـ ٣٩ / الزمر ٣٦ }

وهذا المعنى نفسه ظاهر فى المعوذتين وفى الإستعاذة وهو مضمونها ولبها . فليس العبد هو الذى يعتمد على نفسه ، بل العبد الصادق هو الذى يعلم أن لا حول ولاقوة إلا بالله ، فيلجأ إليه ويسلم له أمره وحاجته . ويطلب منه فى صدق عبودية : أى يدعوه ويستعيذ به :

و **{ الدعاءُ مُخُّ العبادة }** {٦٥}

وقد روى عن بعض الأئمة رضى الله عنهم أجمعين : قال : سمع الناس قول الله تعالى :

{ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً ـ ٣٥/ فاطـر٦ }

ففهم قوم من هذا الخطاب أنهم أمروا بعداوة الشيطان فجعلوها حربا بينهم وبينه فكان النصر لهم مرة وله مرة . وقوم فهموا أن " الشيطان لكم عدو" أى وأنا الله لكم حبيب ، فانشغلوا بمحبة الله فكفاهم من دونه .

{٦٤} ـ أنظر : تخريج الإمام العراقى على هامش الإحياء . المرجع / ٤٨ ، جزء / ١ ، ص ٢٣٢

{٦٥} ـ أخرجه الأمام الترمذى ، وابن ماجه ، عن أنس رضى الله عنهم أجمعين .

انظر : ابن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع/٢٨ ، جزء/٢ ، ص٦٢ ، حديث ٣١١٤

وسأل أحد مشاهير الصالحين رضوان الله عليهم ، كيف كانت معاداته وحربه للشيطان فقال فى استنكار : " وما الشيطان ... نحن قوم صرفنا همتنا إلى الله فكفانا من دونه " .

والنفس يتوجب التحكم فيها ، وكسر حدة سيطرتها ، ومقاومة وسواسها ، والتغلب على نزعاتها بإخضاعها لرب العزة ولمراده ، فتترقى من نفس أمارة بالسوء إلى نفس ملهمة إلى نفس مطمئنة وهكذا . {٦٦}

حكمة الشريعة فى علاج الإنسان

(٦٨) والقدرة على معاداة الشيطان ، وإخضاع النفس وكسرها وقيادتها للخير تتطلب قوى وطاقات .

ومدار الشريعة على إعداد هذه القوى والطاقات ، وتنظيم السلوكيات المنبعثة من الصفات البشرية والقوى والطاقات سواء ماكان كامنا منها فى الإنسان أو ماكان مكتسبا ودفعها فى مجارى وسبل تعود بالإنسان إلى الجنة التى أهبط منها نتيجة المعصية الآدمية الأولى .

ولا يتصور أن يقدر غافل على النجاة وعلى التغلب على الشيطان وعلى التحكم فى النفس وقيادتها بدون التذكر والإنتباه والإحتراس : وذلك إما باللجوء إلى الله ، وهو الذى فصلناه ، وإما بالإنشغال بمخالفة الشيطان ومعاداته رغبة فى مرضاة الله .

فأصل الأمر فى التذكر، وآلته ووسيلته الذكر . بل ولا يتصور عزيمة على التوجه إلى الله ، ولا عزيمة على مداومة الطاعات والإنتهاء عن المنهيات بدون تذكر لغرض المرء وهو الله والآخرة ، وذكر الله المتوجه إليه، المطاع أمره ، المرهوب جانبه جل جلاله وتعالى شأنه .

{٦٦} - ليس مرادنا التوقف عند النفس وأحوالها ، وطرق اصلاحها وتعبيدها لله ولا التعرض لأساليب مقاومة الشيطان وتحقيق الهجرة إلى الله . ولذا نمر على الموضوع مر الكرام ، سريعاً .

(٦٩) ومنطقى أنه إذا كانت هذه المسببات الخمس هي عوامل السقوط فإن علاجها ، والقضاء عليها في النفس البشرية هو مفتاح النجاة وبابها ومدخلها . والله تعالى شأنه ـ يبين في آيات سورة طه السالفة أن أتباع الهدى ـ أي ما شرع لنا من الدين ـ هو الطريق إلى جنة بلا ضلال ولا شقاء . كما أنه ـ سبحانه وتعالى ـ قد جعل لكل فئة أو طائفة من عباده ما يناسبها من الطرق .

{ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ـ ٥/ المائدة ٤٨ }

والحق أن كل الشريعة إنما هى أوامر ونواهى يكمن فى لب حكمتها وسرها ، غرض هو : تغيير الكيان النفسانى والجسمانى للإنسان حتى يتناسب مع حقيقة ومضمون الحياة الراقية فى الجنان . فالهدف الأعظم للشريعة هو إعداد الإنسان للعودة حيث كان ... فى الجنة .

أ ـ فإقامة الصلاة مثلا خمس مرات في اليوم والليلة ، هى مقاومة للنسيان ـ وفيها الذكر والفكر ، كما [illegible]نا من قبل . وفيها أيضا انتزاع المرء لنفسه من مشاغل الدنيا وفتنتها وسط [illegible]نهار وفى أوقات الراحة ، ليقوم أمام الله مقيما للصلاة ، تاركا كل ما حوله جانبا :

وهذا تدريب على الإرادة والعزيمة الملزمة ، باتباع الأمر الإلهى . وهذا الأتباع هو طريق الهدى . وأداء الصلاة والمواظبة عليها وسط الظروف المتغيرة تدريب على الصبر أيضا : وهو عزيمة من حيث التحمل والمصابرة : وفيها معنى الصبر على أداء الطاعات .

ب ـ والصيام تدريب على الإرادة الساكنة المستمرة بالإمتناع ، أى الصبر وهو صبر عن وعلى الشهوات والرغبات الجسدية وبعض الرغبات النفسية أيضا . وعملية الإمتناع فى الصيام ، هو حال تذكر دائم مستمر . وهذا تدريب لإرادة العزم من نوع خاص : إذ هو طبيعة إستمرارية طوال وقت الصيام .

والقوة قوتان : قوة الفعل الإيجابى ، وقوة التحمل وملك النفس . وقد أشرنا إلى هذا من قبل . {٦٧}

{٦٧} ـ انظر بند رقم / ٢٩ .

ج ـ وأداء الزكاة يتم بالتغلب على النفس التى من طبيعتها إعلاء شأن العاجلة، والنفور من الآجلة ـ حتى وإن دل العقل على أن الآخرة هى الحقيقة وهى المآل وهى الأقوم . وهذا التغلب عزيمة في اتباع الحق . وقد بينا من قبل تلازم الزكاة مع ذكر الله ، وخاصة ذكره بالأفعال .

وحب النفس للدنيا العاجلة ، نسيان للحقيقه الأصلية في أن مصدرنا كان عوالم الآخرة ، وليس عوالم للدنيا التى هى الدار التى أهبطنا إليها . وهذا نسيان للموقف الأساسى الذى قال فيه الله تعالى :

{ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ آدمَ من ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَتَهُمْ وأشْهَدَهُمْ على أنفُسِهِمْ ألستُ بِرَبِّكُمْ قالوا بلى شَهِدْنَا أن تَقُولُوا يومَ القيامة إنَّا كُنَّا عَنْ هذا غَافِلِينَ ، أو تَقُولُوا إنَّما أشْرَكَ آباؤُنا من قَبْلُ وكنا ذُرِّيَّةً من بَعْدِهِمْ أفَتُهْلِكُنا بِمَا فَعَلَ المُبْطِلُونَ ـ ٧/ الأعراف ١٧٢ـ ١٧٣ }

فالذكر هو قصد الصلاة ومتضمن فى كل صغيرة وكبيرة فيها . وهو شرط استمرارى لحدوث الصيام ، ومقصود فى أفعاله ، وهو كذلك فى الزكاة . والذكر فى الحج هو الرحلة كلها :وهو رحلة الحياة من بدايتها لنهايتها .

وهذا كله طبيعى طالما أن السببين الرئيسيين لوقوع الإنسان فى المعصية هما " **فنسى** " " **ولم نجد له عزما** " . ومنطقى أيضا أن يكون مدار الشريعة حول علاج نقصه وعيبه وضعفه .

مركزية الذكر فى أصل سبب الخلق

(٧.) وهذا المعنى السابق ـ الذى يفهم منه أن الذكر جوهر العبادة والسلوك ـ يمكن استنباطه من قوله تعالى :

{ **وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ـ ٥١/ الذاريات ٥٦ }

فهذه العبادة فسرت بأنها المعرفة ـ حتى أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ـ حبر الأمة كان يقرأها (الا ليعرفون) .

والحق أنه لا يتصور أن يعبد الإنسان ما لا يعرف ، ولا يتصور أن يعرف الإنسان ربه ، ولا يعبده : يعرفه بجلاله وعظمته ، ولطفه ورحمته ، وعزته وكرمه .
وبديهى أن هذه المعرفة لا يمكن أن تتحقق بدون التفكر والتذكر أي بدون استحضار صفاته وأفعاله في الوعى ، والانتباه إلى حكمته فى الخلق والتدبير، والتأمل فى أحكامه بالأمر والنهى ثم بعد ذلك الإستجابة لها بالطاعة والتنفيذ .

وإذا كان الله جل جلاله قد حدد أنه خلق الجن والإنس ليعبدوه وكانت العبادات التى شرعها جوهرها ذكر الله ، وقاسمها المشترك ذكر الله ، وجعلت لذكر الله ، فإنما يعنى هذا أن ذكر الله هو جوهر المطلوب من الخليقة كلها .
وإذا كانت عبادة الله التى خلق لأجلها الجن والإنس تدور مع معرفة الله وجودا وعدما ، وأن هذه المعرفة لبها ومنشأها ، واستمرارها ، ونموها ، مؤسس على ذكر الله والتفكر فيه ، فقد تبين من هذا ، ومما قبله، أن مقصود الدين كله ذكر الله ، وأن مطلوب الله من العباد عبادته وفى عبادته ذكره ، وفى ذكره عبادته .

(٧١) وتذكر الحقيقة الكونية الكبرى : وجود الله وصفاته علي بينة من الكتاب والسنه هى إمداد للعبد بالقوة والعزيمة وبخاصية الإيمان ذاتها . فهى ، والله تعالى أعلم ، أشبه بعملية شحن طاقات وقوى وعزائم وإرادات . ولهذا لايستغرب أن الله تعالى يأمر بالذكر فى شتى الأحوال والأوقات ــ وبالذات عند القتال . قال الله تعالى :

{ يَاأَيُّهَا الذينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبتُوا ، واذكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ــ ٨/ الأنفال ٤٥ }

ولما سألت السيدة فاطمة رضى الله عنها أباها صلى الله عليه وسلم أن يعينها على أعمال الدار بأن يهبها بعض السبى يعمل فى دارها ... قال :

{ ألاأدلكماعلى ما هو خيرلكمامن الخادم؟إذاأخذتما مضجعكما

تقولان ثلاثا وثلاثين وثلاثا وثلاثين وأربعا وثلاثين من تحميد وتسبيح وتكبير } {٦٨}

(٧٢) والأمر بذكر الله فى موقف بذل الروح والنفس والمال ، والمجاهد ممسك بسيفه في يده ، يدفعنا إلى التساؤل عن علاقة ذكر الله بموقف المقاتلة والموت فى سبيله .

فهو إما شحن للطاقات والقوى كما أشرنا ، وإما أنه يؤدى بالمرء إلى الإقدام على الموت فى سبيل الله . ولا يكون إلا حبا لله وتفضيلاً له ولمراده على الحياه الدنيا .

{ ومن أحب لقاء الله فقد أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه } {٦٩}

{ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى ـ ٥٣ / النجم ٤٢ }

والظاهر من الآيات والسنة الشريفة أن ذكر الله يسبب وينمى حب الله وحب الرجوع إليه في قلب العبد . فالآيات القرآنية تفصح عن الذين يتذكرون هم أهل الرجوع إلى الله ، والعودة إليه ، وحب لقائه . قال تعالى :

{ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ ـ ٤٠/ غافر ١٣ }

{ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ـ ٥٠/ قاف ٨ }

{٦٨} ـ أخرجه الإمام أحمد ، والبخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى واللفظ له وقال حديث حسن غريب .
انظر : الإمام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/١٢ ، جزء/١٧، ص٤٥، مجلد/٦
انظر : المباركفورى ، تحفه الأحوذى ، المرجع/ ١٣ ، جزء/ ٩ ،ص٣٥٣ ـ ٣٥٤ ،حديث رقم/٣٤٦٩
انظر : النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع/ ٢٥، جزء/ ١ ،ص٤٧٨

{٦٩} ـ أخرجه الإمام البخارى براويتين واللفظ له ، ومسلم بأربع روايات ، وأبو داود مختصراً ، والإمام مالك فى الموطأ ، والترمذى فى الزهد والجنائز ، والنسائى فيهما . والإمام أحمد فى مسنده .
انظر : النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع/ ٢٥ ، جزء/٣ ، ص ١٤٩
انظر : ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، المرجع/ ١١ ، جزء/١١ ، ص٣٥٧ ، حديث ٦٥٠٨
انظر : الأحاديث القدسية ، المرجع/ ٢٠ ، جزء/١ ، ص٣٠٢ ـ ٣٠٥

وخاتم النبيين - عليه الصلاة والسلام - يؤكد أن السابقين إلى الله تعالى هم أهل الذكر :

{ سَبَقَ المُفَرِّدُونَ ، ... سبق المفرِّدون ، ... سبق المفرِّدون ، فقالوا وما المفرِّدون يارسول الله ؟ قال : الذاكرون الله كثيراً والذاكرات ، يضع الذكر عنهم أثقالهم (أوزارهم) فيأتون يوم القيامة خِفَافاً } {٧٠}

وهذا السبق فى العودة إلى حال الإنسان الكامل ، والإنابة إلى الله تعالى (أى حب الرجوع إليه) وحب لقائه ، هى حقيقة إيمانية وثيقة الإرتباط بذكر المحبوب سبحانه وتعالى :

{ الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر } {٧١}

والذكر جنه المؤمن في الدنيا : فقد روي عن بعض الأئمة قوله :
" كل إنسان معه جنته في قلبه ... بقدر ما يكون ذاكراً لربه "
وروى عن الشيخ ابن تيميه رحمه الله أنه قال : " ما يصنع أعدائى بى : أنا جنتى وبستانى فى صدرى إن رحت فهى معى لا تفارقنى " {٧٢}

ثـالثـا : الذكر والفكر

(٧٣) ولا شك أن معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعاملاته للعبد بالنعمة والرعاية والفضل هى التى ينبثق منها حب الله فى القلب ، ومن ثم حب الرجوع إليه ولقائه .
ورجوع المؤمنين الصالحين رجوع إلى الحال الأمثل الذى خلق الله الإنسان عليه فى أحسن تقويم قبل أن يرده هبوطاً إلى أسفل سافلين .

{٧٠} - سبق تخريجه ، انظر بند رقم/ ٤٣ ، هامش رقم/ ٤٠ .

{٧١} - أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ، والإمام مسلم واللفظ له ، والترمذى ، وابن ماجه .

انظر : الإمام النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع/ ٢٥ ، جزء/٢ ، ص ١١٦

انظر : الإمام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/ ١٢ ، جزء/ ١٨ ، ص ٩٣

{٧٢} - انظر : ابن قيم الجوزية ، الوابل الصيب ، المرجع/ ٤١ ، ص ٤٢

وقد رأينا فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من أحب الله ، أحب لقاءه : ومن أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ... وهذا حب لقاء متبادل بين العبد وربه :

{ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يحبهم وَيُحِبُّونَهُ ... ـ ٥/ المائدة ٥٤ }

ومعرفة الله ، تشمل معرفة ما خلق : معرفة الدنيا بحقيقتها وقدرها ، ومعرفة عوالم الآخرة المغيبة بحقيقتها وفضلها . وهى تعنى أيضا اختيار الآخرة وتفضيلها على الدنيا . الذى هو أصل الحكمة المؤسسة على المعرفة الحقيقة وأساس بنائها : ألا وهى معرفة الله رب العالمين . وصاحب هذه المعرفة هو صاحب (اللب) أى خالص العقل وأفضله وخياره . {٧٣}

والله تعالى لا ينسب هذا المستوى الإدراكى إلا لأهل الذكر . وهو ـ سبحانه ـ ينسب الذكر لأولى الألباب ، فيجعله صفتهم وخاصية لهم . قال سبحانه وتعالى :

{ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ ـ ١٣/ الرعد ١٩ }

{ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ ـ ٣/ آل عمران ٧ }

(٧٤) والتذكر والتفكر والتبصر والتفهم معانى مرتبطة ومتداخلة وهى فى قالب لغوى واحد : وزن " تفعّل " ، الذى هو بناء فى اللغة يعنى حدوث الشىء بعد مهلة وتدرج .

فالتبصر : عملية تصور للمعنى فى القلب .

والتعقل : عملية حدوث ادراك للعلاقات بين الأشياء .

والتفهم : عملية حدوث ادراك للمجمل الكلى لأمر ما بما فى ذلك طبيعة العلاقات القائمة بداخله .

والتفكر : هو اجراء أى من العمليات السابقة لاكتشاف أى من الأمور السابقة والقيام بها : من تعقل ، أو تبصر ، أو تفهم .

{٧٣} ـ انظر لسان العرب ، المرجع/٦١ ، جزء/٥ ، ص ٣٩٧٩ ـ ٣٩٨١

وأما التذكر : فهو استدعاء أو استحضار شيء ما في الوعى ولا يهم في ذلك هل أجريت عليه أو قبله أو بعده أى عملية من هذه العمليات الفكرية الأخرى .

وأما الذكر : فهو وجود مستمر (ولو للحظات) ، لما استدعى بالتذكر : أى وجود شىء مستحضر في الوعى .

وأما وجود الداعى إلى هذا التذكر فيسمى " ذكرى " .

(٧٥) ويجمع الله تعالى بين الذكر والفكر فى عده آيات ، وعديد من المواقع فى القرآن المجيد منها قوله تعالى :

{ إِنَّ فى خَلْق السموات وَالأرضِ وَاختلاف الليلِ وَالنهارِ لآيات لأولى الألباب ، الذين يَذْكُرونَ اللهَ قِيَاماً وقُعُوداً وعلى جُنوبِهِمْ ويتفكَّرُونَ فى خَلْق السموات والأرض ربَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّار ـ ٣/ آل عمرانَ .١٩٠ ـ ١٩١ }

فالآية الكريمة تدل على أن أولى الألباب يجدون فى حقائق الكون من حيث الخلق فى السماء والأرض ، ومن حيث النظام الكونى وحكمته ، والقوى العاملة فى تدبيره بأمر الله ومشيئته ، مداخل لعلاقة العبودية بالربوبية .
وقد أمر الله عباده بذلك ، قال عز من قائل :

{ قُل سيرُوا فى الأرضِ فانظُرُواكَيْفَ بَدأ الخَلْق ـ٢٩/العنكبوت.٢٠}

وقال : { **قل انْظُرُوا مَاذَا فى السموات والأرضِ** ـ ١٠/ يونس ١٠١}

وقال : { **أفلاَ يَنْظُرونَ إلي الإبلِ كَيفَ خُلقَتْ وإلى السماء كيفَ رُفِعَتْ وإلى الجبال كيفَ نُصِبَتْ وَإلي الأرضِ كيف سُطِحَتْ** ـ ٨٨/ الغاشية ١٧ ـ ٢٠ }

(٧٦) ثم يحدد ويخصص ـ جل شأنه ـ لأولى الألباب صفتين أساسيتين:

(أ) ـ أنهم يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم . وفى هذا إشارة إلى أنهم يذكرونه فى جميع الأحوال . لأن حال الإنسان لايكون إلا فى أحد هذه الحالات الثلاث ولا رابع لهم .

وقد كان هذا حال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فعن أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنها قالت :

(كان رسول الله يذكر الله على كل أحيانه) {٧٤}

(ب) ـ وأنهم يتفكرون فى سر الخلق ونظامه . وهذا التفكر وثيق الصله و الإرتباط بالتذكر . إذ مبدأ التفكر تذكر . فلن يتفكر إنسان فى شىء لا يذكره . وإنما يتذكره أولا فإذا تذكره قد يتفكر فيه وقد لا يتفكر ويكتفى بالتذكر . وحتى فى الإكتفاء بالتذكر ، فإن تكرار اسم المذكور يرسخ المعنى ويوضحه بدون الإنتباه الواعي لهذه العملية أي مايسمي بالإيحاء . والأهم من ذلك أن ذكر الله ينشىء أيضا دافعاً سلوكياً باطنياً يحدث التحول فى الشخصية بدون المجهود الظاهرى فى إحداثه . {٧٥}

(٧٧) وهذا التذكر والتفكر ، يقوم به نوعان من الخلق :

النوع الأول : أولئك الذين يبحثون عن الحق ، لم يؤمنوا بعد : وهؤلاء تكون الآيات الكونيه لهم بياناً ودليلاً على وجود الله ، فتقودهم للإيمان . ومثاله قوله تعالى :

{ أفلا ينظُرونَ إلى الإبلِ كيف خُلقتْ وإلى السماءِ كيف رُفِعَتْ، وإلى الجبالِ كيف نُصِبَتْ ، وإلىَ الأرضِ كيف سُطحَتْ ـ ٨٨ / الغاشية ١٧ ، ٢٠ }

والنوع الثانى : أولئك الذين هم مؤمنون بالفعل : وهؤلاء تكون الآيات الربانية فى حقهم سبيلاً للترقى فى مراتب العلم بالله ، وتحقيق اليقين . ومثاله قوله تعالى :

{ وَفِى الأرْضِ آياتٍ لِلمُوقِنِين ـ ٥١/ الذاريات ٢٠ }

{٧٤} ـ حديث صحيح أخرجه الإمام مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه عن السيده عائشه رضى الله عنها .
انظر : الإمام السيوطى ، الجامع الصغير ، المرجع/ ٢٤ ، جزء/٢ ، ص ١١٧
انظر : المباركفورى ، تحفة الأحوذى ، المرجع/ ١٣، جزء/٩ ، ص ٣٢٥ ، حديث ٣٤٤٤

{٧٥} ـ هذه حقيقة عظيمة الأثر وبالغة الأهمية ، تتعلق بنظريتين الإيحاء الذاتى والاسبرناطيقا . وقد حام حول هاتين النظريتين فى موقعهم الإسلامى الشيخ محمد الغزالى فى كتابه " جدد حياتك " ـ دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٨٢/١٩٨٣ . والمفهوم أصله فى كتابات المحاسبى والغزالى . رضى الله عنهما

فهنا الإشارة إلى زيادة العلم الإيمانى بشقيه : العلم بالله ، والعلم بقدرة الله وصنعته . فهؤلاء المؤمنين أهل إيمان وعلم ، قبل النظر فى الآيات وبعدها . وهذه زيادة فى العلم والإيمان ، كما قال تعالى لرسوله :

{ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلماً ـ ٢٠/ طه١١٤}

(٧٨) وواضح أن هذا تذكر وتفكر . وينشأ منه حال من تجلى أنوار العلم الإلهى على مدركاتهم بمعانى القدرة والعظمة والجلال والعلو ، حتى يهتف القلب ، وينطق اللسان ..." سبحانك " ... فقنا عذاب النار ... فأنت الحكم القهار ، وأنت العلى الجبار ، وأنت العزيز الغفار ... ونحن العباد العبيد، الأذله الخاشعين ، المسلمين لأمرك ، والمتصاغرين لجلالك وسطوتك، وهذا قوله تعالى شأنه :

{ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَمَاءُ ـ ٣٥/ فاطر ٢٨ }

وهذا ذكر لله نشأ عن ذكر وفكر . ويقود بذاته إلى ذكر وفكر . وهؤلاء من الذاكرين الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ومن المتفكرين فى أسمائه وصفاته وأفعاله . وإذا تطابقت أحوالهم السلوكية مع أحوالهم القلبية (بما فى ذلك الفكرية)كانوا هم الصديقون وهم أهل الحكمة والمقامات العلى .

(٧٩) وخاصية التفكر هذه ـ والتى أساسها الذكر والتذكر ـ والتى تقود إلى الله تعالى ليس فقط مأمور بأكتسابها والمداومة عليها وإنما معاقب على تركها بالعذاب فى النار . يقول ـ الحق ـ جل جلاله :

{ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ :لَهُمْ قُلُوبٌ لايفقَهُونَ بِهَا ولهم أعينٌ لا يبصرون بها ، ولَهُمْ آذانٌ لا يسمعونَ بها : أُولَئِكَ كالأنعام بل هُم أضلُّ : أولئك هُمُ الغَافِلونَ ـ ٧/ الأعراف١٧٩}

ومن هذه الآية يستدل على الحقائق التالية :

(أ)ـ أن الله تعالى جعل لعباده الحواس من قلب (عقل) وأعين وآذان لاستعمالها فهى أولا مصادر للإدراك والعلم كما قال تعالى :

{ واللهُ أخرجَكُم مِنْ بُطونِ أمَّهاتِكُمْ لا تعلمونَ شيئاً وجعلَ لكُمُ السَّمْعَ والأبصارَ والأفئدةَ لعلكُمْ تَشْكُرُونَ ـ ١٦/ النحل ٧٨ }

فهى مصادر للعلم التى وهبها الله لنا لاستعمالها فى اكتساب العلم الذى خرجنا من أمهاتنا بدونه .

(ب) ـ ومن الآيتين يستقيم معنى آخر : هو أن استعمال هذه المنح فى معرفة الله التى هى طريقنا إليه هو أيضا شكرها .ومن لم يشكر الله على نعمه وذلك باستعمال تلك النعم على الوجه الذى يرضاه ، فقد كفر النعمة . فكفر النعمة عدم استعمالها فيما هو شكر لله تعالى، وهذا أسوأ من استعمالها فى معصيته .

(٨٠) (ج) ـ والله تعالى يحاسبنا على قدر عطائه لنا : قال تعالى:

{ **لا يُكَلِّفُ اللهُ نفساً إلاَّ وُسْعهَا ، لها مَا كَسَبَتْ وَعَليْهاَ مَا اكْتسبَتْ** ـ ٢/ البقرة ٢٨٦ }

وإذا كان ـ تعالى أمره ـ لا يكلفنا إلا بما فى وسعنا ومن ثم لن يحاسبنا إلا بما فى وسعنا : فهو أيضا بنفس المفهوم ، سيحاسبنا على ما فى وسعنا ولم نفعله . فإذا أعطاك الله عقلا نابها ، فسيحاسبك ليس فقط على استعمالك لهذا العقل فى سبيله ومرضاته ، وإنما أيضا على مدى استعمالك له وكيفية ذلك . إذ ليس حسابك عليه كحساب ذلك الذى أعطاه المولى عقلا خاملا أو معيبا .

وكذلك الحساب على نعمة البصر ونعمة السمع مثلا : هل استعملتها فى معرفة الله وتفهم حكمته فى الخلق ، وفى مرضاته ؟ أم استعملتها فى معصيته ، بالنظر إلى ماحرم ، والإستماع إلى مالا يصح ... قال تعالى :

{ **لاتَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلىٰ مَا مَتَّعنَا به أزْواجاً منْهُمْ ولاتَحْزَنْ عَليْهم واخْفِضْ جَنَاحَكَ للمُؤْمنِينَ** ـ ١٥/ الحجر ٨٨ }

{ **وَإذا رأيْتَ الذينَ يَخُوضُونَ فى آياتنا فَأعْرَضْ عَنهُم حتّى يخُوضُوا فى حَديث غَيره ، وإمَّا يُنسيَنَّكَ الشيطانُ فلا تقعُدْ بعدَ الذِّكرى مع القومِ الظالمين** ـ ٦/الأنعام ٦٨ }

{ **الذينَ يستمعُونَ القول فَيتَّبعُون أحْسَنَهُ أولئكَ الذينَ هَدَاهُمُ الله وأولئكَ هُمْ أولوا الألبَابِ** ـ ٣٩/ الزمر ١٨ }

وكذلك الأمر بالنسبة للنعم الأخرى ، كالمال ، والصحة ... وما إلى ذلك، فالمحاسبة ليست فقط على : هل استعملت النعمة أم لا ؟ وإنما المحاسبة أيضا على على كيفية استعمالك للنعمة ، كما قال :

{ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ـ ١٠/ يونس ١٤ }

(٨١) ومن ثم فالأنعام التى لم تمنح هذه النعم لاتحاسب على معرفة الله التي يتوصل إليه باستعمال هذه النعم : لأنها خارجة عن نطاق التكليف بالنسبة لها .

ووجود هذه النعم عندنا يعنى فرصة الوصول إلى آفاق لم تدرك لغيرنا من المخلوقات ، وتضيع هذه الفرصة بعدم استعمال النعم ، أى عدم شكرها ، يجعلنا فى أحط من موقف الأنعام التى فعلت ما كلفت به . وفشلنا نحن فى ذلك .
وكل هذه النعم تقود إلى فكر وذكر للحقيقة الأصلية الله : ووجوده وصفاته وأفعاله ، وهديه الذى تكرم به علينا ليرشدنا السبيل إليه عبر مرضاته ورحمته وفضله .
ولهذا تقول الآية :(**أولئك كالأنعام**) أى تساوت نفوسهم بالأنعام التى لم تعط هذه النعم : نعمة الذكر والفكر بالقلب والعقل .

ويستطرد المعنى (**بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون**) ، إذ هم أعطوا النعمة ولم يستعملوها فيما خلقها الله لهم . فهم غافلون ، لايذكرون ولا يتفكرون .

الفصل الرابع

من آفاق الآيات فى الذكـــر

- المعنى الأول : الشكر
- المعنى الثانى : أذكرونى أذكركم

عالم المثال

ذكر الله وأولياء الله

شرف الذاكرين

نور الذاكريـــن

(٨٢) والحق أن الله تعالى ـ له في كل آية من آيات الكتاب المبين أسرار ومفاهيم تربط الآية الواحدة بعدد عظيم من الآيات القرآنية ، وبعدد عظيم من أحاديث النبى الكريم ، صلى الله عليه وسلم .

ونحن لا نستطيع في مثل هذا الكتيب الذى قصد منه تقديم عجالة عن ذكر الله ، تكون مدخلا للذاكرين ، أن نطوف مع القارىء على آيات القرآن مستعرضين روابطها بذكر الله والتفكر فيه . ولكننا مع ذلك سنعطى مثالا مختصراً ، لبعض ما فى آيات الذكر الحكيم ، من معان وبيانات ، وتلميحات وإشارات ، وأنوار وفيوضات .

وقد اخترنا لذلك قولين : الأول ، وهو مادة هذا الفصل ، قوله تعالى فى سورة الأحزاب :

{ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما : تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما ـ ٣٣/الأحزاب ٤١ ، ٤٤ }

(٨٣) أقول ، بسم الله وحوله وقوته :

اولا :

صيغة الأمر والتوجيه ، واضحة فى الآيات ، لا التباس فيها . وقد استدل منها بعض العلماء على الوجوب ، كما استدل من قوله : (أقيموا الصلاة) ، وقوله : (وآتوا الزكاة) على وجوب فعل الصلاة والزكاة .

والخطاب موجه إلى " الذين آمنوا " . وتوجيه الخطاب إلى الذين آمنوا قد يفهم منه أن الأمر بالذكر انما هو تكليف للمؤمنين وحدهم ومرتبط بإيمانهم . فيكون الذكر بذلك إما عنصراً من عناصر الايمان ، أو صفة من صفات المؤمنين .

(٨٤) ثانيا :

ثم يخصص المولى ـ عز شأنه ـ من الذكر التسبيح ، ويوجه العباد إلى أوقات بعينها : فى البكرة والأصيل .

والبكرة هو أول الضياء من النهار أى الصباح الباكر . والأصيل هومرحلة خفوت ضوء النهار أى بعد العصر إلى المغرب .

والتسبيح تنزيه وتقديس ، وهو علامة التعظيم والاجلال المصحوبة بالتسليم والحيرة فى إدراك وتفهم أبعاد عظمته وقدرته وحكمته . وهى حالة تنشأ من تبين بصيص من الجلال الألهى، والعجز عن إدراك مداه ومراده ومنتهاه : فيهتف القلب الواعى الذى دخله نور هذا التجلى ... " سبحان الله " فهو تعبير عن حال عبودية وصغار تجاه المقام الألهى .

وإذا ظهرت أنوار هذا التجلى الألهى على إدراك العبد ، غالبا ماتنشىء شعوراً بالامتنان لما أنعم به الله تعالى عليه : أى إذا رأى العبد ملكية الله فيه وفى الكون من حوله ورأى فضل الله عليه ، محيطاً به وشاملاً له ، كان التعبير " سبحان الله وبحمده" أو " سبحان الله والحمد لله " : وهذا هو التسبيح بحمده ، كقوله عز وعلا :

{ وتَوكّلْ على الحىِّ الذى لايموتُ وسَبِّحْ بحمده ــ ٢٥/الفرقان ٥٨ }

وتحديد البكرة والأصيل ، أوقاتاً مستحبة للذكر والتسبيح ، يتفق مع الإشارة الى تعاقب النور والظلام ، والنهار والليل ، وقدرة الخلاق الحكيم فى التنظيم والإبداع . وأنه تعالى جعل هذا النظام الكونى لذكره وشكره .
وفى ذلك قوله تعالى :

{ وهو الذى جَعَلَ الليلَ والنهارَ خِلفَةً لِمَنْ أراد أن يَذَّكَّرَ أو أراد شكورا ــ ٢٥/الفرقان ٦٢ }

الذكر فى معنى الشكر

(٨٥) ثالثا :

أعقب الله الخالق العظيم الكريم ، الأمر بالذكر عموماً والتسبيح بكرة وأصيلا، ببيان حقيقة من أعظم حقائق الربوبية والألوهية : وهى أنه ــ جلا جلاله ــ يصلى علينا هو وملائكته ليخرجنا من الظلمات إلى النور .
وهنا لابد من وقفة طويلة ، إذ الآفاق فى هذه الآية بالغة السعة والرحابة .
بداية نرى أن الآيات فى تعاقبها تدل على عدة معانى احتمالية :

المعنى الأول :

إن هذا الذكر والتسبيح يتوجب علينا شكراً لله تعالى على صلاته علينا هو وملائكته رحمة بنا : إذ هو سبحانه يفيض علينا بالعطاءات والأنوار ، ويشملنا برحمته ، ويكلؤنا بعنايته وفضله .
والصلاة صلة ومعاملة : والصلة بين الغنى الكريم ، والفقير المحتاج إنما هى عطاء من جانب الغنى للفقير .
والصلة بين العليم والجاهل إنما هى تعليم من العليم للجاهل . وهى من الفقير والجاهل تجاه الغنى المعطى والعليم أيضا من الإمتننان والشكر . والصلة والمعاملة بين الرب القوى القادر ، والعبد الضعيف الخامل ، إنما هى عطاء قوة وامداد قدرة من الأعلى للأدنى .

وبذلك يكون المعنى :(اذكروه وسبحوه كثيرا شكرا له وعلى ما يفعله بكم : ألا وهو كونه يصلى عليكم ليخرجكم من الظلمات إلى النور وهذه رحمة منه تستوجب شكركم له بالذكر والتسبيح) .

والشكر عند غالبية علماء الإسلام ، نصف حال العبد مع ربه . اذ يرون أن العبد إما فى صبر وإما فى شكر . قال تعالى :

{ فأما الانسانُ إذا ماابتَلاهُ ربُّهُ فأكرَمَهُ ونَعَّمَهُ فيقولُ ربِّى أكرَمَن ، وأما إذا ماابتلاهُ فَقَدَرَ عليه رِزْقَهُ فيقولُ ربِّى أهانن ـ ٨٩/الفجر ١٥ ، ١٦ }

(٨٦) والشكر كما بين ـ الشكور الكريم ـ يوجب المزيد .قال تعالى :

{ وإذْ تَأذَّنَ رَبُّكُمْ لَئنْ شَكَرْتُمْ لأزِيدَنَّكُمْ ولئِنْ كفرتم إنَّ عذابى لشَديد ـ ١٤/إبراهيمَ ٧ }

وقد كان الشكر سر عطاء الله وسبب فيضه العظيم على أنبيائه داود وسليمان عليهما السلام . فبعد أن بين سبحانه تعدد نعمه ، وعظم قدرها على نبييه الكريمين ، بين أن ذلك لأنهما يشكران ، قال تعالى :

{ اعْمَلُوا آلَ داودَ شُكْراً وقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُور ـ٣٤/سبأ ١٣}

وزيادة العطاء من الله للعبد ، جزاء له على شكره لربه ، أمر واضح من أنه سبحانه " الشكور " : الذى يشكر على ما يفعل له ، أو يقدم له : وإن كان سبحانه الموفق لهذا الفعل من العبد .

ولكن المخجل أن العباد لا تشكر . قد يحمد بعضهم باللسان : ولكن الشكر الذى هو بالأفعال ، نادراً ما يقع مع الناس فالشكر هو أن تستعمل نعمة الله فى مرضاته والتقرب إليه ، وهذا يسمى شكر النعمة .
الغالب على حال الناس ، وبالأسف ، الفرح بالنعمة فيطغوا فى استعمالها على حدود الله ، وكأن الله تعالى أنعم بها عليهم ليعصوه بها .
ولذا فقوله تعالى فى آية سبأ أعلاه : { **وقليل من عبادى الشكور** } تقرير لحقيقة حال العباد المخجلة . وهى حماقة ما بعدها حماقة .

(٨٧) وعدم شكر العباد لربهم على نعمته ، انكار عملى منهم بأنه المعطى ، وأنه الذى بيده الأمر كله : وهو الذى ترجع إليه الأمور ويحمد فى كل الشئون .
والإنكار هو الكفر لأن كلمة " كَفَرَ " تعنى أنكر وغطى على أمر أى رفضه.
وعدم شكر العباد لربهم على نعمته إنكار عملى لعقيدتهم فى الله ، أو على أحسن الظنون نقصان فى الإيمان ولذلك يقول الحق تعالى شأنه :

{**ولئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ولإنْ كفرتُمْ إنَّ عذابى لشديد** ــ١٤/ابراهيم٧}

فإذا شكر العبد ربه شكر الله تعالى للعبد بزيادة عطائه له لأنه تعالى شكور .
ويكون الشق الثانى للآية معناه : وإن لم تشكروا لى ــ وهذا كفر ــ فإن عذابى شديد .
ويؤكد ــ عز شأنه ــ معنى التقابل بين الشكر والكفر فى آيات مثل :

{ **إِنَّا هَدَيْنَاه السبيلَ إما شاكراً وإما كفورا** ــ ٧٦/الإنسان ٣}

وقوله :

{ **لايَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ ، وإنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ** ــ ٣٩/الزمر ٧}

وأهم النعم على الإطلاق نعمة الهدى والإيمان التى هى طريق معرفته سبحانه . وهى التى أشار اليها الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف

بن يعقوب بن أسحاق بن ابراهيم عليهم ، وعلى نبينا ، صلاة الله وسلامه ، فيما رواه رب العزة :

{ ذَلِكُمَا مما عَلَّمَنِي ربي : إني تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤمِنُون بالله وهم بالآخرة هُم كافرون . واتَّبَعْتُ ملةَ آبائي إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ : ماكانَ لنا أن نُشْرِكَ بالله من شيءٍ : ذلك من فَضْلِ الله عَلَيْنَا وعلى النَّاسِ : وَلَكِنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يشكرون ــ ١٢/يوسف ٣٧، ٣٨ }

(٨٨) وإلى هذا المعنى ينصرف مفهوم الخبر عن السيدة أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها قالت :

{ كان النبى صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقلت له : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبدا شكورا } (٧٦)

وقد تبين ذلك أيضاً ، من نصيحته الجامعة لمعاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه، التى جمع فيها بين الذكر والشكر والعبادة : قال :

{ يامعاذ قل اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك } (٧٧)

فالشكر على هداية الله لعباده ــ صلاته عليهم ليخرجهم من الظلمات إلى النور ــ هو المفهوم الأول الذى يتبادر إلى الفهم من تتابع الآيات فى السياق . وبهذا المعنى يكون ذكره عموماً وتسبيحه بكرة وأصيلاً مسبباً للمزيد من صلاته وملائكته على العبد بفيض الأنوار والخيرات والبركات: وياله من شرف ، وياله من جزاء ، وياله من اله كريم رحيم شكور ودود .

---

(٧٦) ــ أخرجه الإمام البخارى ومسلم عن السيدة عائشة رضى الله عنها .
أنظر : الإمام النووى ، رياض الصالحين ، المرجع/٢٢ ، ص ٣٣٩
أنظر : بن حجر العسقلانى،فتح البارى ، المرجع/١ ،جزء/٨،مجلد/٨ ،ص٥٨٤ ، حديث رقم/ ٤٨٣٧

(٧٧) ــ أخرجه الحاكم وقال صحيح الاسناد ووافقه الإمام الذهبى على ذلك .
أنظر : الحاكم ، المستدرك ، المرجع/ ١٨ ، جزء/١ ، ص ٤٩٩

(٨٩) **المعنى الرئيسى الثانى** : الذى يظهر من تتابع الآيتين هو أن ذكر العبد لربه والتسبيح له بكرة وأصيلاً جزاؤه ، أن يصلى الله عليه وملائكته ليخرجه من الظلمات إلى النور كما أنه سبباً لذلك . وهذا أيضاً معنى صحيح لاغبار عليه .
وفى آيات الكتاب الحكيم وحديث النبى الصادق الأمين ما يفسره أجمل تفسير، ويفصل مداه وأبعاده ، إلى آفاق بالغة السمو . فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

{ أن ماتذكرون من جلال الله ، وتسبيحه وتحميده ، وتكبيره ، وتهليله يتعاطفن حول العرش ، لهن دوى كدوى النحل يُذَكِّرْنَ بصاحبهن : أفلا يحب أحدكم أن لايزال له عند الرحمن شىء يذكر به } (٧٨)

وهذا المعنى خطير إذا أخذ على ظاهره بلا تغيير أو تأويل يخرجه عن حدود الألفاظ . لأنه يعنى أن كلمات الذكر ، لها وجود بذاتها ، وأن وجودها الكونى حقيقة فى عوالم السموات ، وأنها تصعد خلال هذه العوالم حتى عرش الرحمن ــ جل شأنه وعلا مقامه ــ ولها صوت مرتبط بالصوت البشرى الذى أخرجها وما فيه من طاقه ، وإخلاص ، وحب ، وتشوق وعبودية .

فهل هذا مجاز ؟ أم رمز ؟ أم حقيقة ؟
أقول هذا حق ، وهذه حقيقة ، مهما بلغت غرابتها . ومهما كان وقعها عليك . فقد قال الحق ــ عز وعلا :

{ إليه يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعملُ الصالحُ يَرْفَعُهُ ـ ٣٥/فاطر . ١٠ }

وقال جلا جلاله :

{كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ كشَجَرَةٍ طيبةٍ أصْلُهَا ثابِتٌ وفَرْعُهَا فى السماء ـ١٤/إبراهيم }

---

(٧٨) ــ أخرجه الإمام أحمد وابن أبى شيبة والطبرانى، والحكيم والترمذى ، والحاكم فى المستدرك وقال صحيح عن النعمان بن بشير ، رضى الله تعالى عنهم ، وصححه الإمام السيوطى والإمام الذهبى فى تلخيص المستدرك ، وقال صحيح على شرط مسلم .
أنظر : بن حسام الدين الهندى ، المرجع/٢٨، جزء/١، ص ٤٣١ ، الحديثين رقم/١٨٦٢ـ ١٨٦٣
أنظر : الحاكم ، المستدرك ، المرجع/١٨ ، جزء/١ ، ص ٥٠٣

عالم المثال :

(٩٠) ومن الحقائق التى ثبتت عند العلماء ، من آيات الكتاب ومن سنة خاتم النبيين ، صلوات الله وسلامه عليه وآله وصحبه ، ولا يدرى بها غالبية الناس ما يسمى " بعالم المثال " (٧٩)
فقد تظاهرت الآيات والأحاديث على وجود الأعمال والأفكار المعنوية والأشكال المادية فى عالم غير عالم الأرض بصوره إما على مثال صورتها على الأرض أو تختلف عنها . قال تعالى :

{ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً _ ٣/آل عمران ٣٠ }

قال تعالى :

{ وَوَجَدُوا ماعَمِلُوا حاضِراً ولايَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً _ ١٨/الكهف ٤٩ }

(٩١) وفصلت السنة هذه المعانى الإجمالية خير بيان وتفصيل :

(١) _ عنه صلى الله عليه وسلم :

{ تعلموا الزهراوين " البقرة وآل عمران " فإنهما تجيئان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صَوَاف يُحَاجَّان عن صاحبهما ، تعلموا البقرةَ فإن أخذها بركة وتركَهَا حسرةَ ولا تستطيعها البطلة } (٨٠)

(٢) _ { إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهى تبارك الذى بيده الملك } (٨١)

---

(٧٩) _ انظر : شاه ولى الله الدهلوى ، حجة الله البالغة ، المرجع/٥٢ ، جزء/١ ، ص ١٣ _ ١٤
(٨٠) _ أخرجه الطبرانى عن بن عباس ، والإمام مسلم .
انظر : بن حسام الدين الهندى، الكنز، المرجع/٢٨ ،جزء/١ ،ص. ٥٧ _٥٧١ ،حديث رقم/٢٥٧٧، ٢٥٧٨
انظر : النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/١٢ ، جزء/٦ ، ص ٩٠
انظر : بن الديبع الشيبانى ، تيسير الوصول ، المرجع/٢٧ ، جزء/١ ، ص ٩٠
(٨١) _ أخرجه الإمام أحمد وابن عدى ، وابن حبان ، والحاكم ، عن أبى هريرة .
انظر ، بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع / ، جزء/١ ، ص ٥٨٣ ، حديث رقم/٢٦٤٥
انظر : الحاكم ، المستدرك ، المرجع/ ٢٨ ، جزء/١ ، ص ٥٦٥

(٣) ـ { إن المؤمن إذا كان فى قُبُلٍ من الآخرة بعث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس ...ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول أبشر برحمة ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول : وأنت فبشرك الله بخير من أنت ، فيقول أنا عملك الصالح ...وأما الكافر فإنه إذا كان فى قبل الآخرة وانقطاع من الدنيا...ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح، قبيح الثياب ، فيقول أبشر بسخط الله وبعذاب أليم مقيم . فيقول: بشرك الله بشر ، من أنت ؟ فيقول أنا عملك الخبيث } {٨٢}

(٤) ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ والذى نفسى بيده إن الميت إذا وضع فى قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون ، فإذا كان مؤمناً جاءت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه والصوم عن شماله ، وفعل الخيرات والمعروف والإحسان إلى الناس قبل رجليه ، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة : ليس من قبلى مدخل ، فيؤتى من قبل يمينه فتقول الزكاة : ليس من قبلى مدخل ، فيؤتى من قبل شماله فيقول الصوم ليس من قبلى مدخل ، فيؤتى من قبل رجليه ، فيقول فعل الخيرات وما يليها من المعروف والإحسان إلى الناس : ليس من قبلنا مدخل .... الحديث } {٨٣}

(٥) ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

{ خلق الله الخلق ، فلما فرغ منه قامت الرحم ، فأخذت بحقو

---

(٨٢) ـ أخرجه أبو داود والحاكم بكماله وقال صحيح على شرط الشيخين ، وضعفه ابن حبان ورواه النسائى ، وابن ماجه مختصراً . ورواته عند أبو داود والنسائى ثقات وهم رواة الصحيح ، وصححه الذهبى فى تلخيص المستدرك .

انظر : الغزالى ، سكرات الموت ، المرجع/٥٩ ، ص ١٨١

{٨٣} ـ رواه الطبرانى فى الأوسط وحسن إسناده فى مجمع الزوائد . وقد رواه غير واحد عن محمد بن عمرو ، فعند الحاكم فى المستدرك عن سعيد بن عامر عنه ، ثم رواه عن محمد وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبى ، ورواه ابن حبان رقم ٧٨٧ ص ١٩٧ من طريق معتمر بن سليمان عنه ، والبيهقى فى الشعب ، وهناد فى الزهد ، وابن جرير فى تفسيره .

انظر : الحاكم ، المستدرك ، المرجع/ ١٨ ، جزء/١ ، ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ .

الرحمن ، فقال له : مه ، قالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال : ألا ترضين ، أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى يارب ؟ قال فذاك ، قال أبو هريرة : اقرأوا إن شئتم : فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم } {٨٤}

(٦) ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ يُجَاءُ بالموت يوم القيامة كأنه كَبْشٌ أملحٌ (زاد أبو كريب فيوقَفُ بين الجنة والنار واتفقا فى باقى الحديث) فيُقَالُ يا أهلَ الجنة هل تَعرِفُونَ هذا فيَشْرئبونَ وينظرون ويقولونَ نعم هذا الموتَ ، قال ويُقَالُ ياأهل النار هل تَعرفون هذا قال فيَشْرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموتُ ، قال فيُؤْمَرُ به فيُذْبَح ، قال ثم يُقَال يا أهل الجنة خلود فلا مَوْت ويا أهل النار خلود فلا موتْ ، ثم قرأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وَأَنْذِرهُم يَوْمَ الحَسْرَةِ إذْ قُضيَ الأمرُ وهُمْ فى غَفْلةٍ وَهمْ لاَ يؤمنُون ، وأشار بيده إلى الدنيا } {٨٥}

(٧) ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ أنه عُرِضَ على كلُّ شيءٍ تُولجُونَهَ فعرضَت على الجنة حتى لو تناولتُ منها قطفاً أخذته أو قال تناولتُ منها قطفاً فقصرت يدى عنه وعُرِضَت على النار فرأيتُ فيها امرأة من بنى إسرائيل تُعَذَّب فى هرةٍ لها ربطتها فلَمْ تُطعِمْها ولم تَدعْها تأكلُ من خَشَاشِ الأرضَ } {٨٦}

{٨٤} ـ أخرجه البخارى واللفظ له ومسلم والنسائى .
انظر : ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، المرجع/١١ ، جزء/٨ ، ص ٥٧٩ ـ ٥٨٠ .
انظر : الإمام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/ ١٢ ، جزء/١٦ ، ص ١١٢
انظر : الأحاديث القدسية ، المرجع/ ٢٠ ، جزء/١ ، ص ١١٦

{٨٥} ـ أخرجه الامام مسلم ، والترمذى عن أبى سعيد ، والامام أحمد وابن ماجه والحاكم عن أبى هريرة .
انظر : الامام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/١٢ ، جزء/١٧، ص ١٨٤ - ١٨٥
انظر : الامام النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع/ ، جزء/٣ ، ص ٤٠٧

{٨٦} ـ رواه الامام مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه . (جزء من حديث)
انظر: الامام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/ ، جزء/٦ ، ص ٢٠٧

(٩٢) فيعلم مما سبق أن المؤمن فى قبره يجد " مجموع أعماله " تمثلت له فى صورة ذلك المخلوق الجميل الصوره ، الطيب الرائحة والكافر يجد عكس ذلك . ومجموع أعمال الإنسان تشمل أقوال باللسان وأفعال بالجسد وأحوال فى القلب .

ولذا علم بالضرورة أن كل مايحدث من الإنسان ، ماديا كان أم معنويا، إنما له كينونه فى عالم آخر غير هذا العالم المادى ، سماه بعض أهل العلم " عالم المثال " ، حتى أن الصيام والصلاة والصدقة ... ، لها وجود تجادل عن صاحبها الى الجنة .
وسور القرآن : البقرة وآل عمران ، والملك ، تتمثل فى صور وأشكال ، ولها وجود فعلى فى ذلك العالم .
وان كان غير معلوم على وجه التحديد ، سر العلاقة بين السورة وشكلها التى تتمثل فيه : اذ العلم فى هذه الأمور لا يكون إلا اخبارا من الله أو رسوله فليس للعقل إليها من سبيل ، ولا يجوز فيها الظن والتخمين .

ومما يؤكد أن المعنويات لها مثل هذا الوجود ماورد فى أمر الرحم . فهى صلة معنوية بين أفراد ولكنها فى قول النبى صلى الله عليه وسلم رواية عن رب العزة ، جاءت ولها كيان وخاطبت ربها وأجابها وأعطاها وتكرم عليها .
ومثالها أيضا الموت الذى هو معنى معنوى فى توقف سريان الحياة من مستوى، واستمرارها على مستوى آخر . فالموت حال الانتقال من حياة الدنيا المادية الأرضية إلى حياة البرزخ ... ومابعدها .
ويتأكد هذا بالنظر إلى الصلاة والزكاة والصيام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإحسان وهى سلوكيات مرتبطة بالالتزام بالحق كما بينه الله ورسوله .
فحتى هذه الخاصيات السلوكية ، أصبحت حقيقة وجودية كائنة كمخلوق فى عالم آخر ... " عالم المثال " .

(٩٣) وفى صحيح السنة عدد ضخم من الأحاديث الصحيحة {٨٧} كلها تثبت وتشير إلى ـ وجود هذا العالم ـ ولا يهم بعد ذلك أن تكون تسميته : " عالم المثال " أو غيره من التسميات .
إنما الذى يثبت من ذلك أن كلمات الذكر لها وجود فى ذلك العالم وتصعد فيه إلى مقام العرش الرحمانى يذكرن بصاحبهن .

{٨٧} ـ أورد شاه ولى الله الدهلوى ثلاثين حديثا فى هذا المعنى .
انظر : حجة الله البالغة ، المرجع/ ٥٢ ، ص ١٣ـ١٤

وكلمات الذكر كلمات من القرآن ، وتصعد فى مضمون الآيات والسور حين تلاوة القرآن . ولا منطق فى استبعاد صعودها بذاتها ، إن لم تكن ضمن سورة وآية ، فقد رأينا جميع الأعمال لها وجود وجميع الأقوال لها وجود فى ذلك العالم .

وإذا كانت كلمات الذكر قد صعدت حتى عرش بارئها سبحانه ، (يذكرن بصاحبهن) كما يقول الحديث ، فإن التساؤل الذى لا بد منه هنا هو : يذكرن من ؟!!
إن الله ــ جل شأنه وتعالى أمره ــ لا ينسى : حاش لله من ذلك ....

{ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ــ ١٩/ مريم ٦٤ }

والإجابة : لابد أنهن يذكرن " عالم ماحول العرش " . وفيه الملائكة العظام حملة العرش وملائكة الرحمن الكبرى الملتفه بعرش الرحمن ، والدائرة فى فلكه . ألم تسمع قول الله الحق :

{ الذين يَحْمِلُونَ العَرْشَ ومَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بحَمْدِ رَبِّهِمْ ويُؤمنون بِهِ ، ويستغفرون للذين آمنوا : ربنا وَسِعْتَ كُلَّ شيء رحمةً وعلماً ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وَقِهِم عذابَ الجحيم ، ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وَعَدْتَهُم ؛ ومَنْ صَلَحَ مِنْ آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ؛ إنك أنت العزيزُ الحكيم : وَقِهِمُ السيئات ، ومَنْ تَقِ السيئات يومئذٍ فقد رَحِمْتَهُ وذلك هُوَ الفوزُ العظيم ــ ٤٠/غافر ٧ ، ٩ }

وبذلك تتكون رابطة محكمة فى نظام الله ، بين ذكر العبد لربه وبين صلاة الله عليه وصلاة ملائكته عليه وهى الجزاء على ذكره لربه .
فلعل صلاة الملائكة المقصودة فى آية سورة الأحزاب التى نعلق عليها ، هى هذا الموقف بالإستغفار للذين آمنوا ، والدعاء لهم ولمن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم .

(٩٤) ولا شك فى أنه لا يتصور قيام الملائكة بهذا الاستغفار للعباد الذين آمنوا ، والدعاء لهم ، الا بتوجيه الله ومشيئته وارادته . بل لا يتصور أن يحدث شىء فى الملك والملكوت الا بمشيئة الله وأمره .
ولذا نقول : أن الله العليم ، المطلع على خفيات السرائر ، والعليم بمكونات الضمائر ، الذى وسع كل شىء رحمةً وعلما ، وجه ملائكته وأمرهم بالصلاة أى الإستغفار والدعاء لهم (على الذاكرين) كما فى الآية .
وهذا الفعل من الله رضى ومحبة لذاكريه المنشغلين به ، العابدين له . وأمره لملائكته بالاستغفار والدعاء ، أى بالصلاة عليهم إنما هو تنزل للرحمات على الذاكرين عبر السموات العلى .

(٩٥) فهل فى آيات الكتاب ، وصحيح السنة ، ما يؤيد ويثبت قولنا هذا ، ويبينه ؟! نعم ...... فى الحديث القدسى الشهير ، يقول الله تعالى:

{ من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وماتقرب الى عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضته عليه ، ومايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته ، كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذ بى لأعيذنه ، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن ، يكره الموت ، وأنا أكره مساءته } {٨٨}

فالذى يتقرب به المؤمن الى ربه ــ فى حديث البخارى هذا ــ هو النوافل: ونفل الشهادتين الذكر : وفى نفل جميع الأركان يبرز الذكر فى المقام الأول .
وهو جماع العبادات كلها كما استبان لنا فى الفصل الثانى .

{٨٨} ـ أخرجه الإمام البخارى رضى الله عنه .
أنظر : الإمام النوى . الأربعين النووية . المرجع/٢١ . الحديث الثامن والثلاثين . ص٧٨
أنظر : بن حجر العسقلانى، فتح البارى . المرجع/١١، جزء/١١، ص ٣٤٠ـ ٣٤١، حديث رقم/٦٥٠٢

والحديث يشير إلى أن هذا التقرب بالنوافل ينشىء المحبة من الله لقوله " حتى أحبه " .

وفى الصحيح من الحديث القدسى مايزيد هذا الأمر وضوحا :

{ إن الله اذا أحب عبدا دعا جبريل عليه السلام فقال : انى أحب فلاناً فأحبه ، قال فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى السماء فيقول : ان الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، قال ثم يوضع له القبول فى الأرض ، واذا أبغض الله عبداً دعا جبريل فيقول : إنى أبغض فلانا فأبغضه فيبغضه جبريل ، ثم ينادى فى أهل السماء ، ان الله يبغض فلانا فأبغضوه ، قال فيبغضونه ، ثم توضع له البغضاء فى الأرض } {٨٩}

(٩٦) فهنا أهل السماء يحبون العبد ، لحب الله له ، وحب جبريل له . {٩٠} ويخبرون بما يشاء تعالى من أخبار عن عباده ، ثم تكتب له المحبة أو القبول فى الأرض ، على اختلاف فى لفظ وروايات الحديث .

ولاعجب فى هذا : فان قول الله تعالى شأنه :

{ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ، يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ، لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْماً ــ ٦٥/ الطلاق ١٢ }

إنما يدل على المعنى العام لتنزل الأوامر الآلهية ، وسريان الحكم من أعلى لأسفل .

وفى حديث صلصلة الملائكة بأجنحتها تأكيد آخر لذلك :

{ . . . ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبح حملة

---

(٨٩) ــ أخرجه الامام مسلم والامام البخارى مع اختلاف يسير فى اللفظ . متفق عليه .

أنظر : الامام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/١٢ ، جزء/١٦ ، ص ١٨٤

انظر : ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، المرجع/ ١١ ، جزء/١٣، ص ٤٦١ ،حديث رقم/٧٤٨٥

{٩٠} ــ لاحظ أنه لو لم يكن لأهل السماء علاقة واتصال بأهل الأرض ، ماكان لإخبارهم ومطالبتهم بحب هذا العبد أو بغض ذاك العبد معنى : ولكان ذلك عمل لا عائد منه ، ولا مبرر له ــ وحاش لأمر الله أن يكون كذلك .

العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ماذا قال ، قال فيستخبر بعض أهل السموات بعضاً حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم ويرمون به فما جاءوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون } {٩١}

وهذا يجعل المعنى المستنبط : أن الله يحب أهل الذكر الذين تقربوا إليه بالنوافل ، ويأمر بمحبتهم ، ويحبهم جبريل ويحبهم أهل السموات ، وتكتب لهم المحبة فى الأرض ...فيحبهم عباد الله الذين يحبون الله تعالى .

(٩٧) وهنا لا بد من وقفة لتأكيد حقيقة عظيمة : فنلاحظ :

أ ـ أن الله تعالى بدأ هذا الحديث عن محبته للعباد لقوله : { **من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب** ... . الخ }
وقد بينا نحن بتوفيق الله ، أن الشرط الأساسى فى هذا العبد المحبوب كونه ذاكراً لله فى النوافل ، وذاكراً لله بالتخصيص : فكآن الإشارة هنا إلى ربط الولاية بالذكر .

وكما يقول إبن القيم الجوزية : " إن الذكر رأس الأصول ، وطريق عامة الطائفة ومنشور **الولاية** : فمن فتح له باب الدخول على الله عز وجل فليتطهر وليدخل على ربه عز وجل ، يجد عنده كل مايريد : فإن وجد ربه عز وجل وجد كل شيء ، وإن فاته ربه عز وجل فاته كل شيء " {٩٢}

ب ـ وتتضح هذه الحقيقة إذا انتبهنا إلى أن الذاكر لله على الدوام ، الحاضر معه بلا غفلة أو انقطاع ، فى كل حين وعمل وقول ، تتجلى عليه أنوار هذا الحضور مع الله عقيده وقولا وعملاً ، فإذا رؤى ذكر الله .

{٩١} ـ أخرجه الامام مسلم واللفظ له ، والترمذى كل بروايتين عن رجل من الأنصار ، وأخرجه الامام أحمد والترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما .
انظر : الامام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/١٢ ، جزء/١٤ ، ص ٢٢٦ ، مجلد/٥
انظر : سبل الهدى والرشاد ، المرجع/ ٦٠ ، جزء/٢ ، ص ٢٦٩ - ٢٧٠
انظر : النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع/٢٥ ، جزء/١ ، ص ٤٤٩
{٩٢} ـ انظر ابن قيم الجوزية ، الوابل الصيب ، المرجع/٤١ ، ص ٥٨

وعلى هذا تظاهرت أدلة الأحاديث النبوية :

ـ عن أسماء بنت يزيد : قال صلى الله عليه وسلم :

{ ألا أنبئكم بخيارِكُمْ ، خِيارُكُمْ الذينَ إذَا رُؤوا ذُكِرَ اللهُ } {٩٣}

ـ عن عبدالله بن عباس ، وعن عمر بن الجمح : قال صلى الله عليه وسلم :

{ أولياءُ اللهِ الذين إذَا رؤُوا ذُكِرَ الله } {٩٤}

ـ عن ابن عمر ، وعن عبدالرحمن عن غنم ، وعباده بن الصامت وأبى مالك الأشعرى ، وعن ابن مسعود : قال صلى الله عليه وسلم :

{ خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله ، وشراركم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الأحبة ، الباغون للبراء العنت } {٩٥}

(٩٨) فأهل الذكر خيار الأمة وأولياؤها : وإن لم يكن خيارها وأولياؤها هم الذاكرين الله كثيراً والذاكرات ، فمن يكونوا اذا ؟
أيكون أولياؤها وخيارها ، لا يذكرون الله كثيراً ؟؟؟
لا يكون ذلك ، لأن قلة الذكر صفة أهل النفاق :

{ وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَاسَ ولا يَذْكُرُونَ اللهَ إلا قليلاً ـ ٤/ النساء ١٤٢ }

وتتوثق العلاقة بين ذكر الله ، ومحبته ، ومحبة أهل السماء ، وتنزل الفيوضات وأعمال الولاية والقرب وامداداتها فى وحدة واحدة ، لمن يفهم ويفقه عن رب العزة : فكل الوجود عالم واحد يفيض بحب الله ، واللهج بالثناء عليه ، ودوام تذكره ، وتترابط مخلوقاته ـ جلا جلاله ـ فى وحدة معرفته

---

(٩٣) ـ أخرجه الامام أحمد فى مسنده ، عن أسماء بنت يزيد .
انظر : النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع/ ٢٥ ، جزء/١ ، ص ٤٨١
انظر : ابن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع/ ٢٨ ، جزء/١ ، ص ٤١٩ ، حديث ١٧٨٨

(٩٤) ـ أخرجه الحكيم عن ابن عباس رضى الله عنهما .
انظر : ابن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع/ ٢٨ ، جزء/١ ، ص ٤١٨ ، حديث ١٧٨٣

(٩٥) ـ أخرجه البيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما .
انظر : ابن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع/ ٢٨ ، جزء/١ ، ص ٤١٩ ، حديث ١٧٨٦

(٩٩) ويقول الله تعالى :

{ وإن الدارَالآخِرةَ لَهِيَ الحَيَوانُ لَوْ كانوا يعلمون ـ ٢٩/العنكبوت٦٤}

فاذا كانت المعيشة الأرضية يعبر عنها بالحياة الدنيا بما تتضمنه هذه الكلمة من هبوط المستوى وحقارته . فبمقارنتها بالحياة التى هى الحيوان أى الحياة الأكمل ، وهى خير وأبقى ، يتبين أن التفاضل بينهما يجعل البون شاسعاً والفرق كبيراً .

فاذا علمنا أن أهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهم أهل الدنيا النفس ، وأهل السموات العلى يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، خرجنا بنتيجة واحدة وهى أن حياة الجنة تعتمد وتقوم على التسبيح كما تعتمد حياة الدنيا على الأنفاس .

فإذا ما توافر قوم على دوام التسبيح فى الدنيا فكأنما هم يرتقون من مرتبة أسفل سافلين إلى أحسن تقويم . وهذا الإرتقاء الذى يؤهلهم لحياة الجنة فتكون جنتهم فى صدورهم .
وقال ابن القيم ـ فى بيان حال الذاكر ـ : " سمعت شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : إن فى الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة " {٩٦}

(١٠٠) فمن لم يحب الله تعالى ويحب جبريل عليه السلام وأهل السماء وأولياء الله أحبابه يشك فى إيمانه وسلامته من النفاق . ولله در ابن القيم الجوزية إذ يقول :

[إن الذكر أصل موالاة الله عز وجل ورأسها ، والغفلة أصل معاداته ورأسها فإن العبد لايزال يذكر ربه عز وجل حتى يحبه فيواليه ، ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه فيعاديه ، قال الأوزاعى : قال حسان بن عطية : ما عادى عبد ربه بشىء أشد (عليه) {٩٧} من أن يكره ذكره أو من يذكره ، فهذه المعاداة سببها الغفلة . ولا تزال بالعبد حتى يكره ذكر الله ويكره من يذكره فحينئذ يتخذه (الله) عدواً كما إتخذ الذاكر وليا] {٩٨}

{٩٦} ـ انظر : ابن قيم الجوزية ، الوابل الصيب ، المرجع/٤١ ، ص ٤٢

{٩٧} ـ هكذا فى النص عند ابن القيم ، ونحن نفضل استبعاد كلمة " عليه " من النص .

{٩٨} ـ انظر : ابن قيم الجوزية ، الوابل الصيب ، المرجع/ ٤١ ، ص ٦٥

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ علامة حب الله تعالى حب ذكر الله ، وعلامة بغض الله تعالى بغض ذكر الله عز وجل } {٩٩}

(١٠١) وكل هذا الذى أشرنا إليه فى مقتضب البيان ، إنما مجموعه وخلاصته فى محكم قوله تعالى :

{ اذكُرونِى أذكُركُمْ ، واشكُروا لِى ولا تَكفُرُونِ ــ ٢/ البقرة ١٥٢ }

وهذه الآية شرف عظيم للذاكرين :

ففيها أن جزاء ذكر عباده له ــ جلا جلاله ــ أن يذكرهم هو سبحانه وتعالى . ويتبين هذا المعنى من الحديث القدسى ، فيما يرويه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه : قال الله عز وجل :

{ أنا عند ظن عبدى وأنا معه إذا ذكرنى :فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعا وإن أتانى يمشى أتيته هرولة } {١٠٠}

ويستفاد من هذا الحديث القدسى أن :

أ ــ ذكرنا لربنا تعالى ، ثوابه ذكره سبحانه لنا ، وأن كيفية ذكره لنا تتناسب مع كيفية ذكرنا له : إن ذكرناه تعالى فى أنفسنا ذكرنا فى نفسه : وإن ذكرناه جهراً فى ملأ ، ذكرنا ــ جل شأنه ــ جهراً فى ملأ خير من الملأ الذى نذكره فيه .

{٩٩} ــ أخرجه البيهقى فى السنن عن أنس .

انظر : بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع/ ٢٨ ، جزء/١ ، ص ٤١٧ ، ٤١٨ ، حديث ١٧٧٦

{١٠٠} ــ متفق على صحته ، أخرجه الامام البخارى ، والامام مسلم بثلاث طرق عن أبى هريرة ، والامام الترمذى بروايتين ، وابن ماجه بروايتين أيضاً ، وأخرجه الامام أحمد ، والطبرانى ، وكلهم بأسانيد صحيحة ، الا سند الطبرانى فهو حسن .

انظر : الأحاديث القدسية . المرجع/ ٢٠، ص ٦٢ - ٦٦(باب ماجاء فى حسن الظن بالله تعالى)

انظر : الامام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/١٢ ، جزء/١٧ ، مجلد/٦ ، ص١٢

ب ـ وأما قوله " وأنا معه إذا ذكرني " فهو شرف جدير " بالمعية الآلهية " للذاكرين . وكونه سبحانه وتعالى " مع " عباد له يحبهم ويحبونه أمر تدل عليه الآيات القرآنية مثل :

{ إِنَّ اللهَ مَعَ الذِينَ اتَّقَواْ والذين هُمْ مُحْسِنُون ـ ١٦/النحل١٢٨ }

{ والذين جاهدوا فينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وإِنَّ اللهَ لَمَعَ المحسنين ـ ٢٩/ العنكبوت ٦٩}

والمعية المقصودة هنا معية خاصة ، غير حقيقة وجوده وحضوره في الكون بعلمه وحكمته وتدبيره وإرادته .
ويدل علي ذلك اختصاص المحسنين والمتقين بها في الآيات ، وربطها في الحديث بأحوال الذكر جهراً وسراً ، وبالتقرب إليه سبحانه : فهي معية رضا وقرب .

والحديثان القدسيان :

{ أنا جليس من ذكرني } {١٠١}

{ أنا مع عبدي ماذكرني وتحركت بي شفتاه } {١٠٢}

يؤكدان أن هذه المعية معية خاصة . وفي قول ابن القيم :
(المعية الحاصلة للذاكر معية لا يشبهها أي شيء : وهي أخص من المعية الحاصلة للمحسن والمتقي ، وهي معية لا تدركها العبارة ، ولا تنالها الصفة : وإنما تعلم بالذوق) {١٠٣}

{١٠١} ـ أخرجه الديلمي عن ثوبان رضي الله عنه .

أنظر : بن حسام الدين الهندي ، الكنز ، المرجع/٢٨ ،جزء/١ ،ص٤٣٣ ،حديث رقم/١٨٧١

{١٠٢} ـ أخرجه ابن ماجه واللفظ له في سننه وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه والحاكم عن أبي الدرداء .

انظر : الأحاديث القدسية ، المرجع/٢٠ ، جزء/١ ، ص ٦٤ ، حديث ٥ .

انظر : الحاكم المستدرك ، المرجع/ ١٨ ، جزء/١ . ص ٤٩٦

انظر : بن حسام الدين الهندي ، الكنز ، المرجع/٢٨ ، جزء/ ١ ، ص ٤٣٣ ، حديث ١٨٦٩

انظر : سنن ابن ماجه ، المرجع/١٤ ، جزء/٢ ، ص ١٢٤٦ ، حديث ٣٧٩٢

{١٠٣} ـ انظر ابن قيم الجوزية ، الوابل الصيب ، المرجع/ ٤١ ، ص ٦٠ .

(١٠٢) وذكرنا لله عز وعلا إنما هو تطلع وحب وطلب وهي خصائص في صميم العبودية ومظن عدمها فقد كفر نعمة الله ولم يشكرها : وكيف يتوقف المحب عن ذكر حبيبه :

{ والذين آمنوا أشدُّ حبًّا لله ـ ٢/ البقرة ١٦٥ }

وذكره لنا سبحانه يكون بتنزل الرحمات والإكرام والجود . وسواء فهمنا أن ذكرنا له شكر على ما أنعم به ، أو فهم البعض أننا نبدأ بذكره ، فإن ناتج الحالتين يكون ذكر الله تعالى لنا بالعطاء : لأن الله هو الشكور حقاً ، وهو الذي إذا شكرناه زادنا .

والغالب عندنا أن ذكرنا له إنما هو شكر ، وليس ابتداء منا له بالذكر . لأنه سبحانه ، أسبغ على العبد نعمه ظاهرة وباطنة بمجرد الإيجاد والخلق ، ورعاه في عوالمه كلها ، حتى خرج من عالم الرحم إلى عالم الملك والشهادة : وليدا غضاً . ثم زين لنا الإيمان به وهدانا إليه ووفقنا إلى ذكره .

{ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ـ ١٦/النحل ٧٨)

ولذلك نقول أنه وإن كان ذكرنا لله تعالى هو شكر له ، فهو أيضاً يؤدي إلى زيادة شكر العبد فيما بعد بسبب أنه يقوى الحال الإيماني في القلب ، ويزيد الإنتباه في الرقي بعظمة المذكور وجلاله ورحمته وجماله ، ووده ولطفه وإبداعه .
فإذا ذكرناه سبحانه كثيراً ، وسبحناه بكرة وأصيلاً ذكرنا عبر الملأ الأعلى حتى توضع لنا المحبة في الأرض : صلى علينا وملائكته بفيض تنزلات إمداداته الحسية والمعنوية . وهي هنا متمثلة في الإخراج من الظلمات إلى النور ووصول رحمته إلى المؤمنين من عباده .

(٣ . ١) وارتباط صلاة الله وملائكته ، بالأخراج من الظلمات إلى النور وعلاقة كل هذا بالذكر والهدى والرحمة معان لا بد من تفهمها ، لكثرة ورودها فى آى الذكر الحكيم ، ودور البيان النبوى الشريف .

فنقول أولا :

أن الإنتقال من حال الظلمات إلى النور له احتمالان فقط :

(أ)ـ إنتقال مكانى من محل الظلمات إلى المكان محل الأنوار .

(ب)ـ دخول الأنوار فى محل الظلمات فتبددها .(كأن تأتى فى مكان مظلم بشمعة مضيئة ، فيخرج الجالسون فى المكان من حال كونهم فى الظلام إلى حال كونهم فى النور) .

واخراج الله للعباد فى الأرض ، من الظلمات إلى النور أقرب إلى المعنى الثانى ، وإن كان له علاقة أيضاً بالمعنى الأول . والنور هنا فى الدرجة الأولى نور المعرفة بالحق على أنواعه كلها .

وأعلى الحق هو الله الحق . ومعرفته سبحانه هى أعلى الأنوار وهى أيضاً مقصود العبادة ، كما تبين فى الفصل الثالث (الفكر والذكر) .

ومن ترقت معرفته بالله ، ترقى إدراكه لجلاله وعظمته وتعاليه وعزته ، وحلت الخشية والهيبة فى القلب (الوعى الإدراكى) وفاضت من القلب على الجوارح بالطاعة والعبودية : وإنما يخشى الله من عباده العلماء .

وإذا دامت هذه التقوى ، فكان العبد أهلا لأن يوصف بها أى من المتقين ، علمه الله من علمه ما يشاء . قال تعالى :

{ واتَّقُوا اللّه وَيعلّمكُمُ اللهُ ـ ٢/البقرة ٢٨٢ }

والزيادة فى هذا العلم ، الذى هو أصل النور كله ، علامة الترقى والقرب .

قال تعالى :

{ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ـ ٢٠/طه ١١٤ }

وذلك لنبيه صلى الله عليه وسلم الذى أوتى من العلم مالم يؤت نبى قبله ، كما أنه ليس من نبى بعده .

وقال صلى الله عليه وسلم :

{ **إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علما يقربنى الى الله تعالى فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم** } {١٠٤}

وإذا نتج عن فيض أنوار المعرفة والعلم على العبد أن تجلت له أنوار من الكريم الودود والوهاب الحكيم ، نما حبه ـ عز وجل ـ فى القلب وترعرع . وحب الله مأمور به يقينا لقوله سبحانه :

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ منكُمْ عَن دِينِه فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ـ ٥/ المائدة ٥٤ }

وقوله :

{ قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله ـ ٣/آل عمران ٣١}

وقوله :

{ والذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُباً لله .... ـ ٢/البقرة ١٦٥ }

وقوله :

{ واللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِين ـ ٥/ المائدة ٩٣ }

وقوله :

{ إِنَّ الله يُحِبُّ التَّوابِينَ ويُحِبُّ المُتَطَهِّرِين ـ ٢/البقرة ٢٢٢ }

وقوله :

{ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المتَوَكِّلِين ـ ٣/آل عمران ١٥٩ }

{١٠٤} ـ أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، وأبونعيم فى الحليه ، وابن عدى فى الكامل ، وابن عبد البر فى العلم من حديث عائشة باسناد ضعيف .

انظر : الامام الغزالى، أحياء علوم الدين ، المرجع/٤٨ ، جزء/١ ، ص ٦

انظر : النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع/ ٢٥ ، جزء/١ ، ص ٦٥

وحب العبد لربه ـ والذى يثبته صدق العبودية رغباً ورهباً ـ هو سبب حب الله ، فإذا تنزلت فيوضات الصلاة الرحيمية وانوار الهداية الربانية ، وتكرم الودود الوهاب على العبد بالعطاءات كما قال :

{ أوَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأحْيَيْنَاهُ ، وجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يمشى به فى الناسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِى الظلماتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ـ ٦/ الأنعام ١٢٢ }

فهذا هو الإخراج من الظلمات إلى النور . وإذا كان الفرد من المؤمنين ، فذاك قوله :

{ يَوْمَ لا يُخزِى اللهُ النَّبىَّ والذين آمنوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بينَ أيْديهِمْ وبأيْمَانِهِمْ : يقولونَ ربَّنا أتْمِمْ لنا نُورَنَا واغفر لنا ، إنكَ عَلَى كل شَىْء قدير ـ ٦٦/التحريم ٨ }

(١.٤) وأنوار المؤمنين على درجات اكتمال إيمانهم بالتصديق القلبى والأعمال الصالحات المنبعثة عن هذا التصديق . وكلما ازداد القلب خلواً من غير الله تعالى ، وازداد انشغالا بالله وسبيله وأمره ونهيه كلما ازداد نور القلب : وكلما أكثر العبد من الأعمال الصالحات ، عاد منها على العبد أنوار تزيده بهاء وصفاء . والعكس من ذلك صحيح . قال الله تعالى :

{ يومَ تَرَى المؤمنينَ والمؤمِنَاتِ نُورُهُمْ يَسْعَى بين أيديهم وبأيمانهم ـ ٥٧/الحديد ١٢ }

وهم على جميع الأحوال يرجون من الله الزيادة فى الإيمان ويسألونه عظيم فضله ونواله :

{ ربنا أتمم لنا نُورَنَا واغْفِرْ لنا إنَّكَ على كُلِّ شىءٍ قدير ـ ٦٦/التحريم ٨ }

فالقلب يمثل درجة النور ، التى هى المحصلة الكلية لحال المرء يعرف منها موقفه على الخريطة الإيمانية . لذلك فهو محل النظر يوم القيامة لكفايته فى البيان والدليل . قال تعالى :

{ يَوْمَ لايَنْفَعُ مالٌ ولا بَنونَ إلا مَنْ أتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ـ ٢٦/الشعراء ٨٩ }

(١.٥) والرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، ليس فى الظلمات أصلا حتى تكون صلاة الله وملائكته عليه إخراجا له منها : وإنما هو على نور وفى نور ، بل وهو نور ـ عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

فصلاة الله وملائكته عليه زيادة فى الأنوار عليه : نور على نور .
ومما يلفت نظر المؤمن ، أن الله تعالى يذكر صلاته هو وملائكته على النبى :

{ إِنَّ اللهَ وملائكتَهُ يُصَلُّونَ على النَّبِيِّ ، يا أيها الذين آمنوا صَلُّوا عليهِ وسَلِّموا تسليما ـ ٣٣/ الأحزاب ٥٦ }

فى نفس السورة ، وبعد خمسة عشر آية من موقع قوله أنه يصلى علينا ـ ليخرجنا من الظلمات إلى النور .

(١.٦) ثانيا : نستدل من الآيات على عدة أمور :

(١)ـ أن الذكر ـ على وجه الخصوص ـ يستحب فيه الاكثار . يقول سبحانه وتعالى :

{ واذكروا اللهَ كثيرا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون ـ ٨/الأنفال ٤٥ }

{ والذاكرينَ اللهَ كثيراً والذاكِرَاتِ أعَدَّ اللهُ لهم مَغْفِرَةً وأجراً عظيما ـ ٣٣/الأحزاب ٣٥ }

{ واذكرْ رَبَّكَ كثيراً وسَبِّحْ بالعَشِيِّ والإبْكَار ـ ٣/آل عمران ٤١ }

(٢)ـ أن هناك أوقات وأزمنة يرتبط معها الذكر ، وأنواع منه على وجه الخصوص مثل العشى والإبكار . (انظر الفصل السابع) .

(٣)ـ ومن قوله سبحانه وتعالى : (تحيتهم يوم يلقونه سلام) : والسلام هو البراءة من العيوب والنواقص .
وفى حق العباد أمثالنا هو أيضاً براءة من الأوزار والأخطاء بعفو الله ومغفرته . اذ لا يعقل فى حق أمثالنا أن تتم لهم السلامة من كل عيب ونقص وشائبة .

قال صلى الله عليه وسلم :

{ كل إبن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون } {١٠٥}

هذا المعنى الخاص بالخلاص من الأوزار والأخطاء وتبعاتها بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث :

{ سبق المفردون ، سبق المفردون ، سبق المفردون ، قالوا وما المفردون يارسول الله ؟ قال الذين يهترون فى ذكر الله يضع الذكر عنهم(أثقالهم) أوزارهم فيأتون يوم القيامة خفافاً } {١٠٦}

وفى الحديث الآخر عن ابن عمر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ إن لكل شيء صقالة ، وان صقالة ذكر الله عز وجل وما من شيء أنجى من عذاب الله عز وجل من ذكر الله . قالوا ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع } {١٠٧}

{١٠٥} ـ أخرجه الإمام أحمد ، والترمذى ، وابن ماجه والحاكم عن أنس رضى الله عنه . حديث صحيح .
انظر : الامام النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع/ ، جزء/٢ ، ص ٣٢٣

{١٠٦} ـ أخرجه الامام مسلم وأحمد عن أبى هريرة مع اختلاف يسير فى اللفظ، أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح اللفظ المذكور اعلاه . وأخرجه الحاكم عن الفاريانى وموسى بن عبيد جميعهم عن أبى هريرة وأخرجه الطبرانى عن أبى الدرداء .
انظر : الامام النووى ، رياض الصالحين ، المرجع٢٢/ ، ص ٣٩٧ حديث رقم/١٤٣٦
انظر تفصيلا فى طرقه عند ابن رجب الحنبلى ، جامع العلوم والحكم ، طبعة الريان ٨٧ ١٩ . ص ٥٣٥ ومابعدها .
انظر : المنذرى ، الترغيب والترهيب ، المرجع/٢٦ ، جزء/ ٢ ، ص ٦٦٦
انظر : الامام النووى ، الأذكار ، المرجع/ ٢٣ ، ص ٩

{١٠٧} ـ سبق تخريجه ، انظر بند رقم / ٤٣ ، هامش رقم/٤١ ص ٣٥

(١٠٧)

(٤)ـ وقوله تعالى (وأعد لهم أجراً عظيماً) ، يدل على الإعداد المسبق ولعله بفعل الذكر نفسه كما أشار فى الحديث :

{ أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر } {١٠٨}

وعظمة الأجر تقاس بالنسبة إلى قائل الكلمة . فما هو عظيم عند الطفل ، أمر صغير عند أبيه . وما هو " عظيم عند الفقير ضئيل عند صاحب الملايين " .

والأجر " العظيم " عند العبد المحدود العلم ، لا يكون شيئا عند رب العالمين الذى (لوكانت الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء) .
فما هو ياترى أجر الذاكرين الله الذى يسمى " عظيماً " عند من له ملك السموات والأرض ؟

{١٠٨} ـ أخرجه الإمام الترمذى عن ابن مسعود ، وقال حديث حسن .
أنظر : الإمام النووى ، رياض الصالحين ، المرجع/ ٢٢ ، ص٣٩٨ حديث رقم/ ١٤٤ .
أنظر : المباركفورى ، تحفة الأحوذى ، المرجع/ ١٣ ، جزء/ ٩ ، ص ٤٣٠ـ ٤٣١ ، حديث رقم/ ٣٥٢٩
أنظر : النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع/ ٢٥ ، جزء/ ٣ ، ص ٢١

الباب الثانى

صور التنفيذ الفعلية

(٨ . ١) تعرضنا فى الباب السابق لبيان مفهوم ذكر الله ، وأهميته وفضله وكذلك أنواعه وعلاقته بالفكر والعقل والقلب ، وموقعه فى الدين عموما ، وبعض الفوائد والآثار التى تترتب عليه .

وفى هذا الباب نعرض للجانب التنفيذى المتعلق بأداء الذكر ، من حيث أوقات الذكر وآدابه ، ومناهجه الفردية والجماعية ، والخفية والعلنية ، وطبقات الذكرلسانا وقلبا وروحا ، والمناسبات الخاصة التى أمر فيها بذكر الله على غير وجه التخصيص عبر الشهور والأسابيع والسنون .

ثم أضفنا للبحث فى التساؤلات التى تثور حول شرعية بعض ممارسات الذكر والذاكرين : جواز الجهر به ، والإجتماع والتحلق عليه ، والأماكن التى يقام بها ، وهل المقصود بالذكر دراسة العلم ، وإستعمال المسبحة ، وما شوهد من الإهتزاز والحركة الجسمانية على أجساد بعض الذاكرين .... وإلى آخر ذلك .

وأشرنا فى الفصل الأخير إلى مختارات من الأذكار العامة إنتقيناها من الكتاب والسنة الشريفة .

الفصل الخامس
آداب ذكر الله وأوقاته

- أولاً : المكان
- ثانياً: الزمان
- ثالثاً: الذاكر

تشير آيات الكتاب الحكيم ، وسنة الرسول الرءوف الرحيم ، عليه أفضل صلاة وأتم تسليم ، إلى ثلاثة جوانب رئيسية في آداب ذكر الله :

أولها : يتعلق بالمكان

وثانيها : يتعلق بالزمان

وثالثها : يتعلق بحال الذاكر

أولا ــ المكـــان

النظافة والطهارة

(١٠٩) إتفقت مفاهيم المسلمين على أنه ينبغى أن يكون المكان الذى يذكر الله فيه نظيفا خاليا طاهرا . والنظافة كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ إن الإسلام نظيف فتنظفوا، فإنه لايدخل الجنة إلا نظيف } {١٠٩}

والطهارة على العموم ورد الترغيب فيها ظاهرا وباطنا . والمقصود هنا طهارة المكان من الأنجاس ، كتلك التى تنجس الماء ، فيصبح غير صالح للوضوء والتطهر مثلا .

وطهارة المكان تكون بخلوه من النجاسات الظاهرة ــ كالأوساخ ، والقاذورات ، وخلوه من الأوساخ الباطنة ــ كالأماكن المعدة للفسق والفجور والتى تستعمل لذلك .

{١٠٩} ــ أخرجه الخطيب فى التاريخ ، عن عائشة واللفظ له ، وأخرجه آخرون بصيغ مشابهة مثل الطبرانى فى الأوسط عن عائشة أيضا رضى الله عنهما ، والطرطوسى فى جزئه عن أبى هريرة ، والخطيب عن جابر ، وابن أبى شيبة عن على رضى الله عنه .

أنظر : ابن حسام الدين الهندى ، الكنز ، مرجع /٢٨ ، جزء/٩ ، ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، حديث/ . . .٢٦ ، ٢٦٠٠١ ، ٢٦٠٠٧ ،

أنظر : النبهانى ، الفتح الكبير ، مرجع / ٢٥ ، جزء /١ ، ص٢٩٥ ، جزء / ٢ ، ص ٢١٩

غير أن ذلك يرد عليه إستثناءان :

الأول : أن المؤمن قد يعمد إلى مثل ذلك المكان (مرة واحدة ، أو مرات قليلة) بغرض التنبيه والمقاومة لفعل الشيطان .
وقد كان بعض الصالحين يذهبون إلى مثل هذا الأماكن فيعظون الخلق فيها وينذرونهم ، ويذكرون الله تعالى بالدعوة إليه وإعلاء كلمته .
ولكن هذا المنهج لا يعد قاعدة ، ولا يوصى به عموما فهو إستثناء نادر . إلا فى الحالات التى ـ أمر بها الشرع مثل السوق ـ وهو مكان ليس بنجس ولكن فيه إنشغال : قال صلى الله عليه وسلم :

{ مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فقالَ لا إلهَ إلا اللهَ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ المُلكُ وَلهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِير ، كَتَبَ اللهُ لَهُ ألفَ ألفَ حَسَنَة وَمَحَا عَنْهُ ألفَ ألفَ سَيِّئة ، وَرَفَعَ لَهُ ألفَ ألفَ دَرَجَة ، وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الجَنة } (١١٠)

والثانـى : أن المكان الذى أحدث فيه العبد ذنبا ، يستحب ـ فى رأى بعض العلماء ـ أن يحدث فيه فعل خير وحسنات .
فإن هذا المكان كما يشهد عليه يوم القيامة بما أذنب ، يشهد له أيضا بما أحسن من الأفعال . والأجدر فعل ذلك على وجه السرعة ، وقبل أن يكتب الملكان الذنب على العبد .

فعنه صلى الله عليه وسلم :

{ صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال فإذا عمل العبد حسنة كتبها بعشر أمثالها وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين أمسك فيمسك ست ساعات فإن استغفر الله منها لم يكتب عليه شيئا وإن لم يستغفر كتب عليه سيئة واحدة } (١١١)

---

(١١٠) ـ أخرجه الإمام الترمذى وابن ماجه والحاكم عن ابن عمر والإمام أحمد .
انظر : الإمام النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع / ، جزء / ٣ ، ص ١٨٩
انظر : الحاكم ، المستدرك ، المرجع / ، جزء / ١ ، ص ٥٣٨

(١١١) ـ أخرجه الإمام الطبرانى ، والبيهقى عن أبى أمامة ، وصححه الإمام السيوطى وغيره .
أنظر : الإمام السيوطى ، الجامع الصغير ، المرجع/٢٤ ، جزء/٢ ، ص ٤٤

(١١٠) والظاهر أن ذكر الله يقاس على الصلاة ، من حيث المعاملة فى الطهارة : والصلاة لا يصح أداؤها فى مكان نجس أو متنجس .
والفرق بين " النجس " و " المتنجس " أن المكان النجس تكون النجاسة فيه صفة ثابته لذات المكان لا تنفك عنه : فالحمامات وبيوت الخلاء ، لا تصح فيها الصلاة لعيب فى ذات المكان . أما الأماكن العادية التى تنجست ببعض القاذورات ، والتى تصبح نظيفة بالتطهير من هذا القاذورات ، فهى متنجسة بصفة مؤقتة .

بيوت الله ـ وبيوت الناس

(١١١) ويستحب عند غالبية العلماء ، أن يكون ذكر الله فى المساجد فهى بيوت الله المطهرة التى :

{ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ : يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ـ ٢٤/ النور ٣٦ ـ ٣٧ }

والمسجد أصل فى الإسلام ، ويجب أن يكون محل التوقير والحب والألفة ، لا تنفك أقدام المؤمنين عن السير إليه والعبادة فيه .

{ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ـ ٩/ التوبة ١٨ }

وكما يقول ـ خاتم النبيين ـ صلى الله عليه وسلم :

{ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسَاجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ } (١١٢)

---

(١١٢) ـ حديث صحيح ، أخرجه الإمام أحمد ، والترمذى ، وابن ماجه وابن حبان والحاكم والنسائى والبيهقى وابن خزيمة عن أبى سعيد .
أنظر : جلال الدين السيوطى ، الجامع الصغير ، المرجع / ٢٤ ، جزء ١/ ، ص ٢٦

(١١٢) إلا أن الأمر بالذكر قد ورد لجميع الأحوال والأوقات . وكما قالت أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها :

{ كَانَ رسولُ اللهِ يَذْكُرُ اللهَ عَلى كُلِّ أحْيانِه } {١١٣}

ومن الأحيان ما يكون فيه المرء فى بيته . والذكر هنا أيضا مستحب وواجب فى قول البعض لقوله صلى الله عليه وسلم :

{ مَثَلُ البَيْتِ الذى يُذْكَر اللهُ فِيهِ والبيتِ الذى لاَ يُذْكَرُ اللهُ فِيه مَثَلُ الحَيِّ والميِّتِ } {١١٤}

وقوله فى الحديث الآخر :

{ اجْعَلُوا مِنْ صَلاتِكُم فِى بُيُوتِكُم ولاتَتَّخِذُوها قُبُورا } {١١٥}

ثانيـــا : الزمـان

(١١٣) أشارت آيات الكتاب المبين ، وسنة النبى الصادق الأمين ، صلى الله عليه وسلم ، إلى أن للذكر أوقاتا مستحبة تفضل غيرها من الأوقات . بل إن الله ـ جل شأنه ـ يبين أن تعاقب الأوقات بدورة الليل والنهار، إنما وضع نظاما لغرضين أساسين : **الذكر ، والشكر** . يقول

{١١٣} ـ حديث صحيح أخرجه الإمام مسلم وأبو داودوالترمذى وابن ماجه عن السيده عائشة رضى الله عنها
انظر : جلال الدين السيوطى ، الجامع الصغير ، المرجع / ٢٤ ، جزء/٢ ، ص ١١٧

{١١٤} ـ حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم واللفظ له عن أبى موسى الأشعرى .
أنظر : جلال الدين السيوطى ، الجامع الصغير ، المرجع / ٢٤ ، جزء /٢ ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤
أنظر : الإمام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/ ١٢ ، جزء /٦ ، ص ٦٨

{١١٥} ـ أخرجه البخارى ومسلم واللفظ له والإمام أحمد وأبو داود وأبو يعلى عن ابن عمر ، أخرجه الرديانى والضياء عن زيد بن خالد ومحمد بن نصر فى الصلاة عن عائشة .
أنظر : الإمام السيوطى ، الجامع الصغير ، المرجع / ٢٤ ، جزء/١ ، ص ١٠
أنظر : الإمام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع / ١٢ ، جزء /٦ ، ص ٦٧
أنظر : حجر العسقلانى ، فتح البارى ، المرجع/ ١١ ، جزء /٣ ، ص ٦٢ حديث رقم / ١١٨٧

الحق سبحانه :

{ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا . وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ـ ٢٥ / الفرقان ـ ٦١ ـ ٦٢}

فإنه ـ تعالى شأنه ـ جعل فى السماء بروج الكواكب السيارة ، والشمس والقمر المنير ، بحيث أصبح فى نظام الكون الأرضى ظلاما ونورا . وجعل هذا التعاقب الدائب منشأ ومحلا للتذكر أو (الذكر) والشكر .
وإذا كان الشكر هو القيام بالأفعال الحركية الظاهرة لأن الشكر عمل ، فإن الحمد موقف وحال تلفظ باللسان . قال سبحانه بعد عرضه لأفعال داود وسليمان عليهما السلام :

{ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ـ٣٤/ سبأ١٣ }

والذكر محوره ـ الوعى والإدراك والحضور مع الله بلا غفلة ولا غياب عن ملاحظته . {١١٦}
ومن معنى التخالف فى الآية كما فهمه السلف تعاقب الليل والنهار بحيث يقضى الإنسان فى النهار ما فاته من ورده الليلى من الأذكار أو يقضى ما فاته من ورد النهار الذى غفل عنه . {١١٧}
أو يصحح فى أى منهما ما بدر فى الآخر ، كما جاء فى الحديث النبوى :

{ إِنَّ اللَّهَ عز وجل يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النهار ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنهارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا } {١١٨}

{١١٦} ـ راجع هذا الكتاب ، صفحات (٦٢ ـ ٦٥) عن علاقة الذكر بالشكر .
{١١٧} ـ راجع الإمام ابن كثير ، التفسير ، المرجع / ٢ ، جزء/ ٣ ، ص ٣٢٤
راجع الإمام الرازى ، التفسير ، المرجع / ٣ ، جزء /٦ ، ص ٣٥٤
راجع الإمام الألوسى ، التفسير ، المرجع / ٧ ، جزء / ١٦ ، ص ٤٢ ، مجلد/٧
وقد أخرجوا رواية عن عمر بن الخطاب .
{١١٨} ـ أخرجه الإمام أحمد ، والإمام مسلم واللفظ له ، عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهم أجمعين . حديث صحيح .
أنظر : الإمام السيوطى ، الجامع الصغير ، المرجع /٢٤ ، جزء /١ ، ص٧٤
أنظر : الإمام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/١٢ ، جزء /١٧ ، ص٧٦

وعباد الرحمن ـ أهل الحق ـ لا يكونون إلا فى أحد هاتين الحالتين : أما فى حضور مع الله بالذكر والفكر ، والتأمل والتدبر حبا وشكرا ، وإما فى قيام بأعمال الجوارح فى سبيله شكرا وقصدا . وحتى فى هذه الأخيرة فهم ذاكرين بمعنى متذكرين ، أي مدركين لوجود ربهم وهيمنته عليهم ، ومأمورون بمداومة الذكر كل حين أثناء أداء الأعمال .
ومن يكون فى غير هاتين للحالتين ، فهو اما غافل ، أو إنتابته سوانح الغفلة فانشغل بغير الله ، أو عمل لغير الله .

(أ) ـ الأوقات خلال اليوم والليلة :

(١١٤) وأشارت آيات الكتاب المبين ، وسنة النبى الصادق الأمين ، صلى الله عليه وسلم ، إلى أن للذكر أوقاتا مستحبة أمر الله ورسوله بإنتهازها وتفضل غيرها من الأوقات .
وإن كان الأصل أن الذين عند ربهم لا يتوقفون عن التسبيح ليلا ولا نهارا ، ولا يملون من ذلك . وأولئك الذين " عند ربهم " الملائكة والكائنات العليا ، والخلق من البشر الذين فى حضوردائم معه سبحانه بالذكر والفكر والعمل ، كما قال تعالى :

{ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لايَفْتُرُونَ ـ٢١/ الأنبياءَ ١٩ ، ٢٠ }

هذا ، وإن كان أصل الأمر فى دوام الذكر والتسبيح ، والإستغفار ، وإلى آخره ليلا ونهارا ، إلا أن من الآيات والأحاديث النبوية ما يشير إلى أوقات معينة : قال تعالى :

{ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ـ ٧٣ /المزمل ٧ ، ٨ }

وقال تعالى :

{ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ـ ٧٦/ الانسان ٢٥ ، ٢٦ }

وقال تعالى :

{ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ، وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وإِدْبَارَ النُّجومِ - ٥٢ / الطور ٤٨، ٤٩ }

وقال عز وعلا :

{ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ، وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى - ٢٠ / طه ١٣٠ }

وقال جل من قائل :

{ كَانُوا قَلِيلا منَ أللَيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ، وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ - ٥١ / الذاريات ١٧، ٢٨ }

وقال تعالى :

{ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ، وَلَهُ الحَمْدُ فى السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ - ٣٠ الروم ١٧، ١٨ }

وقال تعالى :

{ وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالعَشِيِّ والإِبْكَارِ - ٣/آل عمران ٤١ }

وفى هذه الايات إشارات إلى أوقات معينه منها :

(١١٥)

(١) ـ الأسحار وعند إدبار النجوم :

ويستحب على وجه الخصوص الإستغفار والتوبة المرتبطة به ، والتسبيح بالحمد وهو شعور بالجلال وبالإطمئنان إلى حكم العظيم القادر وحكمة تدبيره وعطائه للعبد ، ونعمته وإنعامه عليه من كل الجوانب .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ يَتَنَزَّلُ - تبارك وتعالى - كُلَّ ليلةٍ إلى سَمَاءِ الدنيا ، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ الليلِ الآخِرِ ، فيقولُ : مَنْ يَدعُونِي فَأَستَجِيبُ لَهُ ؟ مَنْ يَسألنى فَأُعطِيَهُ ؟ مَنْ يستغفِرُنى فَأَغفِرَ لَهُ } {١١٩}

(١١٦)

(٢) - من الفجر إلى طلوع الشمس وبكرة الصباح :

والإشارات فيه إلى التسبيح والتحميد والإستغفار وذكر الله بأسمائه وصفاته وجميع الذكر عموما . قال صلى الله عليه وسلم :

{ لإنْ أَقعُدَ مَعَ قومٍ يذكُرُونَ اللهَ تعالى مِنْ صلاةِ الغَدَاةِ (في روايةِ الفجر) حتى تَطلُعَ الشمسُ ، أحَبُّ إلَيَّ مِنْ أنْ أعتِقَ أربعةً مِنْ وَلَدِ إسماعيلَ ، (أحبُّ إلَيَّ من الدُّنيَا وما فيها) } {١٢٠}

وعن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

{ الغفلةُ فى ثلاث : عَنْ ذِكرِ اللهِ ، وحِينَ يُصَلِّي الصبحُ إلى طلوع الشمس ، وَغفلة الرَّجل مِنْ نفسهِ فِي الدَّينِ حَتى يركَبَهُ } {١٢١}

وفى البآب أحاديثَ كثيرة .

{١١٩} - أخرجه الإمام البخارى بروايتين ، واللفظ له ، والإمام مالك فى الموطأ بنفس اللفظ ، والإمام مسلم بستة روايات ، وأبو داود والترمذى وقال حسن صحيح .
أنظر : الأحاديث القدسيه ، المرجع / ٢٠ ، جزء /١ ، ص٧٢، ٧٥
أنظر : بن حجر العسقلانى ، فتح البارى ،المرجع/١١، جزء/١١، ص١٢٨- ١٢٩ حديث رقم/٦٣٢١

{١٢٠} - أخرجه أبوداود والبيهقى وابن حبان عن أنس رضى الله عنهم أجمعين ، حديث حسن ، وفى رواية البيهقى (بعد صلاة الفجر) ، (أحب إلى من الدنيا وما فيها) ، وفى الحديث القد سى عن أبى هريرة مرفوعا قال الله تعالى :(يا ابن آدم أذكرنى بعد الفجر وبعد العصر ساعه أكفك ما بينهما) رواية أبو نعيم فى الحلية .
أنظر : بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع /٢٨، جزء /١ ، ص ٤٢٠ - ٤٢١ ، الأحاديث رقم / ١٧٩٥ ، ١٧٩٩ ، ١٨٠٠
أنظر : السيوطى ، الجامع الصغير ، المرجع / ٢٨ ، جزء/٢ ، ص١٢٢

{١٢١} - أخرجه الطبرانى والبيهقى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أجمعين .
أنظر : بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع /٢٨، جزء /١ ، ص ٤٢٠ حديث رقم/١٧٩٤

(٣) ـ وقت الظهر خصوصا وفى وسط النهار عموما :

لأن كلمة (تظهورن) تعنى شدة الضياء . {١٢٢} ، {١٢٣}

وعن انس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ ألاَ أخبِركُم لِمَ سَمَّى اللهُ تعالى إبراهيمَ خليلَهُ الذى وَفَّى ؟ لأنَه يقولُ كلما أصبحَ وأمسَى سبحانَ الله حينَ تُمسُونَ وحينَ تصبحون ولَهُ الحمدُ فى السمواتِ والأرضِ وَعَشيًا وَحيَنَ تُظهِرُونَ } {١٢٤}

وعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

{ مَنْ قال حين يُصْبحُ سبحانَ الله حين تُمسُونَ وَحينَ تُصبحُونَ إلى قوله تعالى : وكذلكُ تخْرَجُونَ ، أدْرَكَ ما فَاتَهُ فى يَومِهِ ومن قالها حين يُمسِى أدْرَكَ ما فاتَه مِنْ ليْلَتِه } {١٢٥}

{١٢٢} ـ أنظر فى معنى تظهرون ، ابن كثير ، التفسير ، المرجع /٢ ، جزء/ ٣ ، ص ٤٢٨

{١٢٣} ـ لمناقشة ممتعة لهذه الآية وما قبلها وما بعدها ، راجع :

الألوسى ، التفسير ، المرجع /٧ ، جزء ٢١ ، مجلد / ٧ ، ص ٢٧ ، ج/ ٣٠.

وراجع : الإمام الرازى والتفسير ، المرجع / ٣ ، جزء /٦ ، ص ٥١٤ ـ ٥١٧

{١٢٤} ـ أخرجه الإمام أحمد ، وابن جرير وابن المنذر ، وابن أبى حاتم وابن السنى ، والطبرانى وابن مردويه ، والبيهقى فى الدعوات عن سهيل بن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه رضوان الله عليهم جميعا .

أنظر : الألوسى ، التفسير ، المرجع / ٧ ، جزء / ٢١ ، مجلد /٧ ، ص٢٩

أنظر : ابن كثير ، التفسير ، المرجع / ٢ ، جزء /٣ ، ص ٤٢٨

{١٢٥} ـ أخرجه أبو داود والطبرانى ، وابن السنى ، وابن مردويه عن عبد الله بن عباس .

أنظر : النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع /٢٥ ، جزء / ٣ ، ص٢١٨

أنظر : الألوسى ، التفسير ، المرجع/ ٧ ، جزء/٢١ ، مجلد/٧ ، ص ٢٩

(١١٨)
(٤) ـ بعد العصر فى طرف النهار :

ويستحب فيه ذكر أسماء الله والتسبيح ، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ لأنْ أقعدَ مَعَ قوم يَذْكُرُونَ اللّهَ مِنْ صَلاة العصر إلى أنْ تَغْرُبَ الشمس أحبَّ إلىَّ مِنْ أن أعْتِق أربعةً مِنْ (وَلَدِ إسماعيل) } {١٢٦}

(١١٩)
(٥) ـ قبل الشروق والغروب :

ويستحب فيه التسبيح بالحمد . كما فى آية سورة طـــه .

(١٢٠)
(٦) ـ فى المساء والعشى :

ويستحب فيه التسبيح والحمد والتحميد . والمساء هو مطلع الليل بين المغرب والعشاء ، والعشى هو ثلث الليل الأول بعد العشـاء .

(١٢١)
(٧) ـ الليــل

بصفة عامة يستحب فيه السجود والدعاء وجميع أنواع الذكر فهو موطن أبواب الرحمة وعلامة الإخلاص وسر الفلاح .
ولجوف الليل على الخصوص مكانة خاصة : عن عمر بن عبسة رضى الله عنه

---

(١٢٦) ـ أنظر هامش رقم / ١٢٠ . السابق ، فهذا جزء من نفس الحديث المشار إليه .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ أَقْرَبُ ما يكونُ الرَّبُّ منَ العبدِ في جَوْفِ الليلِ الآخرِ فإنْ اسْتَطَعْتَ أنْ تكونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ في تِلْكَ الساعَةِ فَكُنْ } {١٢٧}

(١٢٢)

(٧) ـ عقب الصلوات :

وقد بينت السنة هنا ، التسبيح والتكبير والتحميد ، كما فى الحديث : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ مَنْ سبحَ اللهَ في دُبُرِ كُلِّ صلاة ثلاثاً وثلاثين وَحَمَدَ اللهَ ثلاثاً وثلاثين وكَبَّرَ اللهَ ثلاثاً وثلاثينَ فتلكَ تِسْعَةٌ وتسعُونَ وقال تَمَامَ المائة لا إله إلا اللهَ وحدهُ لا شريكَ لَهُ لَهُ الملكُ وله الحمدُ وهو علىَ كل شيءٍ قدير غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وإنْ كانت مِثْلَ زَبَدِ البحرِ } {١٢٨}

وقال صلى الله عليه وسلم :

{ مَنْ قَرَأَ آيةَ الكُرْسيِّ دُبُرَ كُلِّ صلاةٍ مَكْتُوبَةٍ لمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخول الجنةِ إلا أنْ يَموتَ } {١٢٩}

{١٢٧} ـ أخرجه الإمام الترمذى ، والنسائى ، والحاكم واللفظ له .

أنظر : الحاكم ، المستدرك ، المرجع /١٨ ، جزء /١ ، ص ٣٠٩

أنظر : النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع/ ٢٥ ، جزء/١ ، ص٢١٩

{١٢٨} ـ أخرجه الإمام مسلم واللفظ له ، والإمام أحمد في مسنده عن أبى هريره رضى الله عنهم .

أنظر : النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع/ ٢٥ ، جزء / ٣ ، ص ١٩٦ ـ ١٩٧

أنظر : الإمام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/١٢ ، جزء / ٥ ، ص ٩٥

{١٢٩} ـ أخرجه النسائى وابن حبان عن أبى أمامة ، وأخرجه مع اختلاف يسير فى اللفظ البيهقى فى شعب الإيمان عن أنس ، والطبرانى فى الكبير والصغير عن الحسين بن على والديلمى عن على ، والحكيم عن زيد المروزى ، وابن السنى والديلمى عن أبى أمامة ، والبيهقى فى شعب الإيمان عن على عن الصلصال والطبرانى فى الكبير عن أبى أمامة .

أنظر : بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع/ ، جزء/١ ، ص٥٦٢ ،حديث رقم/٢٥٣٤ ، ص٥٦٨ حديث رقم /٢٥٦٤ ، ٢٥٦٥ ، ص٥٦٩حديث رقم/ ٢٥٦٧ ، ٢٥٦٨ ، ٢٥٦٩ ، ٢٥٧ ، ٢٥٧١ ، ٢٥٧٢ .

أنظر : النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع/ ، جزء/٣ ، ص ٢٢٤

(ب) ــ المناسبات :

(١٢٣) وبالإضافة إلى أوقات الذكر المستحبة خلال اليوم والليلة ، فهناك نوعان آخران من الأوقات :

الأول : هو المناسبات الشريفة التى تعلمها الأمة الإسلامية ، كيوم عرفه ، والأيام العشر الأول من ذى الحجة ، وشهر رمضان ، وليلة القدر ، وأيام العيد، ... إلى آخر ما هو معلوم من هذه الأوقات .

الثانى : المناسبات التى يمر بها الإنسان خلال اليوم وخلال حياته عموما . وهذه بينت السنة لها أذكار كثيرة مثل مناسبات : الخروج من المنزل، دخول الخلاء (الحمامات الحديثة) ، رؤية الهلال ، زيارة أهل المقابر، تقديم الطعام وبدء أكله وعند الإنتهاء منه ، لبس الثوب الجديد ، عند العطاس ، عند دخول المنزل ، عند إنتهاء مجلس مع الناس ، ..... إلى آخر ذلك .

وهذه الأنواع من الأذكار وزيادات كثيرة عليها موجودة في كتب صحيحة مثل: الأذكار للنووى والكلم الطيب لإبن تيمية ، والوابل الصيب لابن القيم ، وعدة الحصن الحصين لابن الأثير الجزرى ، وغيرهم كثير . فلينظرها من يريدها.

ثالثا : الذاكر

ويتوجب على ذاكر الله أن يكون على أحسن أحواله وصفاته كمايلى :

(١٢٤)

(١) ـ أن يكون طاهرا نظيفا على الظاهر ، نظيف الفم ، قد إستاك بمسواك أو ما يماثله إن لم يجد ، كفرشة الأسنان .

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

{ كَرِهْتُ أَنْ أَذْكُرَ اللَّهَ إِلاَّ عَلَى طُهْرٍ } {١٣٠}

(٢) ـ إستقبال القبلة : وهى الجهة التى يتوجه إليها العابدون لله سبحانه ، والداعون إياه ، والمتقربون إليه . وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

{ إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَيِّداً وَسَيِّدُ المجَالِسِ قُبَالَةُ القِبْلَةِ } {١٣١}

وكان عليه الصلاة والسلام كما ورد في البخارى ومسلم يستقبل إذا دعا .

(٣) ـ أن يتدبر ويتعقل معانى ما يقول . وهو ولا شك أكمل وأحسن من النطق فى تشتت عقل ، وغياب قلب ، وأجره ـ والله أعلم ـ أتم وأوفى .
وإن كان ذلك لاينفى ثبوت الأذكار لمن جاء بها على وجه العموم ، كما ورد فى الألفاظ المطلقة للآيات والأحاديث وكما بينا من قبل فى إشتراط كثيرمن العلماء وجوب التلفظ بالأذكار . {١٣٢}

(٤) ـ أن تكون جلسته ـ إن إستطاع ـ جلسة القيام من السجود أو يجلس متربعا على الأرض ويكون حاله التضرع والخشوع والرغبة والرهبة والحب وحسن الظن بالله تعالى والرجاء فى عطائه وثوابه .

{١٣٠} ـ أخرجه أبو داود ، والنسائى وابن حبان ، والحاكم ، جميعهم عن المهاجر بن قنفذ رضى الله عنه وصححه ابن خزيمة والشوكانى وغيرهم .
أنظر : الشوكانى ، تحفة الذاكرين ، المرجع/ ٣٠ ، ص ٣٢
أنظر : بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع /٢٨ ، جزء /١ ، ص٤٢٦ ، حديث ١٨٣٤

{١٣١} ـ أخرجه الطبرانى بإسناد حسن عن أبى هريرة ، والطبرانى ، والحاكم فى المستدرك عن ابن عباس ، وفى البخارى ومسلم ما يؤيده بنحوه رضى الله عنهم أجمعين .
وروى أيضا بصيغة (إن لكل شئ شرفا ، وإن أشرف المجالس ما استقبل به القبلة)
أنظر : الإمام الشوكانى ، تحفة الذاكرين ، المرجع / ٣٠ ، ص ٣٥
أنظر : السيوطى ، الجامع الصغير ، المرجع /٢٤ ، جزء /١ ، ص ٩٧

{١٣٢} ـ أنظر : الإمام الشوكانى ، تحفة الذاكرين ، المرجع/ ٣٠ ، ص ٣٣

فهذه الجلسة تعبر وتساعد على تحقق هذه الأحوال الشريفة المذكورة ، كما أنها تكسب حالا من الإنتباه وتبعد إحتمالات النوم والسهو والغفلة .
وطرق جلوس الإنسان ـ كما هو معلوم ـ يؤدى بعضها للإسترخاء والراحة ، وبعضها للإنتباه واليقظة ، وبعضها للتوتر والعصبية .

(٥) ـ أن يجلس فى حضور وإستحضار ، فيكون قلبه وهمته متعلقه بالمراد .
وفى التعبير المعاصر ، نقول : أن تكون عنده شدة وضوح للهدف وشدة فى التركيز على الهدف . ويستحضر فى إدراكه الكلى ، عقلاً وقلبا ، أنه جليس الحضرة الإلهية وأن الله تعالى معه فى جلسته يذكره إذا ذكره كما ورد عنه سبحانه وتعالى :

{ **أنا جليس من ذكرنى ...الحديث** } {١٣٣}

وكما فى الآية الكريمة :

{ **فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ** ـ ٢/البقرة ١٥٢ }

وكما فى الحديث المتفق على صحته :

{ **إن ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى** } {١٣٤}

ومما يقوى هذا الشعور بالحضور والإستحضار غمض العينين ، وحصر الفكر فيما يقول ، وكذلك التلفظ بكلمات الذكر بحيث يسمعها نفسه ـــ وهذه الأخيرة هامة للمبتدئين ـــ على أن يكون الذكر بين المخافتة ورفع الصوت .

(٦) ـ وأن يبدأ بحمد الله والثناء عليه خاصة من آيات الكتاب الحكيم ، وأقوال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .
ويستحب الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند البدء وفى الختام .

{١٣٣} ـ أنظر تخرجه في هامش رقم / ١٠١ ، بند رقم / ١٠١

{١٣٤} ـ سبق تخريج هذا الحديث ، أنظر هامش رقم / ١٠٠ ، بند رقم/١٠١

وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم ـ فيما صح من الحديث :

{ فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عليه ثُمَّ لِيُصَلِّى على النبىِّ صلى اللهُ عليهِ وَسلمَ ثُمَّ لِيَدْعُو بِما شَـاءَ } {١٣٥}

ومما يروى فى هذا الأمر عن أبى سليمان الدارانى رضى الله عنه قال :

" إذا دعا أحدكم أو ذكر الله فليبدأ بالصلاة والسلام على رسول الله ثم يدعو بما شاء ثم يصلى على رسول الله فإن الله يقبل الصلاتين على رسوله وهو أكرم من أن يدع ما بينهما "

(٧) ـ المداومة على ذكر الله فى الأوقات التى خصصها لذلك والمواظبة على الأذكار المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صباحا ومساء . وإن فاته لعذر قهرى أداء ورد من أوراد ذكره فليتدارك ما فاته ولو بعد وقته المعين .

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ أَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ تَعالى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ } {١٣٦}

واعلم أن أعلى الذكر تلاوة القرآن ، لا يصل إلى مرتبته شئ . ويلى ذلك فى المرتبة ذكر الله ومناجاته ودعائه بأسمائه الحسنى ، وبالأذكار والأدعية الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثم إذا شئت بعد ذلك أن تدعو بما يفتح الله عليك ، أو بما قد بلغك من أدعية الصحابة والصالحين من هذه الأمة رضوان الله عليهم أجمعين ، فادعو بذلك .

ولكن يجب أن يبدأ مجلس ذكرك (أو دعائك) دائما بكلام الله ، وبالأذكار الواردة فى آيات كتاب الله ، ثم بأذكار رسول الله وأدعيته . ولذلك دواعى كثيرة أقل ما نقول فيها : أنه الأدب مع الله ورسوله ، عليه أفضل الصلاة والسلام .

{١٣٥} ـ أنظر : الإمام الشوكانى ، تحفة الذاكرين ، المرجع/ ٣٠ ، ص

{١٣٦} ـ أخرجه الإمام البخارى ومسلم .

أنظر : الإمام السيوطى ،الجامع الصغير ، المرجع/ ٢٤ ، جزء/١ ، ص١١

أنظر : الإمام النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع /٢٥ ، جزء/١ ، ص٤٦

(٨) ـ **الطهارة الباطنة** ولعلها الأصل في إجابة الدعاء وقبول الذكر . وتشمل التوبة ورد المظالم ، والاقبال على الله ، بعزم الهمة ، وأكل الحلال ، والرغبة فى الأخرة والزهد فى الدنيا . وفى قوله سبحانه وتعالى :

{ وذروا ظاهر الإثم وباطنه ـ ٦/ الأنعام ١٢٠ }

وقوله :

{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ـ ٢/البقرة ٢٢٢ }

إشارة واضحة إلى طهارة باطن الإنسان بالتوبة وتطهره من باطن الآثام التى تسود القلوب . ويكفى فى هذا أنه صلى الله عليه وسلم ذكر :

{ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفر أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلى السماء يارب يارب وَمطعَمُهُ حَرَامٌ وَملبسهُ حَرامٌ وغُذِّى بالحَرامَ فأنى يُسْتَجابُ لَهُ } (١٣٧)

---

(١٣٧) ـ أنظر : الأربعين النووية ، المرجع / ٢١ ، الحديث العاشر ، ص ٣٥

الفصل السادس

قضايا فى الذكر

- أولا : قواعدأصولية فقهية
- ثانيا : هل المقصود بالذكر دراسة العلم
- ثالثا : هل يجوز الذكر فى المساجد
- رابعا : هل يجوز الإجتماع لغرض الذكر
- خامسا : الذكر جهراً أم سرا
- سادسا : المسبحة
- سابعا : الحركة الجسمانية فى الذكر

(١٢٥) تثور فى الوقت الحاضر تساؤلات ومجادلات عن شرعية أحوال وتصرفات فئات من الذاكرين . وقد لاحظنا الإتهامات الموجهة للصوفية عموما (إذ هم المشهورون بكثرة الذكر) ولأدعياء التصوف خصوصاً ، بأنهم يبتدعون فى الذكر بل ويمرقون من الدين عموما .
ومن الناحية الأخرى ، يتهم المتصوفة هؤلاء المهاجمين بسوء الفهم وقلة البضاعة فى العلم وبالهوى والمغالطة فى استنباط الأحكام .

وأصبح المسلمون فى بلبلة عظيمة بين ماهو حق وما هو باطل بخصوص ذكر الله . وأستشرى هذا الحال فى مواضيع أخرى كثيرة ، أنشأتها فئات مختلفة من التجمعات الدينية المعاصرة .
وفى خضم هذه التيارات ، تبدلت معانى كثيرة ، وقواعد أساسية فى الشريعة والأصول والفقه ، ولوى ذراع المنطق ـ لغويا وفقهيا ـ لتستخرج الأحكام على حسب المراد ، وابتذلت وتشوشت مضامين الالتزامات العقائدية والايمانية .
فلا بد لنا ـ والحال على ماهو عليه ـ أن نتعرض لهذه المجادلات ولو باختصار، لنتبين منهاج أهل السنة والجماعة خلالها .

(١٢٦) والنقاش يدور فى موضوع ذكر الله حول أمور وظواهر وممارسات أهمها :

أولا : ـ هل المقصود بالذكر مدارسة العلم أم الاذكار الواردة فى السنة ؟

ثانيا : ـ هل يجوز الاجتماع لغرض الذكر وحده ، والتحلق له فى حلق ؟ أم أن هذا ابتداع عبادة : والعبادات توقيفية من الشارع سبحانه وتعالى ؟

ثالثـا : ـ هل يجوز الذكر فى المساجد ، وقد قيل أن عبد الله بن مسعود منع الناس من ذلك ؟

رابعـا : ـ هل يجوز الجهر بالذكر جماعة ؟ وهل ورد مثل هذا الفعل عن رسول الله أو صحابته ؟ والعبادات توقيفية لا يجوز الابتداع فيها .

خامسا : ـ وماحكم ـ استعمال ـ المسبحة ، التى يقال إنها بدعة لم ترد ؟

سادسا : ـ وما القول فيما لوحظ على بعض الذاكرين من الاهتزاز والحركة الجسمانية ؟

(١٢٧) والاشكال الحقيقى فى هذه المناقشات يرجع إلى عاملين : ــ

أ ــ عبارة : " لم يرد فى السنة "

ب ــ مسألة : " التوقيف فى العبادات " {١٣٨}

فنقول : ــ

يجب فى موضوع ذكر الله هنا ــ أن تتضح عدة حقائق :

(١٢٨) الحقيقة الأولى :

أن (كل محدثة بدعة ...) من حيث معناها اللغوى . لأن البدعة لغويا كل ما أستحدث ولم يكن موجودا من قبل فيقال ابتدع فلان كذا وكذا ، أى فعل ما لم يكن مفعولا ولا موجودا من قبل .

(١٢٩) الحقيقة الثانية :

أن البدعة فى عرف الشرع نوعان : ــ
البدعة المحمودة ، والبدعة المذمومة . وقد قال الامام النووى فى تفصيل معنى الحديث :

{ ان خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ــ عليه الصلاة والسلام ــ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار } {١٣٩}

قال : هذا عام مخصوص ، والمراد غالب البدع . وذلك لأنه ليست كل بدعة مذمومة . ففى الصحيح :

{ من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها

{١٣٨} ــ وقد تراءى لنا حين كتابة هذا الفصل أن نضمنه مقدمة عن البدعة والسنة ومسألة التوقيف فى العبادات ، وربط ذلك بالقواعد الأصولية فى الفقه الاسلامى : الا أننا رأينا ، نظرا لضخامة هذه المقدمة ، أن نستعيض عنها هنا بالبيان الواضح اختصار وسلامة أن أمكن .

{١٣٩} ــ أخرجه الامام مسلم . (جزء من حديث)
أنظر : الامام النووى، صحيح مسلم ، مرجع /١٢ ، جزء / ٦ ، مجلد /٢ ، ص ١٥٣ ــ ١٥٤

من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شئ ، ومن سن فى الاسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ } (١٤٠)

(١٣.) الحقيقة الثالثة :ـ

أن البدعة المذمومة هى البدعة التى ليس لها أصل فى الاسلام : لقوله صلى الله عليه وسلم :

{ من أحدث فى أمرنا هذا ـ ما ليس منه ـ فهو رد } (١٤١)

ـ وأما البدع التى لها أصل فى الاسلام فليست ضمن البدع المذمومة .

أمثلة :ـ

ولذلك فالتعليم فى المدارس ، ولم يرد لا فى السنة ولا فى غيرها ، بدعة محمودة ، غير مذمومة ، لان الاسلام يدعوا للعلم والتعلم .

وصلاة التراويح جماعة ، بدعة محمودة مع أنها كانت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، صلاة فردية .
وذلك لسبب هام : ألا وهو أن الأصل فى تشريع الاسلام لجماعة المسلمين هو " حالة الجماعة " وليس حالة الانفراد .

فكل ماله أصل فى الدين ، أجمع العلماء على أنه ليس بدعة مذمومة ولكن يجب التفرقة هنا بين أمرين بخصوص توقيف العبادة نذكرهما فى البندين التاليين .

---

(١٤٠) ـ أخرجه الامام أحمد فى مسنده ، والامام مسلم مع أختلاف فى اللفظ ، الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، عن جرير .
أنظر : النبهانى ، الفتح الكبير ، مرجع / ٢٥ ، جزء /٣ ، ص ٢٠٠ .

(١٤١) ـ أخرجه البخارى ومسلم واللفظ له .
أنظر : ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، مرجع/١١ ، جزء/٥ ، ص٣٠١ ، حديث رقم/٢٦٩٧ كتاب الصلح .
أنظر : الأربعين النووية ، مرجع/ ٢١ ، ص/٢٥ ، الحديث الخامس .
أنظر : النووى ،صحيح مسلم ، مرجع/ ١٢ ، جزء/١٢ ، مجلد /٤ ، ص ١٦ ، باب الأقضية .

(١٣١) الحقيقة الرابعة :ـ

العبادات توقيفية لاشك فى ذلك ، وهذا التوقيف يشمل أمرين :

الأول : نوع العبادة : كالصلاة ، والصيام ... الخ

الثانى : كيفية العبادة .

ونوع العبادة حكر على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . فلا يجوز أبداً إبتداع عبادة جديدة ، لم يؤمر بها فى الكتاب والسنة .

(١٣٢) الحقيقة الخامسة :ـ

أما بخصوص كيفيتها فمنها حالتان :

الحالة الأولى : أن يكون الله ورسوله قد بينا الكيفية : وفى هذه الحالة من أدى العبادة بكيفية تخالف ما بينه الكتاب والسنة فهو مبتدع .

مثل : أوجب الله الصلاة . وبين النبى صلى الله عليه وسلم كيفيتها : قال :

{ صلوا كما رأيتمونى أصلى } (١٤٢)

ومثل : أوجب الله الزكاة ، وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاديرها ونسبها فى الزروع والتجارة وغيرها .

ومثل : بين الله تعالى كيفية وتفاصيل الوضوء وأكمل عليه الصلاة والسلام البيان ووضحه .

الحالة الثانية : أن يكون الله تعالى ورسوله لم يفصحا ولم يحددا صورة وكيفية عبادة ما . وهذا يعنى بلا شك ، إطلاق الحرية لجميع الصور والكيفيات طالما لم تتعارض مع نصوص وقواعد شرعية تعلو عليها وتوقفها .

---

(١٤٢) ـ أنظر ابن تيمية ، الكلم الطيب ، المرجع / ٢٩

(١٣٣) وذلك لأن الله تعالى لا يجوز عليه النسيان :

{ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ـ ١٩/ مريم ٦٤ }

وقال صلى الله عليه وسلم :

{ ان الله حد حدودا فلا تعتدوها ، وفرض فرائض فلا تضيعوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وترك أشياء من غير نسيان من ربكم ، ولكن رحمة منه لكم ، فاقبلوها ، ولا تبحثوا عنها } {١٤٣}

وكان أبو هريرة يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

{ مانهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم } {١٤٤}

وقال الله تعالى :

{ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ، لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ، إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ـ ١٦/ النحل ١١٦}

وقال تعالى :

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ ، عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ـ ٥/ المائدة ١٠١ }

{١٤٣} ـ أخرجه الحاكم فى المستدرك عن أبى ثعلبة وقال صحيح الاسناد .
أنظر : الإمام النووى ، الأربعين النووية ، المرجع/ ٢١ ، الحديث الثلاثون ، ص٦٤
أنظر : الامام النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع/ ٢٥ ، جزء/١ ، ص ٣٣١

{١٤٤} ـ أخرجه الإمام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه
أنظر : الإمام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/ ١٢ ، جزء ١٥ ، مجلد /٥ ، ص ١٠٩
أنظر : الإمام النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع /٢٥ ، جزء /٣ ، ص ١٢٦

والفقه هنا : أن الله تعالى وقد أمرنا بالذكر ، ولم يحدد لنا كيفية بذاتها ، كما حدد في عبارات أخرى وهو لا ينسى ـ سبحانه ـ إنما يفتح لنا الباب في ذكره واسعا بلا تقييد ، إلا قيد التعارض مع نص آخر .
فمن ذا الذى " يضيق أو يحجر " واسعا وسعه الله تعالى ؟
ومن ذا الذى يحكّم نفسه على ما حكم فيه الله ؟ فيحرّم أو يجرّم أو يضيق أو يمنع ماحكم الله فيه بالترك والاباحة والتوسع .
... سبحان الله وتعالى عما يشركون ...

(١٣٤) الحقيقة السادسة:

معلوم عند أهل الإسلام والعلم أن الأصل فى الأشياء الاباحة ، ولا يُحَرَّم إلا ما حُرِّم بنص من الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم : فكل ما سكت عنه الله ورسوله فهو مباح .

قال تعالى :

{ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ـ ٣١/ لقمان ٢٠ }

{ وَسَخَّرَ لَكُم مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ـ ٤٥/ الجاثية ١٣ }

ويستثنى من هذه الإباحة العامة ما تجد من أمور لم تكن وقت النبوة ، وأجمعت الأمة على قول واضح فيها . ويهم فى ذلك على وجه التخصيص إجماع أهل الحل والعقد .

(١٣٥) الحقيقة السابعة :

أن النصوص أربعة أصناف :

أ ـ نص قطعى الثبوت ، قطعى الدلالة .

ومثاله جميع الآيات القرآنية وأقوال وأفعال النبى ، المعلوم والثابت أنه قالها أو فعلها : فهذه قاطعة الثبوت .

أما قطعى الدلالة : فهو أن تكون هذه الآيات والأحاديث ، واضحة ، لا يختلف معناها ومرادها مثل قوله تعالى : { وأقم الصلاة } ، أو { آتى الزكاة } أو قوله صلى الله عليه وسلم : { صلوا كما رأيتمونى أصلى }

ب ـ ونص قطعى الثبوت ، ظنى الدلالة .

والاختلاف هنا ، أن بعض الآيات والأحاديث القطعية الثبوت ، قد يكون معناها أو المراد منها غير واضح كقوله تعالى :

{ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ... ٢/ البقرة ٢٧٥}

فالمراد بالربا غير محدد ، ومن ثم يفتح أبوابا للاجتهاد .

(جـ) ـ نص ظنى الثبوت ، قطعى الدلالة .

وهذا الصنف والذى يليه فى (د) لا يكونا أبدا فى آيات القرآن . وإنما هى فى الأحاديث التى لم تثبت بالضرورة صحتها .
ولكن فى هذه الحالة الأولى .... معناها واضح والمراد منها معلوم .

(د) ـ نص ظنى الثبوت ، ظنى الدلالة .

وهذه لا تكون إلا أحاديث أو سنن صحابة أو ما هو أقل فى الدرجة . وهنا عدم التأكد يشمل النص ذاته ، ويشمل أيضا المعنى والمراد من الخبر .

(١٣٦) الحقيقة الثامنة :

أن الآيات القرآنية منها :ـ

(أ)ـ العام والخاص :

العام : هو اللفظ المستغرق لما يصلح له من غير حصر . وهو أقسام :منه : العام الباقى على عمومه . والعام المراد به الخصوص . والعام المخصوص .

الخاص : وهذا يقابل العام فهو الذى لا يستغرق الصالح له من غير حصر . وهذا أصناف عديده من النوعين الرئيسين ، الخاص والمخصوص .

(ب) ـ المطلق والمقيد :

وهى الآيات الدالة على الماهية بلا قيد . وهذا النوع إذا أضيف إليه القيد كان، كالعام مع الخاص .
والرأى عند العلماء : لا يقيد المطلق بغير دليل ، فإن لم يوجد يبقى المطلق على إطلاقه والمقيد على تقييده ، لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العربية .

(جـ)ـ المحكم والمتشابه :

والمحكم : هو ما عرف المراد منه أو ما وضح معناه أو ما لا يحتمل التأويل ، أو ما كان معقول المعنى . ويرى فريق أنه الحلال والحرام والحدود والفرائض وما يؤمن به ويعمل به .

المتشابه : ما استأثر الله بعلمه ، أو ما لم يتضح معناه ، أو ما احتمل أوجها متعددة ، أو ما لا يقدر العقل على معناه ، أو مقدم الايات ومؤخرها . ويرى فريق أنه مثال الآيات وأقسامها وما يؤمن به ولا يعمل به .

(د) ـ الناسخ والمنسوخ :

النسخ عموما هو رفع الحكم بخطاب شرعى ، (أى نص) وهو عند الغالبية لا يكون إلا فى الأوامر والنواهى ، سواء كانت صريحة فى الطلب أو كانت بلفظ الخبر الذى بمعنى الأمر والنهى على أن يكون ذلك غير متعلق بالاعتقادات . أو أصول العبادات والمعاملات .
قال السيوطى : " قال الأئمة لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف الناسخ والمنسوخ " .
وقال الإمام على كرم الله وجهه لقاض : " أتعرف الناسخ من المنسوخ قال : لا قال : هلكت وأهلكت " . أ هـ .

(هـ) ـ المشكل والموهم

(١٣٧) الحقيقة التاسعة :

أن السنة النبوية الشريفة تشمل ثلاث جوانب هى :ـ

أ ـ أقوال النبى صلى الله عليه وسلم .
ب ـ وأفعاله عليه الصلاة والسلام .
جـ ـ وما أقر صحابته على فعله : أى فعلوه وعلم به ولم ينكره .

ولذا فالتساؤل عن أمر ما : هل ورد فى السنة ؟ إنما يعنى :
هل ورد ذلك الأمر فى قول النبى صلى الله عليه وسلم ، أو فعله ، أو أقر فعله : أى لم ينكر على فاعله .

(١٣٨) الحقيقة العاشرة :

أن السنة النبوية الشريفة سنة عادات وسنة عبادات . والملزم منها هو سنة العبادات . وأنها ليست كلها على نفس الدرجة : فمنها الواجب والمستحب ، والحرام والمكروه : ومنها الأمر الذى يتوقف على علته ، والمطلق بلا قيد : ومنها الخاص والعام ، والناسخ والمنسوخ ... وإلى آخر ذلك من التقسيمات . ولكل من هذه الأنواع حكمها الخاص .

(١٣٩) الحقيقة الحادية عشر :

أن الأصول المجمع عليها عند الأمة لمعالجة الأحكام من الكتاب والسنة ، تعالج أمرين رئيسين : مصادر الأحكام ، وطبيعة الحكم .
ولا يتصور لغير أهل العلم الافتاء حول مدلولات النصوص بغير فقه فى قواعد الأصول ولا علم فى الكتاب والسنة يسمح له أن يفهم كلام الله ورسوله، لغويا وإدراكيا .

وكثير من الخلافات والمجادلات الدائرة على الساحة الآن يرجع سببها إلى نقص فى العلم ، وإلى أن المتكلم يؤول النصوص إلى ما يريد من معانى ، ولا يدرك طبيعة النصوص والأحكام ، وأصول الاستنباط منها .

ولا شك أنهم قلة فقط أولئك الذين جمعوا عدة الفقيه وعتاده وغاصوا فى القرآن وحفظوا الحديث وعرفوا صحيحه من ضعيفه ، ودرسوا

السيرة واجتهاد الصحابة والسلف ، وأحكموا اللغة : غريبها ومجازها ... وما إلى آخر ذلك مما هو ضرورى لتقدير الأحكام وأصولها وأبعاد مراميها وشروط ذلك كله .

(١٤.) الحقيقة الثانية عشر :

أن مصادر الأحكام عند علماء الأصول هى :

المصادر النقلية الموحى بها :

- كتاب الله تعالى (القرآن) .
- سنة النبى صلى الله عليه وسلم .
- شرع من كان قبلنا (مما لم ينسخ أو ينهى عنه) .

المصادر النقلية غير الموحى بها :

- الإجمـــاع
- قول الصحابى .
- العـــرف .

المصادر العقليـة :

- القياس
- الإستحسـان .
- المصالح المرسلة .
- الإستصحاب .
- الذرائع ـ فتحها وسدها .

ودراسة كل هذه المصادر أمر ضرورى لابد لمن يريد الإستنباط من النصوص القرآنية والنبوية . ومعرفة قوتها وترتيبها فى الأهمية ، وما يرد عليها من قيود و تمحيص . ثم على الذى يسعى لدور الأصولى والفقيه بعد ذلك ، أن يعرف تاريخ الإجتهاد وحدوده وصوره ولوازمه ، وأصوله ، وشروط المجتهد ويتحقق بها .

فلعل السادة المتكلمين فى الخلافيات من الصوفية أو من أعدائها بلا علم ولا فقه ولا أصول فقه يحترسون من مخاطر إطلاق الأحكام على الصورة غير المسئولة التى يمارسونها . ونسأل الله لنا ولهم السلامة .

أولا

هل المقصــود بالذكر ، دراسة العلم ؟

(١٤١) إنه لمحزن حقا أن يطغى الهوى على بعض المشتغلين بالعلم في أيامنا هذه : ففى كتاب الوابل الصيب من الكلم الطيب ، للشيخ ابن القيم الجوزية ، ورد الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نصه :

{ إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا وما رياض الجنة يا رسول الله ؟ قال حلق الذكر } {١٤٥}

وعند هذه الكلمة الأخيرة علق طباع هذا الكتاب فى هامش الصفحة بالنص الآتى :

(أى الجماعة من المسلمين يجعلون حديثهم فى إجتماعهم ذكر آلاء الله عليهم وتحرى ما يقربهم منه ليحققوه فى أنفسهم وبيوتهم وأمتهم ، ومعرفة ما يسخطه ويبعدهم عنه ليجتنبوه أفرادا وجماعات) {١٤٦}

وإذا كنا نعتبر هذا التعليق ـ بعد بحث الموضوع وكما سنبين بعد قليل ـ أثر لطغيان الهوى ، إلا أنه والحق يقال تحريف مهذب فى اللفظ والعبارة .

(١٤٢) والأغرب منه ، تعليق آخر ، أشترك فيه مع الهوى سلاطة اللسان وقدر من التهور فى إصدار الأحكام ، بلا سند صحيح من الأصول والفقه : ففى المجلد الثانى من " الترغيب والترهيب " للحافظ الحجة عبد العظيم المنذرى رحمه الله ، ورد الحديث الصحيح عن أبى سعيد الخدرى قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

{ يقول الله عز وجل يوم القيامة : سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم فقيل : ومن أهل الكرم يارسول الله ؟ قال : أهل مجالس الذكر } {١٤٧}

{١٤٥}ـ ابن قيم الجوزية ، الوابل الصيب ، المرجع / ٤١ ، ص ٣٤، ٣٥

{١٤٦} ـ أنظر : هامش الوابل الصيب ، المرجع / ٤١ ، ص ٣٥

{١٤٧} ـ رواه الإمام أحمد وأبو يعلى ، وابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى .
أنظر : الحافظ المنذرى ، الترغيب والترهيب ، المرجع / ٢٦ ، جزء / ٢ ، ص ٦٧٤

فعلق عليه محقق الكتاب الذى " ضبط أحاديثه وعلق عليه " بالهامش أسفل الصفحة قال فيه مانصه :

(أى الذين يواظبون على حضورها ويحرصون على المشاركة فيها . وليس المراد بمجالس الذكر تلك التى يقيمها أرباب الطرق الصوفية فيؤدون فيها رقصات توقيعية علي أصوات المنشدين والمنشدات وأصوات المعازف ويصيحون فيه صيحات منكرة ويصفقون ويصفرون كما قال الله تعالى عن صلاة أهل الجاهلية : { **وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية** } والمكاء الصفير والتصدية التصفيق .

فهذه المجالس بدعة شيطانية ليس فيها ذكر الله ولكن فيها إستهزاء بالله عز وجل وإجتراء عليه فان أحدنا لو ذكر اسمه ذاكر مع التغنى والصياح والرقص لعد ذلك إهانة له وإستخفافا به فكيف يليق أن يذكر الله بتلك الحركات الهستيرية والصيحات المجونية ؟ وإنما المراد بمجالس الذكر تلك التى يتلى فيها كتاب الله عز وجل ويتدارس وتعدد فيها آلاء الله ويثنى عليه فيها بما هو أهله ويذكر فيها وعد الله ووعيده وأسماؤه وصفاته) {١٤٨} أ . هـ إنتهى كلام المعلق .

وهذا بلاشك تعليق فى غيرمحله : لاأسلوبا ولافقها ولامضمونا {١٤٩} فعباراته موهمة مغرضة توهم أن ذاكر الله لايكون إلا أحد إثنين :

إما راقصا توقيعيا كالمتصوفة كما يقول ، واما دارسا للعلم و لآلاء الله ووعده ووعيده !

فأين الذين يذكرون كما أمر الله ورسوله وليس ذكرهم لله دراسة العلم ؟

ثم هل يفعل الصوفية ذلك حقا ؟ " رقصات توقيعية " ؟

ثم إذا كان هناك متصوفة لا يفعلون ذلك كله ... فما الحكم بشأنهم ؟

{١٤٨} ـ إذا أردت عينة وافية من هذا النوع تتميز بالاضافة إلى ما سبق من الصفات بالمغالطة والكذب الصريح :

أنظر : هوامش مدارج السالكين ، لابن القيم ، التى كتبها محقق الكتاب مرجع / ٤٢

{١٤٩} ـ على الرغم من عدم اهتمامنا فى هذا الكتاب بمناقشة مثل هذه المواضيع إلا أن هذا المستوى لايصح أن يترك بدون بيان أو تعليق .

ثم ـ فقهيا وأصوليا ـ هل يجوز إستخدام آية خاصة بالمشركين فى توصيف أهل القبلة : الذين شهدوا الشهادتين ، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ؟

وما مناسبة هذا السب ، فى كتاب للسنة الشريفة ؟

وهل من السنة هذه الأقوال والألفاظ ؟

وكيف يمكن بعد ذلك أن يقبل المتصوفة النصيحة فى أمور نحسب أنهم يتزيدون فيها ـ وقد رأوا منا هذا التهور والتجنى ووصفهم بأفعال المشركين ؟

وما الذى نقصده مع المتزيدين منهم ـ أنقصد هدايتهم ... أم دمغهم وتبديعهم وتكفيرهم ؟ {١٥٠}

(١٤٣) ولكن الأهم من هذا كله ... كيف أصبحت حلق الذكر تعنى مجالس العلم ؟ نقول :

ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك زمام العربية الفصحى ويعرفها أتم ما تكون المعرفة ، وحاش له ألا يفرق بين كلمة " **ذكر** " ، و " **علم** " . وكيف لا يفرق بين هاتين الكلمتين وهو كما قال عليه صلاة الله وسلامه :

{ أوتيت جوامع الكلم وفواتحه وخواتمه } {١٥١}

وها هو ، عليه أفضل صلاة وأتم سلام ، يفرق بين تلاوة القرآن ودراسة أحكام كتاب الله ، وبين الذكر :

(أ)ـ ففى حديث أبى هريرة الطويل الذى أخرجه الإمام مسلم يقول صلى الله عليه وسلم :

{ من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ومن سلك

{١٥٠} ـ إذا أردت عينة وافية من هذا النوع تتميز بالاضافة إلى ما سبق من الصفات بالمغالطة والكذب الصريح :
أنظر : هوامش مدارج السالكين لابن القيم التى كتبها محقق الكتاب مرجع /٤٢

{١٥١} ـ أنظر : ابن رجب الحنبلى ، جامع العلوم والحكم ، المرجع / ٣٣ ، ص ١ ـ ٣

طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة وما إجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه } [١٥٢]

فيحدد " يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم " والحديث كله لمجموعة من " الأعمال " وثوابها .

(ب) ـ ثم يقول فى حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه :

{ أفضل الذكر لاإله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله } [١٥٣]

وفى حديث أبى هريرة المتفق على صحته ، كما أخرجه الإمام البخارى :

{ إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر . فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم ، قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، قال فيسألهم ربهم عز وجل ـ وهو أعلم بهم ـ ما يقول عبادى ؟ قال : تقول : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك ...الحديث } [١٥٤]

وفى نفس الحديث برواية الإمام مسلم :

{ إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلا عن كتاب الأعمال يبتغون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء قال فيسألهم الله عز وجل

---

[١٥٢] ـ أنظر الإمام النووى ، شرح صحيح مسلم ، مرجع / ١٢ ، جزء/١٧ ، ص ٢١ ـ ٢٢

[١٥٣] ـ أخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصحح إسناده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، وصححه الذهبى والسيوطى وابن حجر العسقلانى ، حديث صحيح .
أنظر : بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، مرجع/ ٢٨ ، جزء/١ ، ص ٤١٤ ، حديث رقم /١٧٤٨
أنظر : الإمام السيوطى ، الجامع الصغير ، مرجع / ٢٤ ، جزء / ١ ، ص ٤٩

[١٥٤] ـ أنظر : الإمام ابن حجر العسقلانى ، مرجع/ ١١ ، جزء / ١١ ، ص ٢٠٨ ، حديث رقم/٦٤٠٨

وهو أعلم بهم من أين جئتم فيقولون جئنا من عند عباد لك فى الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك .... الحديث } {١٥٥}

ففى صيغة البخارى " أهل الذكر " وعملهم " ... يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك "

وفى صيغة مسلم " مجالس الذكر" ...وعملهم " ... يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك "

فكيف يجوز بعد ذلك الإدعاء بأن مجالس الذكر هى مجالس العلم والظاهر عندنا أن فى هذا بيان كاف لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ولا نظن أن هناك خطأ فى الحديث المتفق على صحته عند البخارى ومسلم ؟ وإذا أجزنا وقوع الخطأ فيما إجتمع عليه الشيخان البخارى ومسلم ، و(آخرين معهما) ... فما هو الحديث الصحيح إذن ؟

البخارى ومسلم والإمامين ابن حجر العسقلانى والنووى

(١٤٤) وهذا الحديث السابق أخرجه الإمام البخارى تحت عنوان "فضل ذكر الله عز وجل " وقال ابن حجر العسقلانى فى مطلع شرحه على هذا الباب من البخارى :
" والمراد بالذكر هنا الإتيان بالألفاظ التى ورد الترغيب فى قولها والإكثار منها " {١٥٦}

وأخرجه الإمام مسلم فى كتاب " الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار " وكتب عليه الإمام النووى " باب فضل مجالس الذكر "

(١٤٥) ولم نرى أبدا عالما من علماء الأمة كتب كتابا أو بابا فى كتاب بعنوان " الذكر " فكتب فيه أو ناقش تحته مواضيع أحكام الفقه " أو درس فيه آلاء الله وتحرى مايقرب منه ، ومعرفة ما يسخطه ويبعد عنه " أو ذكر وعد الله ووعيده .... الخ "

{١٥٥} ـ أنظر : الإمام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/١٢ ، جزء/١٧ ، ص١٤ ـ ١٥

{١٥٦} ـ أنظر ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، مرجع / ١١ ، جزء/ ١١ ، ص ٢٠٩

وان لم تكن معرفة الأوامر والنواهي هي العلم بأحكام الله ، فماذا ياترى يكون مضمون علم الفقه ؟

وإذا أدعينا أن " حلق الذكر " تعنى دراسة علم الأحكام ؟

فماذا نسمى الأذكار التى وردت فى السنة والتى أشار إليها الإمام ابن حجر أعلاه ، أنقول عنها أنها هى الفقه ؟

رأى شيخ الإسلام ابن تيمية :

(١٤٦) وها هو شيخ الإسلام ابن تيمية يفرق بين الأذكار وبين تلاوة القرآن : ومن باب أولى سيفرق بين الأذكار وبين دراسة الفقه والأحكام : يقول ابن تيمية فى الفتاوى ردا على سؤال وجه إليه :

" الحمد لله " جواب هذه المسألة مبنى على أصلين : (فالأصل الأول ' أن جنس تلاوة القرآن أفضل من جنس الأذكار ، كما أن جنس الأذكار أفضل من جنس الدعاء ، كما فى الحديث الذى فى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " **أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر** "
وفى الترمذى عن أبى سعيد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :
" **من شغله قراءة القرآن عن ذكرى ومسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين** " وكما فى الحديث الذى فى السنن فى الذى سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : " إنى لا أستطيع أن آخذ شيئا من القرآن فعلمنى ما يجزئنى فى صلاتى ، قال : **قل " سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر** " ولهذا كانت القراءة فى الصلاة واجبة فإن الأئمة لا تعدل عنها إلى الذكر إلا عند العجز والبدل دون المبدل منه .

ثم يقول " وقد حكى إجماع العلماء على أن القراءة أفضل ، لكن طائفة من الشيوخ رجحوا الذكر ومنهم من زعم أنه أرجح فى حق المنتهى المجتهد ، كما ذكر ذلك أبو حامد فى كتبه .
ومنهم من قال هو أرجح فى حق المبتدىء السالك ، وهذا أقرب إلى الصواب).
إنتهى كلام ابن تيمية . (١٥٧)

---

(١٥٧) ـ أنظر ابن تيمية ، الفتاوى ، مرجع/ ٤٥ ، جزء/١ ، ص ٢٣٤ ، فتوى رقم ١٧٧

الإمام النووى :

(١٤٧) وها هو الإمام النووى يجعل من دخول غير التكبير والتهليل... الخ ، فى مضمون الذكر من قبيل التوسع فى المعنى الأصلى : يقول :
" أعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها ، بل كل عامل لله تعالى بطاعة فهو ذاكر لله تعالى" {١٥٨}

وهذا معناه أنها هى الأصل فى معنى الذكر ، وأن الاستثناء إدخال غيرها فى المعنى .
ويقول " أجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمحدث والجنب والحائض والنفساء وذلك فى التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والدعاء وغير ذلك . " {٥٩}

الإمام ابن حجر فى فتح البارى :

(١٤٨) والإمام أحمد بن حجر العسقلانى يبين حقيقة توسيع مضمون " الذكر " وتضييقه فيقول أولا :

" ويطلق ذكر الله أيضا ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه الله أو ندب إليه كتلاوة القرآن وقراءة الحديث ومدارسة العلم والتنفل بالصلاة " {١٦٠}

ويقول ثانيا بعد ذلك بصفحات وقد استعرض الأحاديث الورادة فى صحيح البخارى :

" المراد بمجالس الذكر أنها التى تشتمل على ذكر الله بأنواع الذكر الواردة من تسبيح وتكبير وغيرها وعلى تلاوة كتاب الله سبحانه وتعالى وعلى الدعاء بخيرى الدنيا والآخرة ، وفى دخول قراءة الحديث النبوى ودراسة العلم الشرعى ومذاكرته والإجتماع على صلاة النافلة فى هذه المجالس نظر ، والأشبه

{١٥٨} ـ أنظر : الإمام النووى ، كتاب الأذكار ، مرجع/٢٣ ، ص ٩

{١٥٩} ـ أنظر : الإمام النووى ، كتاب الأذكار ، مرجع/٢٣ ، ص ١٠

{١٦٠} ـ أنظر : ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، مرجع/١١ ، جزء/ ١١ ، ص ٢٠٩

إختصاص ذلك بمجالس التسبيح والتكبير ونحوها والتلاوة فحسب ، وإن كانت قراءة الحديث ومدارسة العلم والمناظرة فيه من جملة ما يدخل تحت مسمى ذكر الله تعالى " {١٦١}

الإمام ابن القيم الجوزية :

(١٤٩) والطريف بخصوص تعليق طباع كتاب ابن القيم رحمه الله تعالى " الوابل الصيب " أن المؤلف يفرق فيه بين ذكر الله الذى هو ذكر أمره ونهيه وأحكامه وذكر الله الذى تعرفه أمة المسلمين وتقصده بكلمة الذكر .
فيقول أن ذكر الأمر والنهى نوعان :

أ ــ ذكره بالأخبار عنه سبحانه بأنه أمر بكذا ونهى عن كذا ، وأحب كذا وسخط كذا .

ب ــ ذكره سبحانه بفعل ما أمر به ، والإنتهاء عما نهى عنه . ثم يقول بالنص:

هذا الذكر من الفقه الأكبر ، وما دونه أفضل إذا صحت فيه النية ومن ذكره سبحانه وتعالى ذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وأياديه ومواقع فضله على عبيده ، وهذا أيضا من أجل أنواع الذكر . فهذه خمسة أنواع وهى تكون بالقلب وباللسان تارة .

وذلك أفضل الذكر . وبالقلب وحده تارة ، وهى الدرجة الثانية وباللسان وحده تارة وهى الدرجة الثالثة .
فأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان . وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده لأن ذكر القلب يثمر المعرفة ويهيج المحبة ويثير الحياء ويبعث على المخافة ويدعو إلى المراقبة ويزع عن التقصير فى الطاعات والتهون فى المعاصى والسيئات .
وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئا من هذه الآثار ، وإن أثمر شيئا منها فثمرته ضعيفة " {١٦٢}

{١٦١} ــ أنظر : ابن حجر العسقلانى فتح البارى ، مرجع /١١ ، جزء/ ١١ ، ص ٢١٢

{١٦٢} ــ أنظر : ابن قيم الجوزية ، الوابل الصيب ، مرجع/٤١ ، ص ٨٢

فها هو ابن القيم ـ رحمه الله ـ يرى إدخال مدارسة العلم فى المضمون الواسع للذكر ـ وهو رأينا الذى عرضناه فى الفصل الثالث من هذا الكتاب ـ ولكنه لا يتهور ولا يتبع الهوى فيقصر الذكر على مدارسة العلم على أنه واحد من خمسة أنواع .
و الأصل فى الذكر ـ وفى كل أمر ـ ما ورد فيه من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم التى تفصل معناه وأبعاده المنصوص عليها فى كتاب رب العزة جل شأنه . وليس ما نحب نحن ونهوى . فالدين إتباع وليس ميل وإبتداع .

(١٥٠) وهذا كلام أهل العلم : لا يميلون إلى هوى ، وإنما يدورون مع الحق حيث دار يعطون كل أمر حقه .
نعم الذكر بمفهومه الواسع يشمل أبوابا عديدة . وهو بالمعنى المتعارف عليه والمألوف والمفهوم من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآيات الكتاب الحكيم بالأمر بالتسبيح والتكبير ، هو الأذكار التى بينها صلوات الله وسلامه عليه لأمته فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وأقام الحجة وأظهر الدليل .

ثم أن كتاب ابن القيم نفسه (أو غيره كالأذكار للنووى أو الحصن الحصين لابن الأثير الجزرى ، أو أى كتاب آخر) نصفه فى فوائد الذكر ونصفه الآخر فى بيان الأذكار التى بينها رسول الله وهى من النوع الذى استبعده السادة أصحاب التعليقين السابقين ... أفلا يحق لنا أن نتعجب ؟

آيات القرآن :

(١٥١) فى سورة النساء ، يقول الله تعالى مبينا أحكام القتال فى الحرب :

{ فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم، فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة ـ ٤/ النساء ١٠٣ }

فهل ياترى قصد الله هنا ـ أو قال قائل من علماء المسلمين ـ أن الآية تعنى : وأنتم فى الحرب وقد أخذتم حذركم ـ وصليتم على صورة صلاة الحرب التى بيناها لكم ـ فاذكروا قياما وقعودا وعلى جنوبكم : أى أدرسوا العلم

وآلاء الله وما يسخطه ويرضيه قائمين وقاعدين ومستلقين على الجنوب : فإذا أطمأننتم فأقيموا الصلاة ؟ هل هذا معقول ؟!

(١٥٢) ولما سأل زكريا عليه السلام ربه آية له ولقومه على اعطائه الولد ـ سيدنا يحيى عليه السلام ـ بعد كبر سنه ويأس أهله ... وقال الله تعالى :

{ قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قال آيَتُكَ ألاّ تُكَلِّمَ الناسَ ثلاثةَ أيامٍ إلا رَمْزاً ، واذْكُرْ ربكَ كثيرا وَسَبِّحْ بالعَشِيِّ والإبْكار ـ ٣/آل عمران ٤١ }

فهل فهم علماء الأمة وأهل التفسير ان الله تعالى يأمر بنبيه زكريا عليه السلام بمدارسة العلم والآلاء ومعرفة ما سخطه ويغضبه بالعشى والابكار؟ وماذا تعنى صفة " كثيرا " فى الآية هنا .

(١٥٣) وهل فهم أحد من علماء الأمة من قول الله تعالى :ـ

{ واذْكُرْ رَبَّكَ فى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخيفَةً ودُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بالغُدُوِّ والآصَالِ ولا تَكُنْ مِنَ الغافلينَ ـ ٧/ الأعراف ٢٠٥ }

أن كلمة قوله تعالى فى الآية " أذكر ربك " تعنى أدرس العلم فى نفسك ـ بالتضرع والخوف ـ وعدد آلاء الله وما يسخطه ويرضيه ، غدوا وأصيلا ، دون الجهر من القول " ......

فخلاصة القول إذن ، ان الأدلة وفهم السلف من أهل العلم ، أن " ذكر الله " ومجالسه ، وان جاز أن يعد منها مجالس الحديث النبوى ومدارسة العلم الشرعى ومذاكرته ـ على قول وتعبير الإمام ابن حجر العسقلانى ـ إلا أنها أصلا وأساسا هى مجالس للذكر بمعناه الذى تعرفه الأمة الإسلامية عبر القرون الطويلة ـ وهو التسبيح والتحميد .... الخ ، وتلاوة القرآن والدعاء .
وأخاف الله والله تعالى أعلم .

ثانيا ، وثالثا
هل يجوز التجمع للذكر فى المساجد

وبعد أن صح مما سبق أن المقصود بذكر الله أساسا هو الأذكار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من تهليل وتكبير وتسبيح ... وكذلك تلاوة القرآن والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه قد يلحق به كل دراسة للأحكام أو أداء الأفعال بالمعنى الموسع فإن التساؤل الآن عن جواز هذا الذكر فى المساجد .
ولم نر أو نسمع حججا للمنكرين لهذا الجواز إلا ما يلى : {١٦٣}

أ ـ أن الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه . رأى قوما يهللون فى المسجد قبل الصلاة ، فقال ما أراكم إلا مبتدعين ، حتى أخرجهم من المسجد .

ب ـ أنه بدعة لم ترد .

والحقيقة أن هذا الرأى لا يثبت للأدلة :ـ

أولا من حيث الأثر عن عبد الله بن مسعود

(١٥٤)

أ ـ القول المنسوب إلى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه إنما هو أثر عن صحابى فهو إذن أقل فى الدرجة بكثير عن الأحاديث الصحيحة الثابتة فهى تعلو عليه ومقدمة عليه عند التعارض .
وهناك نيف وعشرون حديثا يخالفون ما قيل أن ابن مسعود فعله من نهى للذاكرين عن الذكر واخراجهم من المسجد كما سنبين فى " رابعا " .

٢ ـ هذا الخبر عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه ، لم يصح سنده ، عن أحد ممن أخرجه فكيف يمكن الإعتماد عليه ؟ {١٦٤}

{١٦٣} ـ غالبية من سمعنا منهم فى هذا الأمر من الشباب ، ولم نجد عندهم كثير علم ، سوى التسرع فى إتهام المسلمين بالبدع . وقد رجونا أن ندرس هذا الأمر مع أحد أصحاب الفكر الذى يعلمونه للناس ولم ييسر الله ذلك للآن .

{١٦٤} ـ أنظر : الإمام السيوطى ، الحاوى للفتاوى ، المرجع/ ٥٠ ، جزء /١ ، ص ٣٩٤

٣ ـ مما يؤكد الشك فى صحة هذا الأثر ، ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل بسنده فى كتاب الزهد ، عن أبى وائل قال :

"" أولئك الذين يزعمون أن عبد الله ينهى عن الذكر ، والله ما جالست عبد الله قط فى مجلس إلا ذكر الله فيه " {٦٥}

٤ ـ ومما يزيد الشك فى صحة هذا الأثر عن ابن مسعود رضى الله عنه ، ما أخرجه الإمام ابن القيم الجوزية قال :

" جلس عبد الله بن عمرو وعبد الله بن مسعود ، فقال عبد الله بن مسعود : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، أحب إلىّ من أن أنفق عددهن دنانير فى سبيل الله عز وجل ، فقال عبد الله بن عمرو : لأن أجد فى طريق فأقولهن أحب إلىّ من أن أحمل عددهن على الخيل فى سبيل الله عز وجل " {١٦٦}

فهذا عبد الله بن مسعود يصرح بأن التسبيح والتهليل والتكبير أحب إليه من الصدقة العظيمة فى سبيل الله ، وهذا عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم أجمعين ، يشير إلى أنهن (التسبيح والتهليل والتكبير) أحب إليه من حمل عددهن على الخيل ـ جهادا ـ فى سبيل الله .

٥ ـ ومما يزيد الشك مرة ثالثة فى صحة هذا الأثر : ما ذكره ، ابن القيم أيضا :

" قال ابن مسعود : إن الجبل لينادى الجبل بإسمه أمرّ بك اليوم أحد يذكر الله عز وجل ؟ فإذا قال نعم ، استبشر " {١٦٧}

فهل يا ترى ينهى مثل هذا الصحابى الجليل عن الذكر ، وهو الذى يشير إلى وجوب الذكر حتى للسائرين فى الطرقات ؟
وهل يسمع الجبل الذاكر إلا أن يذكر جهرا ؟ أفلا يشير هذا إلى حب الكون كله للذكر حتى الجبال التى يظن بعض الناس أنها جماد لا حياة فيها .

{١٦٥} ـ أنظر : الإمام السيوطى ، الحاوى للفتاوى ، المرجع / ٥٠ ، جزء/١ ، ص ٣٩٤

{١٦٦} ـ أنظر : الإمام ابن قيم الجوزية ، الوابل الصيب ، المرجع / ٤١ ، ص ٦١

{١٦٧} ـ أنظر : الإمام ابن قيم الجوزية ، الوابل الصيب ، المرجع / ٤١ ، ص ٧٣

(ب) ـ القول بأن الذكر بالمساجد بدعة

(١٥٥) وإذا نظرنا للاحتمال الآخر ، وهو أن نهى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه كان متعلقا بالمساجد فقط ، نقول ، أننا لا نظن ذلك ، وان كان فى غير محله للأحاديث الآتية :

٦ـ عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعاليعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ يقول الرب عز وجل : يوم القيامة سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم ، قيل ومن أهل الكرم يا رسول الله ؟ قال : أهل مجالس الذكر فى المساجد } {١٦٨}

٧ ـ وفى الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تبدأ بقوله :
{ إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل وما رياض الجنة يا رسول الله ...} والتى وردت فيها ثلاث صيغ :

الأول : قال : **{ حلق الذكر }** {١٦٩}

الثانى : قال : **{ مجالس العلم }** {١٧٠}

{١٦٨} ـ أخرجه الإمام أحمد فى المسند ، وأبو يعلى ، وابن حبان فى صحيحه ، وسعيد بن منصور فى سننه، وابن شاهين فى الترغيب والترهيب فى الذكر ، والبيهقى فى السنن وقال المناوى إسناده جيد ورجال أحمد ثقات
أنظر : بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع / ٢٨ ، جزء/١ ، ص ٤٤٧ ، حديث ١٩٣١
أنظر : الحافظ النذرى ، الترغيب والترهيب ، المرجع/٢٦ ، جزء /٢ ، ص ٦٧٤

{١٦٩} ـ أخرجه الإمام أحمد والترمذى والبيهقى عن أنس رضى الله عنه . وقال الترمذى حسن غريب ، وصححه الإمام السيوطى .
أنظر : الإمام السيوطى ، الجامع الصغير ، المرجع / ٢٤ ، ص ٣٥ جزء/١
أنظر : الحافظ المنذرى ، الترغيب والترهيب ، المرجع/٢٦ ، جزء/٢ ، ص ٦٨١
وكذلك صححه العلامة المناوى ، فيض القدير ، المرجع/ ٣٢ ، جزء/١ ، ص ٤٤٢ وغيرهم .

{١٧٠} ـ أخرجه الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنه . وضعفه الإمام ابن حجر الهيثمى .
أنظر : ابن أبى بكر الهيثمى ،مجمع الزوائد ، المرجع / ٣٨ ، جزء/١ ، مجلد/١ ، ص١٢٦
وضعفه الإمام السيوطى لأن فيه رجل (أى راو) لم يذكر اسمه (أى لا تعلم من هو) .
أنظر : المناوى ،فيض القدير ، المرجع/ ٣٢ ، جزء / ١ ، ص ٤٤٢

الثالث : قال :

{ المساجد ، قيل وما الرتع ؟ قال سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر } {١٧١}

(١٥٦) **فالصيغة الأولى** : تبين أنه بالتحلق لذكر الله تعالى ، يكون المرء فى روضة من رياض الجنة ، فكما يقول الإمام النووى :

" اعلم أنه كما يستحب الذكر يستحب الجلوس فى حلق أهله وقد تظاهرت الأدلة على ذلك " {١٧٢}

والصيغة الثانية (وهى صيغة مضعفة) : يقول عنها العلامة المناوى :

" " فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياض هنا بحلق العلم وفيما سبق بحلق الذكر ، وفيما يأتى (الحديث الثالث) بسبحان الله ، الخ ، ولا مانع من إرادة الكل " {١٧٣}

وفى الصيغة الثالثة : فسر صلى الله عليه وسلم رياض الجنة بأنها المساجد إذ العبادة فيها مدخل إلى رياض الجنة . وبين صلى الله عليه وسلم ، أن الرتع فى الجنة بالتهليل والتسبيح والتحميد والتكبير .
و " الرتع " كما فى قوله تعالى على لسان أخوة يوسف عليه السلام :

{ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ـ ١٢/يوسف ١٢ }

هو الاتساع فى التمتع والمستلذات والتنزه فى البساتين والرياض واستعمل هنا

{١٧١} ـ أخرجه الإمام الترمذى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، قال غريب تفرد به ورجاله رجال الصحيح ، موثقون عند ابن حبان وابن حجر العسقلانى ، وصحح إسناده المنذرى ، حديث حسن .
أنظر : المنذرى ، الترغيب والترهيب ، المرجع/ ٢٦ ، جزء/٢ ، ص ٦٨١
أنظر : ابن حسام الدين الهندى ، الكنز، المرجع /٢٨ ، جزء/١ ، ص ٤٣٧ ، حديث رقم/ ١٨٨٥

{١٧٢} ـ أنظر : الإمام النووى ، كتاب الأذكار ، المرجع /٣٢ ، ص ٨

{١٧٣} ـ أنظر : العلامة المناوى ، فيض القدير ، المرجع/ ٣٢ ، جزء/١ ، ص٤٤٢

فى التلذذ بذكر الله والتمتع بطمأنينة الذكر ، والفوز بثواب الجنة . كما فى قوله تعالى :

{ الذين آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ ، أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القلوب ـ ١٣/الرعد ٢٨}

ويقول بعض العارفين :
" لو علم الملوك بعض ما نحن فيه من النعيم لجالدونا عليه بالسيوف "

وقول ابن تيمية المشار إليه سابقا :
" ما يصنع أعدائى بى ، أنا جنتى وبستانى فى صدرى " {١٧٤}

فعلم من هذا كله أن المساجد مواقع حلق الذكر ، والرتع فيها يشمل التسبيح والتهليل الخ ، والعلم كما يشمل التلاوة والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثالثا : ومن حيث كون ذلك بدعة لم ترد :

(١٥٧)

ب ـ فقد بينا فى مقدمة هذا الفصل بعض القواعد الأساسية التى توضح معنى البدعة والتوقيف فى العبادات . ويلزم الرجوع إليها عند مناقشة كل قضية من هذه القضايا المطروحة . **وفى هذا الأمر نقول :**

(١) ـ أن قول الله تعالى :

{ فى بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فيها اسْمُهُ ، يُسَبِّحُ لَهُ فيها بالغُدُوِّ وَالآصَال رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ ولا بَيْعٌ عن ذِكْرِ اللهِ، وإِقَامِ الصلاةِ وَإِيتَاءِ الزكاةِ ، يَخَافُونَ يوما تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلوبُ وَالأبصار ـ ٢٤/النور ٣٦ ، ٣٧ }

وقول بعض الناس أن عبارة " ويذكر فيها اسمه " إنما تعنى الصلاة قول مردود . لأن هذا نص مطلق ولايجوز تخصيصه بالصلاة إلا بنص مثله .

{١٧٤} ـ القول المشار إليه سابقا فى هامش رقم /٧٢ ، بند رقم/ ٧٢

ـ وما القول فى عبارة " يسبح له فيها بالغدو والآصال "
أهى أيضا الصلاة !
ـ وما القول فى عبارة " عن ذكرالله واقام الصلاة "
أذكر الله هنا تعنى أيضا الصلاة !
وإذا وافقنا على أن معانى هذه العبارات الثلاث هو الصلاة تكون الآية كالآتى:
{ فى بيوت أذن الله أن ترفع ويصلى فيها ، يصلى فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن الصلاة واقام الصلاة ... }
فهل يتصور أو يعقل هذا التكرار الممجوج من الله الحكيم ؟
أو يقبل هذا كتفسير للآية ؟ ! ! ..... ما لكم كيف تحكمون !

(٢) ـ وقد دلت الأحاديث المذكورة فى هذا الفصل على أن مجالس الذكر تعقد فى المساجد .
ومادامت هذه أحاديث صحيحة كافية للإستدلال فنقول بأنه قد ورد فى السنة صحة عقد مجالس الذكر .

(٣) ـ ثم بصرف النظر عن هذا كله ، لا يكون هناك إبتداع فى أن تقام مجالس الذكر فى المساجد لأن المساجد جعلت لذكر الله بالمعنى العام باتفاق أمة الإسلام كلها ، ومن ذلك ذكره بالألفاظ الواردة فى السنة . عن النبى الخاتم صلى الله عليه وسلم . والتى هى الأصل فى معنى كلمة " الذكر " .

(٤) ـ وأخرج ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من بعض حجره ، فدخل المسجد . فإذا هو بحلقتين . إحداهما يقرأون القرآن ويدعون الله . والأخرى يتعلمون ويعلمون فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

{ كل على خير . هؤلاء يقرأون القرآن ويدعون الله . فان شاء أعطاهم وأن شاء منعهم ، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون وإنما بعثت معلما ، فجلس معهم } {١٧٥}

{١٧٥} ـ أنظر : ابن ماجه ، السنن ، المرجع / ١٤ ، جزء/١ ، ص ٨٣ ، حديث رقم / ٢٢٩
وفى الزوائد : إسناده ضعيف .

رابعا
الذكر جهرا أم ســـــرا

(١٥٨) لا جدال فى أن الذكر فى السر وارد يثبت من قوله تعالى فى الآية الكريمة :

{ واذْكُرْ رَبكَ فى نَفْسكَ تَضَرُّعًا وَخيفَةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القولِ بِالغُدُوِّ والآصَالِ ولا تَكُنْ مِنَ الغافلينَ ـ ٧/ الأعراف ٢٠٥ }

ومن قوله فى الحديث القدسى :

{ اذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى } {١٧٦}

وقد استحسن علماء الأمة أن لا يكون الذكر فى صمت تام ، بل أن يتلفظ المرء باللفظة ذاتها ، لأدلة عديدة منها : أن الأحاديث النبوية فى الذكر قد وردت دائما بقوله صلى الله عليه وسلم :
{ من قال كذا كان له من الأجر كذا }
فلا يحصل له ذلك الأجر إلا بما يسبق عليه معنى " القول " والقول لا يكون إلا بالتلفظ باللسان . {١٧٧}

وقد دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على أن الذكر بصورته الجهرية العلنية والقلبية الخفية ، ليس فقط جائزا ، وإنما على أقل الاحتمالات ـ مندوب شرعا . {١٧٨}
وقد تكلمنا عن ذلك فى الفصل (الثالث) من هذا الكتيب فارجع إليه .

إلا أن تيارا دينيا معاصرا ، قد أنشأ تساؤلا عن جواز الجهر بالذكر . وذهب بعضهم أنه لا يجوز ، واتهموا فاعليه بالابتداع فى الدين . واستدلوا على رأيهم بأدلة نذكر منها ما وصل إلى علمنا : ـ

{١٧٦} ـ سبق تخريجه فى هامش رقم / ١٠٠ بند رقم /١٠١

{١٧٧} ـ راجع الإمام الشوكانى ، تحفة الذاكرين ، المرجع / ٣٠ ، ص ٣٣

{١٧٨} ـ قلنا مندوب شرعا على الأقل ، لأن جمهورا عظيما من العلماء والفقهاء يرى أنه مأمور به أمر وجوب

(أ) ــ الحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله :

{ خير الذكر الخفى وخير الرزق ما كفى } {١٧٩}

(ب) ــ آية الصلاة التى تأمر بعدم الجهر وعدم المخافتة .

{ ولا تَجْهَرْ بصَلاَتكَ ولا تُخَافِتْ بِهَا وابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ــ ١٧/ الاسراء ١١٠ }

(جـ) ــ أن قوله تعالى فى الآية الكريمة :

{ واذْكُرْ رَبَّكَ فى نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الجَهْرِ منَ القَوْلِ بالغُدُوِّ والآصَالِ ولا تَكُنْ مِنَ الغافلِينَ ــ ٧/الأعراف ٢٠٥ }

يمنع من جواز الجهر .

(د) ــ قوله تعالى فى الآية الكريمة :

{ ادعُو رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ المعتدين ــ٧/ الأعراف ٥٥ }

وقد رأوا تفسير الاعتداء هنا بأنه الجهر فى الدعاء .

(هـ) ــ القول بأن عبد الله بن مسعود الصحابى الجليل رضى الله عنه نهى عن الجهر بالذكر والتجمع عليه .

(و) ــ أن العبادات توقيفية ، والرأى عندهم أن الذكر جهرا غير وارد فى الكتاب والسنة أو أفعال الصحابة والسلف .

(١٥٩) وسنناقش هذه الآراء من جانبين :

الأول : المدى الذى يثبت من هذه الأدلة .

الثانى : عرض وتحليل آيات القرآن ونصوص الأحاديث التى تتعلق بها الأمر وتزيل الالتباس فيه .

{١٧٩} ــ أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ، والبيهقى عن سعد ، وابن حبان عن سعد أيضا .
أنظر : الإمام النبهانى، الفتح الكبير ، المرجع / ٢٥ ، جزء / ٢ ، ص ٩٧
أنظر : بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع / ٢٨ ، جزء / ١، ص ٤١٧ حديث رقم / ١٧٧١

(١٦٠) ان حديث " خير الذكر الخفى " وفى رواية " ماخفى " حديث صحيح السند وقد سبق أن أشرنا إليه فى الفصل (الثالث) من هذا الكتيب كدليل لإثبات أن الذكر القلبى يعلو أو مقدم على ذكر اللسان . {١٨٠}
ولكنه لا يصلح حجة فى أن الذكر الجهرى ليس ذكرا شرعيا صحيحا . لأسباب منها :

(١) ـ أن لفظة " خير " الواردة فى الحديث هنا لا تعنى إلا خيرية أى أفضلية فعل الذكر الخفى ، على الذكر العلنى الجهرى ، ولكن لا يلزم منها تحريم الذكر الجهرى .

(٢) ـ كما أن هذا الحديث معارض بثلاثة وثلاثين حديث أخرى تؤكد،ليس فقط جواز الجهر بالذكر ، بل أن الجهر بالذكر كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . {١٨١}

ومن هذه الأحاديث المعارضة ما هو أقوى منه فى الدرجة بكثير . بل أن منها أحاديث متفق على صحتها ، أخرجها البخارى ومسلم ، وهى أعلى درجات الصحة فى الحديث . ونذكر من هذه الأحاديث ما يلى :

الحديث الأول : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله جل شأنه :

{ أنا عند ظَنِّ عبدى بى وأنا معه إذا ذكَرَنى فان ذكرنى فى نفسه ذكَرْتُهُ فى نفسى ، وان ذكرنى فى ملأٍ ذكرتُهُ فى ملأٍ خيرٍ منه ... الحديث } {١٨٢}

{١٨٠} ـ راجع هامش رقم /١٧٧ بند رقم/٥٨

{١٨١} ـ أنظر : الإمام السيوطى ، الحاوى للفتاوى ، المرجع/ ٥٠ ، جزء/١ ، ص ٣٨٩ ـ ٣٩٣
وقد أخرج الأحاديث الدالة على جواز الذكر الجهرى خمسة وعشرون حديثا .

{١٨٢} ـ أخرجه الإمام البخارى واللفظ له والإمام مسلم .
أنظر : الأحاديث القدسية ، المرجع/ ٢٠ ، جزء/١ ، ص ٦٢ ـ ٦٣ ـ ٦٤
أنظر : بن حجر العسقلانى، فتح البارى ، المرجع / ١١، جزء/١٣ ، ص ٣٨٤ حديث رقم/٧٤٠٥
أنظر : الإمام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع / ١٢ ، جزء/١٧ ، ص ٢ ـ ٣

والملأ : الجماعة : ولا يكون الذكر فى ملأ إلا جهرا : فإن قال البعض تكون الجماعة من الناس ، أى الملأ ، ولكن يذكر كل منهم فى نفسه : قلنا فهذا هو الشق الأول من الحديث : (ذكرنى فى نفسه) فما معنى فى ملأ إذن ؟؟؟

الحديث الثانى : عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنه قال :

{ أن رفعُ الصَّوْت بالذكرحينَ ينصرفُ الناس من المكتوبة (أى الصلاة المفروضة) كان على عهدِالنبى صلى الله عليه وسلم } {١٨٣}

وهذا بيان لا إلتباس فيه ولا شبهة ، بأن الجهر بالذكر كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الحديث الثالث : عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :ـ

{ أكثِرُوا ذكرَ اللهِ حتى يقولوا مجنون } {١٨٤}

ووجه الدلالة من هذا الحديث أن الناس لن تقول على رجل ، يذكر سرا لاجهرا ، أنه مجنون . إذ لأنهم لن يعرفوا أنه يذكر ولا يكثر الذكر إلا إذا جهر بالذكر . فمعرفتهم بحاله تتوقف على كونه ذاكرا باللسان جهرا .

{١٨٣} ـ أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن عباس والإمام مسلم بثلاث روايات .
أنظر : بن حجر العسقلانى ، فتح البارى، المرجع / ١١ ، جزء/٢ ، ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥
أنظر : الإمام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/١٢ ، جزء/٥ ، مجلد /٢ ، ص ٨٣ ـ ٨٤

{١٨٤} ـ أخرجه الإمام أحمد فى المسند وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم وقال صحيح الإسناد ، والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى ، وحسنه السيوطى .
أنظر: السيوطى ، الجامع الصغير ، المرجع/ ٢٤ ، جزء/١ ، ص٥٤
وصححه الذهبى فى تلخيص المستدرك ، المرجع/ ١٩ ، جزء/١ ، ص٤٩٩
أنظر : بن رجب الحنبلى ، جامع العلوم والحكم ، المرجع/ ٣٣ ، ص ٥٣٧
أنظر : بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع/٢٨ ، جزء/١ ، ص ٤١٤ ، حديث ١٧٥٣

وفى نفس هذا المعنى ورد حديث مرسل .
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ أكثِرُوا ذكرَ اللهِ حتى يَقُولَ المنافقونَ أنَّكُمْ مراءونَ } (١٨٥)

الحديث الرابع : عن شداد بن أوس ، وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه ، رضى الله عنهما ؛ قال : انا لعندَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال :

{ هل فيكم غريب (يعنى أهل الكتاب) قلنا لا يارسول الله فأمر بغلق الباب فقال : ارفعوا أيديكم فقولوا لا إله إلا الله، فَرَفَعْنَا أيدينا ساعة، ثم وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده ثم قال : الحمدُ لله : اللهم إنك بَعَثْتَني بهذه الكلمة وأمَرْتَنى بها ووعدتنى عليها الجنة ، أنك لا تُخْلِفُ الميعاد ؛ ثم قالَ : أبشروا فإن الله قد غفر لكم } (١٨٦)

والظاهر هنا هو القول الجماعى ، ولا يكون ذلك إلا جهرا .

الحديث الخامس : عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ جاءنى جبريل فقال :يامحمد مُرْ أصحابكَ فليرفعوا

---

(١٨٥) ـ أخرجه الإمام أحمد بن حنبل فى الزهد والإمام البيهقى، وسعيد بن منصور فى سننه مرسلا عن أبى الجوزاء، ورفعه الطبرانى فى الكبير، وأبو نعيم فى الحلية وكلاهما عن عبد الله بن عباس ، ونحن نذهب إلى إرساله .
أنظر : بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع/٢٨ ، جزء / ١ ، حديث ١٧٥٤ ـ ١٧٥٦، ص ٤١٤ ، ٤١٥
أنظر : بن رجب الحنبلى ، جامع العلوم والحكم ، المرجع/ ٣٣ ، ص ٥٣٧

(١٨٦) ـ أخرجه الإمام الحاكم فى المستدرك واللفظ له ، المرجع/١٨،جزء/١، ص ٥٠١ والحديث رجاله ثقات موثقون إلا إسماعيل ابن عباس ، وثقه أغلب أهل الحديث وقال بعضهم ينسب إلى سوء الحفظ فى كبر السن . وكذلك أخرجه الإمام أحمد ، والنسائى ، والطبرانى ،وسعيد بن منصور عن يعلى بن شداد عن عبادة بن الصامت ، ورجال أحمد رجال الصحيح ، واسناده عن النسائى ثقات .
والحديث حكم بصحته .
أنظر : بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع/٢٨ ، جزء/١ ، ص ٤٨ حديث رقم / ١٣٧

أصْوَاتَـهُم بالتلبية فإنها من شعار الحج }   {١٨٧}
وذلك فى الحج .
فها هى عبادة ويجهر التكبير والتهليل فيها وهى كلمات الذكر .

الحديث السادس : عن زيد بن أسلم قال : قال بن الأدع : انطلقت مع النبى صلى الله عليه وسلم فمر برجل كان فى المسجد يرفع صوته قلت :

{ يا رسولَ اللهِ عَسَى أن يكونَ هذا مُرَائِياً ؟ قال : لا ولكنه أوَّاه } {١٨٨}

وعن عقبة بن عامر الجهنى رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله ليه وسلم قال :

{ لرجل يقال له "ذو البجادين" أو " ذو النجادين" أنه أواه ،وفى رواية الحسن بن مسلم .. كان يُكْثِرُ ذكرَ اللهِ وَيُسَبِّح } {١٨٩}

{١٨٧} ـ أخرجه الإمام أحمد ، وابن عدى ، وابن حبان ، والحاكم عن خلادة بن السائب ابن خلاد . وأخرجه الإمام أحمد وابن ماجه ، والحاكم ، وابن حبان عن زيد بن خالد رضى الله عنه . واللفظ لابن ماجه. وأخرجه الإمام أحمد والبيهقى والحاكم بصيغة ثالثة (أمرنى جبريل برفع الصوت فى الاهلال فإنه من شعار الحج) عن أبى هريرة رضى الله عنه .
أنظر : بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع/٢٨، جزء/٥ ، ص ٣١ـ ٣٢ ، حديث رقم/١٩١١
وقال الحاكم كل أسانيده صحيحة . وكذلك قال الذهبى فى التلخيص .
أنظر : الذهبى ، تلخيص المستدرك ، المرجع/١٩ ، جزء/١ ، ص ٤٥ .
وصححه الإمام السيوطى وابن حجر رضى الله عنهما .
أنظر : سنن ابن ماجه ، المرجع/ ١٤ ، جزء/٢٢ ، ص ٩٧٥ ، حديث رقم / ٢٩٢٣
{١٨٨} ـ أخرجه البيهقى وابن جرير فى تفسيره بسندين .
أنظر : الإمام السيوطى ، الحاوى للفتاوى ، المرجع/ ٥٠ ، جزء/ ١ ، ص ٣٩١
أنظر : بن جرير ، التفسير ، المرجع/ ١ ، جزء/١١ ، مجلد/ ٧ ، ص ٣٦
{١٨٩} ـ أخرجه الإمام أحمد والبيهقى ورواه ابن كثير فى تفسيره ، وابن جرير فى التفسير عن الحسن بن مسلم بن يناق .
أنظر : ابن كثير ، التفسير ، المرجع/ ٢ ، جزء/٢ ، ص ٣٩٥
أنظر : الإمام السيوطى ، الحاوى للفتاوى ، المرجع/ ٥٠ ، جزء/ ١ ، ص ٣٩١
أنظر : ابن جرير ، التفسير ، المرجع/١ ، جزء/١١ ، مجلد /٧ ، ص ٣٦

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رجلا كان يرفع صوته بالذكر فقال رجل لو أن هذا خفض من صوته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ دعه فإنه أواه } {١٩٠}

ويذكر الإمام ابن كثير والإمام الطبرى أن عقبة بن عامر قال الأواه : الكثير الذكر لله ، كما أن سعيد بن جبير والشعبى قالا : الأواه : المسبح . {١٩١}

وهذه الأحاديث ، وإن كانت لا تضيف جديدا بعد الأحاديث الصحيحة الثابتة التى ذكرناها فى البداية إلا أنها تشير إلى أن رفع الصوت بالذكر كان يحدث أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن بعض الصحابة شك فى أنهم يراءون ، وأنه عليه أفضل صلاة وسلام بين أن هذه صفة الأواهين .

الحديث السابع : عن عبد الله بن عباس فى تفسير قوله تعالى :
{فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ -٤٤/الدخان٢٩}

قال { إنَّ المؤمنَ إذا مات بكى عليه منَ الأرْضِ المَوْضِعِ الذى كان يُصَلِّى فيه وَيَذْكُرِ اللهَ فيه } {١٩٢}

وأخرج ابن أبى الدنيا عن أبى عبيد رضى الله عنه :

{ أن المؤمنِ إذا ماتَ نادَتْ بِقَاعُ الدنيا الأرض : عَبْدُ اللهِ المؤمنِ مَاتَ : فتبكى عليه الأرْضُ والسماءُ ، فيقول الرحمن : مَا يُبْكِيكُمَا على عبدى فيقولان : ربنَا ، لم يمشى فى ناحيةٍ قَطْ إلا وهو يَذْكُرُكَ } {١٩٣}

ومما يؤيد ذلك ، عن ابن مسعود قال :

{ إن الجبلَ لينادِى الجبلَ بإسمهِ : يافلان ، هل مَرَّبكَ اليوم ذاكر

{١٩٠} ـ أخرجه البيهقى فى السنن .
أنظر السيوطى ، الحاوى للفتاوى ، المرجع/ ٥ ، جزء/ ٢ ، ص ٣٩١

{١٩١} ـ أنظر : ابن جرير ، التفسير ، المرجع/ ١ ، جزء / ١١ ، مجلد/٧ ، ص ٣٦
أنظر : ابن كثير ، التفسير ، المرجع/٢ ، جزء/٢ ، ص ٣٩٥

{١٩٢} ـ أنظر : ابن جرير ، التفسير ، المرجع/ ١ ، جزء/ ٢٥ ، مجلد / ١١ ، ص ٧٥
أنظر : السيوطى ، الحاوى للفتاوى ، المرجع/ ٥ ، جزء/٢ ، ص ٣٩١

{١٩٣} ـ أنظر : السيوطى ، الحاوى للفتاوى ، المرجع/ ٥ ، جزء/ ٢ ، ص ٣٩١

لله ؟ فإن قال نعم إسْتَبْشَرَ . ثم قرأ عبد الله بن مسعود قوله تعالى :
{ لقد جئتُمْ شَيْئًا إِذًا تَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ .....١٩/مريم ٨٩ ، ٩٠ }
فقال : أيسمعون قولَ الزور بِنِسْبَةِ الولدِ إلى اللهِ ، ولا يسمعون الخيرَ } {١٩٤}

ووجه الدلالة هنا أن سماع الأرض والسموات والجبال لذكر الذاكرين لا يكون إلا إذا جهروا به .

وخلاصة القول هنا ، أن هذه الأحاديث ، ويكفى منها فقط الأول والثانى ، تثبت أن الجهر بالذكر وارد قطعا ، وبل حادث فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فحديث " خير الذكر الخفى " معارض بأحاديث كثيرة فى الذكر الجهرى .
وكل حديث ورد فيه " قوم يذكرون " ، " مجلس ذكر " أو " إجتمع قوم ... " إلى آخر ذلك من الألفاظ ، إنما يعنى ذكرا جهريا ، لأن الذكر فى الملأ الأعلى لا يكون إلا جهراً .

الحديث الثامن : عن جابر قال : خرج علينا النبى صلى الله عليه وسلم فقال :

{ يا أيها الناسُ إنَّ لله سرايا من الملائكة تَحلُّ وتقفُ على مجالسِ الذكر فى الأرض فَارْتَعُوا فى رياضِ الجنةِ قالوا : وأين رياضُ الجنة ؟ قال : مجَالسُ الذكرِ فاغْدُوا ورُوحُوا فى ذكرِ اللهِ } {١٩٥}

الحديث التاسع : عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ ان للهِ ملائكة سيارةً وَفُضَلاءَ يلتمِسُون مجالس الذكرِ فإذا

{١٩٤} ـ أنظر السيوطى ، الحاوى للفتاوى ، المرجع / ٥ ، جزء/ ٢ ، ص ٣٩١
أنظر : ابن قيم الجوزية ، الوابل الصيب ، المرجع/٤١ ، ص ٧٣ ، بدون العبارة الأخيرة .
وأخرجه الإمام أحمد والبيهقى عن أبى هريرة ، وأيضا الإمام أحمد والنسائى عن ابن عباس لبيان كثرة الذكر ودخول الجمادات فيه .

{١٩٥} ـ أنظر: الحاكم ، المستدرك ، المرجع/١٨ ، جزء/١ ، ص ٤٩٤
أنظر: بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع/٢٨، جزء/١ ، ص ٤٣٤ ـ ٤٣٥ ، حديث رقم/ ١٧٨٧.

أتوا على مجلس ذكر حفّ بعضهم بعضًا بأجنحتهم إلى السماء فيقول الله : من أين جئتم ؟ فيقولون جئنا من عند عبادك يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويهللونك ويسألونك ويستجيرونك فيقول : ما يسألون وهو أعلم بهم ، فيقولون يسألونك الجنة فيقول وهل رأوها فيقولون : لا يارب فيقول فكيف لو رأوها ، ثم يقول وممّ يستجيرونني ؟ وهو أعلم بهم فيقولون من النار فيقول وهل رأوها فيقول لا فيقول فكيف لو رأوها . ثم يقول إشهدوا أني قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوني وأجرتهم مما إستجاروني فيقولون ربنا ان فيهم عبدًا خطاءً جلس إليهم وليس منهم فيقول : وهو أيضا قد غفرت له هم القوم لا يشقى بهم جليسهم } (١٩٦)

الحديث العاشر : عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ ما من قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده } (١٩٧)

الحديث الحادى عشر : عن معاوية : أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال :

{ ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده فقال : إنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة } (١٩٨)

---

(١٩٦) ـ أخرجه الإمام أحمد والبخارى ومسلم ،
أنظر : الهامش رقم/ ١٥٤ ، ١٥٥ ، بند رقم/ ١٤٣

(١٩٧) ـ أنظر : بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع/ ٢٨ ، جزء/ ١ ، ص ٤٢٤ حديث رقم / ١٨٢٢
أنظر : الإمام السيوطى ، الجامع الصغير ، المرجع/ ٢٤ ، جزء/ ٢ ، ص ١٥٢
أنظر : الإمام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/ ١٢ ، جزء/ ١٧ ، ص ٢٢

(١٩٨) ـ أنظر : النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/ ١٢ ، جزء/ ١٧ ، ص ٢٢ ـ ٢٣
أنظر : الحافظ المنذرى ، الترغيب والترهيب ، المرجع/ ٢٦ ، جزء/ ٢ ، ص ٦٧٣ ـ ٦٧٤

الحديث الثانى عشر : عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

{ إذا مَرَرْتُمْ برياض الجنة فارتعوا قالوا : يارسول الله وما رِيَاضُ الجنةِ ؟ قال : حَلَقُ الذكْرِ } {١٩٩}

الحديث الثالث عشر : عن عبد الله بن عمرو : أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين أحد المجلسين يدعون الله ويرغَبون إليه والآخر يُعَلِّمُونَ العلم فقال :

{ كِلاَ المجلِسَيْنِ خَيْرٌ وأحدُهُمَا أفضلُ مِنَ الآخرِ } {٢٠٠}

الحديث الرابع عشر : عن عبد الله بن مغفل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ مَا مِنْ قوم إجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهَه إلا نَاداهم مُنَادٍ من السماء أن قوموا مغفوراً لكمْ قد بُدِّلَتْ سيئاتكُم حسَنَات } {٢٠١}

الحديث الخامس عشر : عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

{ يقولُ الرب تعالى يومَ القيامةِ : سَيَعْلَمُ أهلُ الجمْع اليوم من

{١٩٩} ــ أخرجه الترمذى والإمام أحمد والبيهقى

أنظر : الإمام السيوطى ، الجامع الصغير ، المرجع/ ٢٤ ، جزء/١ ، ص ٣٥

أنظر: بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع/ ٢٨ ، جزء/١ ، ص ٤٣٧ ،حديث رقم / ١٨٨٥

أنظر : الحاكم ، المستدرك ، المرجع/ ١٨ ، جزء/١ ، ص٤٩٤ ، جزء من حديث .

{٢٠٠} ــ أنظر : الإمام السيوطى ، الحاوى للفتاوى ، المرجع/ ٥ ، جزء/ ١ ، ص ٣٩ .

{٢٠١} ــ أخرجه البيهقى .

أنظر : بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع/ ٢٨ ، جزء/ ١ ، ص ٢٢٤ حديث رقم / ١٨٠٨

أنظر : الحافظ المنذرى ، الترغيب والترهيب ، المرجع/ ٢٦ ، جزء /٢ ، ص ٦٧٥

أنظر : ابن كثير ، التفسير ، المرجع/٢ ، جزء / ٣ ، ص ٨١

أهْلُ الكرم فقلَ ومن أهْلُ الكرم يا رسولَ الله ؟ قال : أهل مجالسِ الذكرِ فى المساجد } {٢.٢}

الحديث السادس عشر : عن أبن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ قال الله تعالى : عبدى إذا ذكَرْتَنِى خَالِيًا ذكرتُكَ خاليا وإن ذكرتنِى فى ملأٍ ذكرتُكَ فى ملأٍ خيرٍ مِنْهُمْ وأكثر } {٢.٣}

الحديث السابع عشر : عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

{ إن لله سَيَّارَةً من الملائكة يطلبونَ حِلَقَ الذكرِ فإذا أتَوْا عليهِمْ حفّوا بهِمْ فيقولُ اللهُ تعالى غَشُوهُمْ برحمتىَ فهم الجُلَسَاءُ لا يشقى بِهِمْ جَلِيسهُمْ } {٢.٤}

الحديث الثامن عشر :عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال :نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بعْضِ أبياته :

{ واصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاة والعشىِّ . . الآية} فخرج يَلْتَمِسهُمْ فوجدَ قومًا يذكرونَ اللهَ تعالىَ منهم ثائرِ الرأس وَجافُ الجِلْد وذو الثوبِ الواحدِ فلما رآهم جلس معهَم وقال : الحمدُ للهَ الذ ى جعلَ فى أمّتىَ من أمرنى أن أصبِرَ نفسى معهم } {٢.٥}

{٢.٢} ـ أخرجه الإمام أحمد ، وأبو يعلى ، وابن منصور ، وابن حبان ، وابن هشام فى الترغيب فى الذكر والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

أنظر : بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع / ٢٨ ، جزء/١ ، ص ٤٤٧، حديث رقم / ١٩٣١

{٢.٣} ـ سبق تخريجه أكثر من مرة .

أنظر الأحاديث القدسية ، المرجع/ ٢.، جزء/ ١ ، ص ٦٢ ـ ٦٣ ـ ٦٤

{٢.٤} ـ متفق على صحته ، أخرجه البخارى ومسلم .

أنظر : بن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، المرجع/١١،جزء/١١ ، ص ٢.٨ ، حديث رقم /٦٤.٨

{٢.٥} ـ أخرجه الطبرانى وابن جرير عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف .

أنظر : ابن كثير ، التفسير ، المرجع/ ٢ ، جزء/ ٣ ، ص ٨١

أنظر : ابن جرير ، التفسير ، المرجع/ ١ ، جزء/١٥ ، ص ١٥٥

الحديث التاسع عشر : عن ثابت قال : كان سلمان فى عصابة يذكرون الله فمر النبى صلى الله عليه وسلم فكفوا فقال :

{ ما كنتمْ تقولونَ ؟ قلنا نذكُرُ اللهَ قال انى رأيتُ الرحمةَ تنزل عليكُمْ فأحببتُ أن أشارِكَكُمْ فيها ثم قال : الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمِرْتُ أن أصبِرَ نفسى معهم } {٢٠٦}

الحديث العشرون : عن أبى رزين العقيلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له :

{ ألا أدُلكَ على ملاك الأمرِ الذى تُصيبُ به خَيْرَى الدنيا والآخرة ؟ قال بلى قال : عليكَ بمجالِسِ الذكر وإذا خَلَوْتَ فحرِّكْ لسانَكَ بذكرِ الله } {٢٠٧}

الحديث الحادى والعشرون : عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ لأن أذكُرَ الله تعالى بعد صلاة الفجرِ إلى طلُوعِ الشمسِ أحَبُّ إلىَّ من الدنيا وما فيها ، ولأن أذكرَ الله تعالى مع قومٍ بعد صلاة العصر إلى أن تغيبَ الشمسُ أحَبُّ إلىَّ من الدنيا وما فيها } {٢٠٨}

الحديث الثانى والعشرون : عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

{ مَنْ دخلَ السوقَ فقال لا إله إلا اللهَ وحدهُ لا شريكَ لهُ لهُ الملك ولهُ الحمدُ يحيى ويُميتُ وهو على كل شئ قدير ، كتبَ

{٢٠٦} ـ أنظر : بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع/ ٢٨، جزء/١ ، ص ٤٤٧ ، حديث رقم /١٩٣٢

{٢٠٧} ـ أنظر الإمام جلال الدين السيوطى ، الحاوى للفتاوى ، المرجع/ ٥ ، جزء/١ ،ص٣٩٢

{٢٠٨} ـ أخرجه البيهقى عن أنس واللفظ له ، وأخرجه ابن حبان وأبو داود عن أنس أيضا رضى الله عنهم .
أنظر : بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع /٢٨ ، جزء/١ ، ص ٤٢١ ، حديث رقم /١٧٩٩

اللهُ لهُ ألف ألف حسنة وَمَحَا عنهُ ألفَ ألفَ سيئةٍ ورفع لهُ ألف ألف درجةٍ وبَنَى له بيتاً فى الجنة } {٢٠٩}

الحديث الثالث والعشرون : عن عبد الله بن عمر وأبا هريرة :

{ كانا يأتيان السوقَ أيامَ العَشْرِ فيكبرَانِ لا يأتيانِ إلاَّ لذلك }

وأخرج أيضا عن عبيد بن عمير قال :

{ كان عمر يُكَبِّرُ فى قُبَّته فيكبرُ أهل المسجدِ فَيُكَبِّرُ أهل السوقِ حتى تَرْتَجَ مِنى تكبيرا }

وأخرج عن ميمون بن مهران قال :

{ أدركتُ الناسَ وأنهم ليكبرونَ فى العشرِحتى كنت أشبهُهَا بالأمواج من كَثْرتِهَا } {٢١٠}

{٢٠٩} ـ أخرجه الإمام أحمد والترمذى ، وابن ماجه ، والحاكم واللفظ له عن ابن عمر .
أنظر : الإمام النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع/٢٥ ، جزء/٣ ، ص ١٨٩
أنظر : الحاكم ، المستدرك ، المرجع/١٨ ، جزء/١ ، ص ٥٣٨

{٢١٠} ـ أنظر : الإمام السيوطى ، الحاوى للفتاوى ، المرجع / ٥٠ ، جزء/١ ، ص ٣٩٣

ثانيا : الأدلة الأصولية على جواز الذكر الجهرى الجماعى

والأمر عند علماء الأصول بخصوص الجهر بالذكر أوضح من كل هذا الجدل حول الأحاديث النبوية ونعرضه عليك الآن فى اختصار وتبسيط ولكن مع الدقة إن شاء الله تعالى فنقول :

الأول : لا جدال عند أحد ممن نعرف من أهل العلم فى الأقدمين والمحدثين فى وجوب الذكر لنصوص القرآن الآمرة مثل :

{ ياأيها الذين آمنوا اذكروا اللهَ ذكراً كثيرا ـ ٣٣/الأحزاب ٤١ }

{ إنَّ فى خَلْقِ السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذينَ يذكرونَ اللهَ قِياماً وقُعوداً وعلى جُنُوبِهِمْ ـ ٣/آل عمران ١٩٠ـ١٩١ }

{ فإذَا قَضَيْتُمْ مناسككُمْ فاذكُروُا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آباءكُم أوْ أشَدَّ ذِكْراً ـ ٢/البقرة ٢٠٠ }

ثانيا : لا جدال عند أهل العلم أن ذكر الله للعبد أعلى شرف . والعمل الذى يؤدى لأن يذكر الله العبد بالعطاء والفيوضات الربانية يعتبر إذن أفضل الأعمال لأنه يؤدى إلى أعظم العطاءات . وكل ذلك يستدل عليه من قوله تعالى :

{ فاذكُرُونى أذكُرْكُمْ واشكُروا لِى ولا تكْفُرون ـ٢/البقرة ١٥٢ }

ومن ثم تثبت أفضلية الذكر على سائر الأعمال ، كما ثبتت أفضلية الذكر على الدعاء من قوله صلى الله عليه وسلم فى الصحيح :

{ من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطِى السائلين } { ٢١١ }

وإذا كان الدعاء مخ العبادة فإن الذكر مخ المخ .

{ ٢١١ } ـ أخرجه البخارى فى التاريخ والبزار فى المسند والبيهقى فى الشعب من حديث عمر بن الخطاب .

أنظر : تخريج العراقى على هامش الإحياء ، المرجع/٤٨ ، جزء/ ١ ، ص ٢٩٥

أنظر : بن حسام الدين الهندى ،الكنز، المرجع/ ٢٨ ،جزء/١، ص٤٣٤ ،حديث رقم/١٨٧٣، ١٨٧٤، ١٨٧٥

ثالثا : يثبت جواز الجهر بالذكر فى جماعة من الحديث المتفق عليه :

{ أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه اذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه ... الحديث } {٢١٢}

والذكر فى الملأ يكون بالجهر . ومن :

{ فإذا قَضَيْتُمْ مناسككُمْ فاذكُروا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آباءكُمْ أوْ أشَدَّ ذِكْراً ـ ٢/ البقرة . ٢٠٠}

ومن حديث ابن عباس رضى الله عنهما فى البخارى :

{ أن رفعُ الصَّوْت بالذكرحينَ ينصرفُ الناس من المكتوبة (أى الصلاة المفروضَة) كان على عهدِالنبى صلى الله عليه وسلم } {٢١٣}

فالجهر بالذكر اذن فى ادبار الصلوات وفى الأسفار حتى قال عليه الصلاة والسلام :

{ ياأيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم } {٢١٤}

ولم يمنع الجهر بل منع شدة الارتفاع بالصوت . وقد جهر النبى عليه أفضل صلاة وأزكى سلام بأذكار وأدعية فى أحيان كثيرة وكذلك السلف .

رابعا : أما الإثبات الخاص لجواز التجمع لذكر الله والجهر بذلك فيستبان من قوله فى حديث أبى هريرة المتفق على صحته :

{ إن لله ملائكة سيارة وفضلاء يلتمسون حلق الذكر ..الحديث } {٢١٥}

{٢١٢} ـ سبق تخريجه ، أنظر : بند رقم/ ١٦٠ ، هامش رقم/ ١٨٢

{٢١٣} ـ سبق تخريجه ، أنظر : بند رقم/ ١٦٠ ، هامش رقم/ ١٨٣

{٢١٤ } ـ أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود عن أبى موسى .
أنظر : بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع/ ٢٨، جزء/٢ ، ص١٣،حديث رقم/٣٢٤٣
أنظر : الإمام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/ ١٢، جزء/١٧، مجلد/٦ ، ص٢٥ـ٢٦

{٢١٥} ـ سبق تخريجه ، أنظر : بند رقم/ ١٦٠ ، هامش رقم/ ١٩٦

وفيه : " يسأله ربهم ما يقول عبادى ؟ فيقولون يسبحونك ويحمدونك ويكبرونك ويهللونك " بصيغة الجمع .
وهو حديث صريح فى التجمع للذكر (أى جماعة ، وهذا يعنى ويلزم بالجهر) لأن فى آخره " إن فيهم عبدا جلس إليهم وليس منهم فيقول : وهو أيضا قد غفرت له هم القوم لا يشقى بهم جليسهم . "

خامسا : بعدما ثبت جواز بل ندب التجمع للذكر : التحميد والتهليل والتسبيح .. إلى آخره ، نقول :

وليس المقصود بالتجمع أن يجلس الناس معا وكل منهم يذكر الله فى نفسه بمفرده لأن ذلك هو المقصود فى قوله " من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى .. "
وإنما المقصود الذكر الجماعى الذى قيل فيه " فإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه "
فان اجتمعوا للذكر وكل منهم يذكر سراً ، فهذا ليس له معنى " ذكرنى فى ملأ "
فان تصور البعض أن المقصود أن يجلس الناس جماعة ، وكل منهم يذكر الله جهرا بمفرده وبذكر مختلف عن الآخر . فان هذا بلا شك إساءة أدب ، واضطراب فى المجلس ولايسمح به فى المجالس العادية ، فكيف يسمح به فى مجالس ذكر الله ؟!!
فلابد إذن أن هذا التجمع للذكر جهراً أن يكونوا على نفس الذكر معا جميعا .

سادسا : من كل ماسبق لامفر من الوصول إلى الحكم الفقهى بجواز الذكر جماعة جهراً ، بل إنه مندوب وليس فقط جائز ، بشرطه . والله أعلم .

سابعا : أما تأويل الأذكار التى سميت فى الحديث المتفق على صحته : " التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل ... " بأنها المذاكرة والمدارسة فى التوحيد أو الفقه ، فأقل ما يقال عنها أنها من أبعد البعيد ، حتى أنها تعسف لامسوغ له ، ولا يؤيده الفقه ولا العلم.

خامســا
السبحة أو (المسبحة)

(١٦١) ومن الأمور التى قد تثير الإبتسام ، الإختلاف الذى يدور حول جواز التسبيح على السبحة . فهو إختلاف بالغ البساطة لا يدخل فى أصل العبادة ، ولا فى مفهومها . وهو أمر شكلى بحت ، فى فرع من الفروع الفقهية . والجدل حوله يعطى الانطباع بأننا قد أنهينا مشاكل أمة الإسلام ، ولم يتبق لنا الا الإهتمام بالسبحة فى يد المسبح .
وعلى كل حال ، لنبين حقيقة هذا الأمر ، نقول :

(١٦٢) وردت أحاديث صحيحة تشير إلى التسبيح باليد ، وأفضليته :

(أ) ـ عن عبد الله عمرو بن العاص قال :

{ رأيت النبىَ صلى الله عليه وسلم يَعْقِدُ التسبيحَ بِيَدِه } {٢١٦}

(ب)ـ عن يسيرة رضى الله عنها : قالت : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ عليكُنَّ بالتهليلِ والتسبيحِ والتقديسِ ، ولا تَغْفُلْنَ فَتَنْسَيْنَ الرحمة واعقِدْنَ بالأناملِ فانهن مسئولاتٌ مُسْتَنْطَقَاتٍ } {٢١٧}

ومن هذين الحديثين ـ وأمثالها إن وجد ـ يتبين :

(١) ـ مشروعية عقد الأنامل بالتسبيح وبالذات باليد اليمنى (وردت كلمة يمينه فى صيغة أبو داود للحديث الأو ل) ، واليمين دائما مفضل كما أشار النبى صلى الله عليه وسلم .

{٢١٦} ـ أخرجه ابن أبى شيبة ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى، والحاكم ، وصححه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما .
أنظر : الإمام السيوطى ، الحاوى للفتاوى ، المرجع /٥٠ ، جزء/٢ ، ص٢

{٢١٧} ـ أخرجه ابن أبى شيبة والترمذى والحاكم وأبو داود عن يسيرة ـ وكانت من المهاجرات ـ رضى الله عنها .
أنظر : الإمام السيوطى ، الحاوى للفتاوى ، المرجع/٥٠ ، جزء/٢ ، ص٢ وما بعدها
أنظر : الأمام السيوطى ، الجامع الصغير ، المرجع/٢٤ ، جزء/٢ ، ص٦٥ ـ ٦٦
أنظر : الإمام الشوكانى ، نيل الأوطار ، المرجع /٥٤ ، جزء/٢ ، ص ٣٢٦

(٢) ــ وأنه صلى الله عليه وسلم أرشد جمعا من النساء فيه راوية الحديث الثانى بسيرة ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ إلى عقد التسبيح بالأنامل ، وعلل عليه الصلاة والسلام ذلك بأن الأنامل مسئولات مستنطقات ، يعنى يشهدن بذلك يوم القيامة إن شاء الله تعالى .
فلا جدال إذن فى صحة عقد الأذكار بأنواعها عموما ، على أنامل اليد واستحباب اليمنى فى ذلك .

(١٦٣) وردت أحاديث صحيحة أخرى بشير إلى جواز عد أو عقد التسبيح على النوى والحصى ونحو ذلك من الأشياء المماثلة :

(جـ) ــ عن سعد بن أبى وقاص ، رضى الله عنه قال :

{ أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على إمرأة وبين يديها نوى أو حصى تُسَبِّح ، فقال : أخْبِرُكِ بما أيْسَرُ عليك من هذا : (أو أفضل) : سبحان الله عَدَدَ مَا خَلَق في السماء ، وسبحان الله عَدَدَ ما خلق في الأرض ، وسبحان الله عَدَدَ ما بين ذلك ، وسبحان الله عَدَدَ ما هو خَالِق ، والله أكبَرُ مثْلُ ذلكَ والحمدُ لله مثلُ ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ولا حول ولا قوة إلا باللهَ مثل ذلك } (٢١٨)

(د) ــ وعن أم المؤمنين السيدة صفية رضى الله عنها قالت :

{ دَخَلَ عليّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وبين يدى أربعة آلاف نواة أسبحُ بها ، فقال : لقد سَبَّحْت بهذا ! ألا أعَلِّمُك بأكثرَ مما سبحت بهِ ؟ فقلت : علمْني ، فقال قُولِي سبحان اللهَ عدد خلقه (عدد ما خَلَقَ مِنْ شيءٍ ...) } (٢١٩)

---

(٢١٨) ــ أخرجه أبو داود ، والترمذى وحسنه ، والنسائى ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم وصححه عن سعد ابن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه .
أنظر : الإمام السيوطى ، الحاوى للفتاوى ، المرجع/ ٥٠ ، جزء/٢ ، ص ٢
أنظر : الإمام الشوكانى ، نيل الأوطار ، المرجع/٥٤ ، جزء/٢ ، ص ٣٢٦

(٢١٩) ــ أخرجه الترمذى ، والطبرانى ، والحاكم ، وصححه السيوطى والذهبى عن السيدة صفية ، رضوان الله عليهم أجمعين .
أنظر :المباركفورى ، تحفة الأحوذى ، المرجع/١٣ ، جزء/٩ ، ص٥٤١ـ٥٤٢ ، حديث رقم/٣٦٢٥

(١٦٤) وهذان الحديثان وحدهما يدلان على جواز التسبيح بالسبحة لأنهما ـ وهما حديثان صحيحان مشهود بصحتهما ـ يستفاد منهما ، كما يقول الإمام الشوكاني في شرح منتقى الأخبار لابن تيمية : أنهما :

" يدلان على جواز عد التسبيح بالنوى والحصى وكذا بالسبحة لعدم الفارق (أى لا فرق بين السبحة والنوى والحصى فهى مصنوعة منهما أو أمثالهما) لتقريره صلى الله عليه وسلم للمرأتين على ذلك ، وعدم إنكاره . والإرشاد لما هو أفضل لا ينافى الجواز . وقد وردت بذلك آثار " {٢٢٠}

(١٦٥) وعلى الرغم من كفاية هذا الدليل عند أهل العلم ، على جواز مشروعية استعمال الأنامل ، ومشروعية استعمال النوى أو الحصى أو السبحة ، إلا أن الأخبار وردت فى ذلك أيضا بالآتى :

(هـ) ـ أخرج الإمام أحمد فى الزهد خبرين :

الأول :

{ رَأَيْتُ أبا صفية ، رَجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان خازنا ، فكان يسبحُ بالحصى } {٢٢١}

الثانى :

كان لأبى الدرداء نوى من العَجْوة فى كيس فكان إذا صلى الغداة أخرجَهُنّ واحدةً واحدةً يسبح بِهِنّ حتى ينفذن . {٢٢٢}

(و) ـ أخرج عبد الله بن الإمام أحمد فى زوائد الزهد :

{ أن أبا هريرة رضى الله عنه كان له خَيْطٌ فيه ألفا عقدة ، فلا ينام حتى يسبح به } {٢٢٣}

{٢٢٠} ـ أنظر : الإمام الشوكانى ، نيل الأوطار ، المرجع/ ٥٤ ، جزء/٢ ، ص ٣٢٧ ، مجلد /١

{٢٢١} ـ أنظر : الإمام الشوكانى ، نيل الأوطار ، المرجع/ ٥٤ ، جزء/٢ ، ص ٣٢٧

{٢٢٢} ـ أنظر : الإمام الشوكانى، نيل الأوطار ، المرجع/ ٥٤ ، جزء/١ ، ص٣٢٧

{٢٢٣} ـ أنظر : الإمام الشوكانى، نيل الأوطار ، المرجع/ ٥٤ ، جزء/١ ، ص٣٢٧

(ز) ـ وأخرج الديلمي في مسند الفردوس بسند صحيح عن الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ، مرفوعا :

{ نِعْمَ الْمُذَكِّرُ السُّبْحَةُ } {٢٢٤}

(ح) ـ وأخرج الأمام أبو داود في السنن :
أن رجلا بات عند أبي هريرة رضى الله تعالى عنه فقال :

{ فبينما أنا عندهُ يومًا وهو على سريرٍ له ومعه كيسٌ فيه حصىً أو نوىً ، وأسفلَ منْهُ جاريةٌ سوداءُ ، وهو يسبح بها حتى إذا نفد ما في الكيس ألقاه إليها فأعادته في الكيس فدفعته إليه يسبح } {٢٢٥}

(ط) ـ أخرج الإمام السيوطي في فتواه في السبحة أخبارا كثيرة عن الصحابة والتابعين والسلف الصالح وحملهم للسبحة ، وقال في آخر ذلك :

" فلو لم يكن في اتخاذ السبحة غير موافقة هؤلاء السادة (الذين هم من أئمة أهل السنة والجماعة) والدخول في سلكهم والتماس بركتهم لصارت بهذا الاعتبار من أهم الأمور وآكدها ، فكيف بها وهي مذكرة بالله تعالى " {٢٢٦}

(١٦٦) يقول محمد بن على الشوكاني في نيل الأوطار :

" ولم ينقل عن أحد من السلف ولا من الخلف المنع من جواز عد الذكر بالسبحة " {٢٢٧}

وعند الإمام السيوطي :

" بل كان أكثرهم يعدونه بها ولا يرون ذلك مكروها وقد رؤى بعضهم يعد تسبيحا فقيل له أتعد على الله ؟ قال : لا ولكن أعد له .
والمقصود أن أكثر الذكر المعدود ا لذى جاءت به السنة الشريفة لايتحقق بالأنامل

{٢٢٤} ـ أنظر : الإمام الشوكاني ، نيل الأوطار ، المرجع / ٥٤ ، جزء/٢ ، ص ٣٢٨

{٢٢٥} ـ أنظر : الإمام السيوطي ، الحاوى للفتاوى ، المرجع/ ٥٠ ، جزء/٢ ، ص ٣

{٢٢٦} ـ أنظر : الإمام السيوطي ، الحاوى للفتاوى ، المرجع/ ٥٠ ، جزء/٢ ، ص ٥

{٢٢٧} ـ أنظر : الإمام الشوكاني ، نيل الأوطار ، المرجع / ٥٤ ، جزء/٢ ، ص ٣٢٨

غالبا . ولو أمكن حصره لكان الاشتغال بذلك يذهب الخشوع وهو المراد ، والله أعلم " {٢٢٨}

(ك) ــ وفى شرح الأذكار للإمام النووى :

" إن إستعمالها فى أعداد الأذكار الكثيرة التى يلهى الاشتغال بها والاستغراق فيها ، عن التوجه للذكر ، أفضل من العقد بالأنامل ونحوه . إلى آخر ما ذكر من كلامه فى هذا الشأن " {٢٢٩}

(ل) ــ وقال الإمام بن حجر العسقلانى فى شرح المشكاة :

" ويستفاد من الأمر بالعقد المذكور فى الحديث ، ندب اتخاذ السبحة ، وزعم أنها بدعة غير صحيح ، ألا أن يحمل على تلك الكيفيات التى اخترعها السفهاء للرياء أو اللعب " {٢٣٠}

(م) ــ وقال ابن الجوزى رحمه الله :

" إن السبحة مستحبة ، لما فى حديث صفية أنها كانت تسبح بنوى أو حصى، وقد أقرها صلى الله عليه وسلم فعلها ، والسبحة فى معناها إذ لا يختلف الغرض عن كونها منظومة أو منثورة " {٢٣١}

(١٦٧) ويستحسن هنا أن نشير لأمر نحسبه ذو أهمية عظيمة فى آفاق الفهم الإسلامى . ففى سورة الإسراء يقول الحق سبحانه وتعالى :

{ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وإنْ مِنْ شَئٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ، ولكن لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ـ ٢٧ / الإسراء ٤٤ }

{٢٢٨} ــ أنظر : الإمام السيوطى ، الحاوى للفتاوى ، المرجع/ ٥٠ ، جزء/ ٢ ، ص ٥

{٢٢٩} ــ أنظر : الفتوحات الربانية على الأذكار النووية ، جزء/١ ، ص ٢٥١ ، ٢٥٢
أنظر : موسى محمد على، التوسل والوسيلة ، المرجع/٥٣ ، ص ٣٧٤

{٢٣٠} ــ أنظر : موسى محمد على ، التوسل والوسيلة ، المرجع/ ٥٣ ، ص ٣٧٣

{٢٣١} ــ أنظر : موسى محمد على ، التوسل والوسيلة ، المرجع/ ٥٣ ، ص ٣٧٣ـ٣٧٤

وفى البخارى : عن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

{ كُنَّا نَعُدُّ الآيات بركةً وأنتم تَعُدُّونَهَا تخويفاً ، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فَقَلَّ الماء فقال : أطلبوا فَضْلَةً من ماء ، فجاءوا بإناء فيه ماءٌ قليل ، فأدخل يدَهُ صلى الله عليه وسلم : فى الإناء ثم قال : حَيَّ على الطَّهُور المبارك، والبركة من الله ، فقد رأيتُ الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤْكَل } {٢٣٢}

وفى مسلم وأحمد والترمذى :

{ إنِّى لأعْرِفُ حَجَراً بِمَكَّةَ كان يُسَلِّمُ علىَّ قبل أن أبعثَ انى لأعرِفُه الآنَ } {٢٣٣}

وفى البخارى أيضا : عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال :

{ كان السجد مسقوفاً على جذوع من نخل فكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صنع له المنبر فكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكتت } {٢٣٤}

{٢٣٢}ـ أخرجه الإمام البخارى ،

أنظر : بن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، المرجع/ ١١ ، جزء/٦ ، ص ٥٨٧ ، حديث رقم/٣٥٧٩

{٢٣٣} ـ أخرجه الإمام مسلم واللفظ له والإمام أحمد ، والترمذى ، وقال حسن صحيح ، عن جابر بن سمرة رضى الله تعالى عنه واللفظ لمسلم .

أنظر : الإمام السيوطى ، الجامع الصغير ، المرجع/٢٤ ، جزء/١ ، ص ١٠٥

أنظر : الإمام النووى ، صحيح مسلم ،المرجع/١٢ ، جزء/١٥ ،ص ٣٦ ، مجلد/ ٥ ، باب الفضائل

{٢٣٤} ـأخرجه الإمام البخارى .

أنظر : بن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، المرجع /١٢ ، جزء/٦،ص ٦٠٢ ، حديث رقم/٣٥٨٥

وأخرجه بروايتين آخرتين ، عن ابن عمر رضى الله عنهما .

أنظر : بن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، المرجع/ ١١ ، جزء/ ٦ ، ص ٦٠١ ، حديث رقم/٣٥٨٣

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أيضا .

أنظر : بن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، المرجع/١١ ، جزء/ ٦ ، ص ٦٠١ ، حديث رقم/ ٣٥٨٤

فمن هذه الآية وأمثالها ، ومن الأحاديث الشريفة ، يظهر أن للجماد حياة خاصة به وأن كما قال - الخلاق العليم الحكيم - يسبح ولكن لا نفقه تسبيحه .
وقد خرجت أحاديث وأخبار صحيحة بالغة الكثرة فى تسبيح الآنية ، والحصى. . . الخ فى الستة الصحاح ، وعند الإمام أحمد فى الزهد ، وفى كثير غيرهم .
ومن ثم يمكننا القول بأن الذى يسبح على السبحة ، أو على حصى أو نوى ، تكون هذه السبحة أو الحصى أيضا تسبح فى يده .

وتجب الإشارة هنا إلى أن المسبح على السبحة إنما يسبح بالأنامل أيضا ، كما أشير فى الحديث ، وإن لم يكن بإستخدام الأنامل كلها .

(١٦٨) فخلاصة القول أن التسبيح على الأنامل والتسبيح على المسبحة كله جائز مشروع .
وأن من أهل العلم من يرى أن التسبيح على الأنامل أفضل ، ومنهم - كما ذكر عن ابن حجر العسقلانى والسيوطي وغيرهما - يرون أن استعمال السبحة ليس فقط جائز بل مندوب شرعا . والله تعالى أعلم .

سادسا
الحركة الجسمانية فى الذكر

(١٦٩) وهنا أيضا تكثر الأقاويل عما يجوز ولا يجوز فى ذكر الله تعالى وقال البعض ، كما قال محقق كتاب الترغيب والترهيب ، فى عبارات مخجله لانملك إلا أن يأسف لصدورها ممن ينتسبون لأهل الدين والعلم: يقول :

" وليس المراد بمجالس الذكر تلك التى يقيمها أرباب الطرق الصوفية فيؤدون فيها رقصات توقيعية على أصوات النشدين والمنشدات وأصوات المعازف ويصيحون فيها صيحات منكرة ويصفقون ويصفرون كما قال الله تعالى عن صلاة أهل الجاهلية : (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) والمكاء هو الصفير والتصدية التصفيق . فهذه المجالس بدعة شيطانية ليس فيها ذكر لله ولكن فيها استهزاء بالله عز وجل واجتراء عليه فإن أحدنا لو ذكر اسمه ذاكر مع التغنى والصياح والرقص لعد ذلك إهانة له واستخفافا به فكيف يليق أن يذكر الله بتلك الحركات الهستيرية والصيحات المجونية .

وإنما المراد بمجالس الذكر تلك التى يتلى فيها كتاب الله عز وجل ويتدارس وتعدد فيها آلاء الله ويثنى عليه فيها بما هو أهله ويذكر فيها وعد الله ووعيده وأسماؤه وصفاته " {٢٣٥}

(١٧٠) وقد ناقشت هذا القول فى أولا باب (هل المقصود بالذكر دراسة العلم) {٢٣٦} : وليدافع أهل الطرق الصوفية عن أنفسهم إزاء مثل هذه الإتهامات الجزافية الخطيرة .

بل وهناك ما هو أشنع وأقذع من ذلك ، كتبه هذا الرجل : إذ يقول فى تعليقه على حديث البخارى ومسلم المتفق على صحته عن الملائكة التى تحف حلق الذكر وترجع إلى ربها فيسألها ... الخ {٢٣٧}

يقول فى الهامشين رقم ٢، ٥ ، عند ذكر " يسألونك جنتك " و يعوذون بك من النار " ما نصه :

{٢٣٥} ـ أنظر : هامش الترغيب والترهيب ، المرجع/٢٦ ، جزء/ ٢ ، ص ٦٧٤

{٢٣٦} ـ أنظر : بند رقم /١٤٢ ، من هذا الكتيب .

{٢٣٧} ـ الحديث بتمامه ذكرناه فى ص ١٥٨ ، ١٥٩من هذا الكتيب وهو فى البخارى ، وفى مسلم .

هامش (٢) : ـ ولكن الصوفية الجاهلين لا يسألون الله الجنة لأنهم كما يزعمون ، لا يريدون أن يكونوا تجارا مع الله . {٢٣٨}

هامش (٥) : ـ والصوفية أيضا لا يخافون من النار لأنه لا يخاف من العقاب في زعمهم إلا الأطفال فنسأل الله أن يذيقهم عذابها ، وأن يحرقهم بسعيرها حتى يعلموا أنها حق ، وأن عذاب الله شديد . {٢٣٩}

(أستغفر الله العظيم ...اللهم انا نبرأ إليك من الدعاء على المسلمين بالحرق فى السعير ... سبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله) .

ونحن نذكر هذه الأقوال ونشير إليها ، لأننا كما لا نقبل الانحراف عن الكتاب والسنة لا نقبل أيضا هذه العبارات والألفاظ ، ولا هذا اللامنطق والافتراء على المسلمين .

(١٧١) ولكن الذى يعنينا هنا ما يشير إليه بأنه " إستهزاء بالله وإجتراء عليه ، لأن أحدنا لو ذكر اسمه ذاكر مع التغنى والصياح والرقص لعد ذلك إهانة له وإستخفافا به " لأن هذا القول والمنطق منتشر بين كثير من الشباب هذه الأيام . ولا تؤيده وقائع السنة ولا أقوال الصحابة :

أولا : أخرج الإمام أحمد فى المسند عن أنس رضى الله عنه :

{ كانت الحبشة يرقصون بين يَدَيْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون بكلام لهم : مُحَمَّدٌ عَبْدٌ صَالِح ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم ماذا يقولون ؟ فقيل أنهم يقولون محمد عبد صالح ، فلما رآهم فى تلك الحالة لم يُنْكِر عليهم وَأَقَرَّهُم على ذلك } {٢٤٠}

فالظاهر من هذا الحديث أنه صلى الله عليه وسلم لم ير فى ذلك رأى السيد المعلق مع أن هؤلاء كانوا يتغنون ويرقصون .

{٢٣٨} ـ أنظر : هامش الترغيب والترهيب ، المرجع/٢٦ ، جزء/ ٢ ، ص ٦٧٢
{٢٣٩} ـ أنظر : هامش الترغيب والترهيب ، المرجع/٢٦ ، جزء/ ٢ ، ص ٦٧٢
{٢٤٠} ـ أنظر : مسند الإمام أحمد ، المرجع/١٦ ، جزء/ ٣ ، مجلد/٣ ، ص ١٥٢
أنظر : موسى محمد على ، التوسل والوسيلة ، المرجع/ ٥٣ ، ص ٣٤٣

وإقراره لهم - كما نعلم جميعا - سنه فهو لا يرى باطلا ويسكت عنه . والساكت عن الحق شيطان أخرس .

(١٧٢)

ثانيا - يقول الإمام ابن تيمية :

" وما يحصل عند السماع والذكر المشروع من وجل القلوب ، دمع العين ، واقشعرار الجسوم ، فهذا أفضل الأحوال التى نطق بها الكتاب والسنة ، وأما الاضطراب الشديد والغشى والموت والصيحات ، فهذا إن كان صاحبه مغلوبا عليه لم يلم عليه ، كما قد كان يكون فى التابعين ومن بعدهم .
فإن منشأه قوة الوارد على القلب مع ضعف القلب ، والقوة والتمكن أفضل كما هو حال النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة . " {٢٤١}

(١٧٣)

ثالثا - وقال الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه ، برواية أبو أراكه :

" صليت معَ عَلى صلاةَ الفجر فما انْفَتَلَ عَلِى يمينه مكث كأن عليه كآبةٌ ، حتى إذا كانت الشمسُ على حائط المسجد قَيْدُ رمحٍ صلى ركعتين ثم قلب يده فقال : والله لقد رأيتُ أصحابَ محمد صلى الله عليه وسلم فما أرى اليوم شيئاً يُشْبِهُهُمْ : لقد كانوا يُصْبِحُون صفراً شُعْثاً غُبْراً ، وبين أيديهم كأمْثَالُ ركب المعزَى : قد باتوا لله سجدًا وقياما ، يتلُونَ كتابَ الله ، يتراوحُون بين جِبَاهِهِمْ وأقدامَهُمْ : فإذا أصبحوا فذكروا الله مَادُوا كما يَميدُ الشجرُ فى يوم الريح ، وهملَتْ أعينهم حتى تنبل والله ثياتهم . " {٢٤٢}

(١٧٤)

رابعا - وقال سلطان علماء الحنفية/ العلامة ابن عابدين فى رسالته شفاء العليل :

" ولا كلام لنا مع الصدّق من سادتنا الصوفية المبرأين من كل خصلة ردية ، فقد سئل إمام الطائفتين سيدنا الجنيد : أن قوما يتواجدون ويتمايلون ؟ فقال:

{٢٤١} - أنظر : ابن تيمية ، الفتاوى ، المرجع/ ٤٥ ، جزء/ ١ ، ص ٢٢١ ، فتوى رقم / ١٧٢

{٢٤٢} - أنظر : موسى محمد على، التوسل والوسيلة ، المرجع/ ٥٣ ، ص ٣٤٤

(دعوهم مع الله تعالى يفرحون ، فإنهم قوم قطعت الطريق أكبادهم ومزق النصب فؤادهم ، وضاقوا ذرعا فلا حرج عليهم إذا تنفسوا مداواة لحالهم ، ولو ذقت مذاقهم عذرتهم) .

فالرقصة فيما ذكر من الأوضاع ، عند الذكر والسماع للعارفين الصارفين أوقاتهم إلى أحسن الأعمال السالكين ، المالكين لضبط أنفسهم عن قبائح الأحوال ، فهم لا يسمعون إلا من الله ولا يشتاقون إلا لله تعالى .

ان ذكروه ناحوا ، وان شكروه باحوا ، وان وجدوه صاحوا ، وان شهدوه استراحوا ، وان سرحوا فى حضرات قربه ساحوا .

فمنهم من طرقته طوارق الهيبة فخر وذاب .

ومنهم من برقت له بوارق اللطف فتحرك وطلب .

ومنهم من طلع عليهم الحب من مطلب القرب فسكر وغاب .

ثم قال رضى الله عنه : ولا كلام لنا مع من اقتدى بهم ، وذاق من مشربهم، ووجد من نفسه الشوق والهيام فى ذات الملك العلام ، بل كلامنا مع هؤلاء العوام الفسقة اللئام " {٢٤٣}

(١٧٥)

خامسا — فى تفسير الألوسى : أن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعمرو بن الزبير بن العوام ، وجماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رضوان الله عليهم أجمعين :

" أنهم خرجوا يوم العيد إلى المصلى، فجعلوا يذكرون الله تعالى : فقال بعضهم : أما قال الله تعالى : " يذكرون الله قياما وقعودا ... الآية " فقاموا يذكرون الله تعالى على أقدامهم ، ومرادهم بذلك التبرك بنوع موافق للآية فى ضمن فرد من أفراد مدلولها . " {٢٤٤}

وذلك فى الصلاة وغير الصلاة . {٢٤٥}

(١٧٩) ويفهم من كل ما سبق أن الحركة فى الذكر مباحة شرعا . والواقع أن الأمر بالذكر مطلق لم يحدد له كيفية

{٢٤٣} ـ أنظر : موسى محمد على، التوسل والوسيلة ، المرجع/ ٥٣ ، ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥

{٢٤٤} ـ أنظر : الإمام الألوسى ، التفسير ، المرجع/ ٧ ، جزء/٤ ، مجلد/٢ ، ص١٥٨

{٢٤٥} ـ أنظر : ابن جرير الطبرى ، التفسير ، المرجع/ ١ ، جزء/ ٤ ، مجلد/٣ ، ص . ١٤

كيفية معينة كما ورد فى الحديث عن السيدة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : قالت :

{ كان صلى الله عليه وسلم يذكر الله تعالى على كل أحيانه } [٢٤٦]

فعلى الذى يرغب فى تحريم أو تجريم أو تبديع بعض حالات وكيفيات الذكر أن يأتى هو بالدليل . فليست أحكام الدين تنبنى على ميله أو ظنه أو استخفافه بأن الحركة فى الذكر أو مع الذكر استهزاء بالله واجتراء عليه . فالظن ليس مصدرا من مصادر الشريعة الإسلامية :

{ أَنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الحَقِ شيئا ـ ١٠ / يونس ٣٦ }

(١٧٦)

سادسا ـ المتتبع لآيات الكتاب الحكيم على طريق التدبر والتفكر يجد أن الله تعالى قرن الخشية بحالة إضطراب المشاعر والأحاسيس فقال الله تعالى :

{ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم ـ ٣٩ / الزمر ٢٣ }

فإذا ما وافانا العلم الحديث بأن مراكز الإحساس تقع مباشرة تحت الجلد تبين مدى التفاعل الحقيقى على مستوى الشعور والإدراك الحسى بين المؤمنين الذين يخشون ربهم وبين كلامه تعالى .

(١٧٨) وفى نفس الوقت يقرن الله تعالى بين الخشية وبين تصدع الجبال فيقول تعالى :

{ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا القُرآنَ عَلَى جَبَلٍ لرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ـ ٥٩/ الحشر ٢١ }

فحالة الخشية عند المؤمنين أنتجت حركة قشعريرة بينما أنتجت نفس الحالة خشوع وتصدع بالنسبة للجبل .
وأضف إلى ذلك تجلى الأنوار للجبل قال تعالى :

{ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا ـ ٧/ الأعراف ١٤٣}

---

[٢٤٦] ـ سبق تخريجه ، أنظر : هامش رقم /١١٣ ، بند رقم / ١١٢

فالواضح أن القشعريرة هى الملائمة أو المناسبة لنوع حياة البشر المؤمنين (نوعية مستوى الخلق الخاص بهم) وأن حالة السكون والخشوع والتصدع منسجمة مع مستوى الخلق الذى يندرج تحته الجبل .
أما الذين لم يتحققوا بهذه الحالة أو تلك فقد وصفهم المولى بقوله :

- { أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها - ٤٧ /محمد ٢٤ }

- { كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين - ١٥/ الحجر ١٢ }

(١٧٩) هذا كله فيما يتعلق بالقرآن الكريم وأثره فى المشاعر . فإذا اعتبرنا حقيقة أن القرآن والذكر يشتركان فى وجوب معيته سبحانه وتعالى : فقد قال فى الذكر :

{ أنا جليس من ذكرنى } {٢٤٧}

والقرآن الكريم كلام الله ومن يقرأه فهو يسمع الله سبحانه وتعالى فهو مستحضر لوجوده معه . واشتراك القرآن والذكر فى هذه الخاصية يستتبعها ولو بدرجة مختلفة إشتراكها فى الأثر على القلوب .

ودعنا نعيش مع حقيقة كونية يقررها سبحانه وتعالى حين يقول :

{ وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر ا لسحاب - ٢٧/ ا لنمل ٨٨}

هنا نلحظ أن إنفعال الجبال بنزول القرآن الذى نقلها من حالة الحركة (مر السحاب) إلى حالة السكون (خاشعا متصدعا) إنما يوازيه إنتقال المؤمن من حالة السكون إلى حالة الحركة . ولا شك أن حركة الإنسان هى فرع الحياة وخاصية لا تنفصل عن النوع الإنسانى والحيوانى . والحياة تأثير وتأثر والحياة فعل ورد فعل .

والأثر فى الإنفعال بالمؤثر يعتمد جزئيا على :

(أ) ــ مقدار المؤثر ، وهو جد عظيم فى هذه الحالة (القرآن)

(ب) ــ قدرة تحمل المؤثر فيه (الإنسان ، الجبل)

(جـ) ــ درجة إستجابة المؤثر فيه للمؤثر .

{٢٤٧} ــ سبق تخريجه : أنظر : بند رقم/١٠١ ، هامش رقم/١٠١

فأما مقدار المؤثر فلا يوجد أدنى شك فيه فتلاوة كتاب الله أو ذكره بأسمائه أمر عظيم .

وأما قدرة تحمل المؤثر فيه فهى مما فطره الله فى الإنسان والجبال والكون كله . وقال تعالى :

{ يريدُ اللهُ أنْ يُخفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإنْسَانُ ضَعِيفًا ـ ٤/ النساء ٢٨ }

وأما درجة إستجابة المؤثر فيه للمؤثر فهى التى قد يعتريها عوامل تطمس الفطرة السليمة وتقلل من تفاعلها مع الحق فترى المؤمنين :

{ الذينَ إِذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُم ـ ٢٢ الحج ٣٥ }

وترى أولئك الذين يسمعون كلام الله ويلغون فيه ، ويا حسرة على العباد .

(١٨٠) وورد فى الشرع حدوث حركات كثيرة مع العبادة أو فى غير محل العبادة .

ـ فالهرولة أثناء الطواف فى الحج حركة جسمانية منشؤها أصلا حالة الشفقة الشديدة من السيدة هاجر على ولدها وهى حالة قلبية إنعكس أثرها على الجوارح فلم يعب هذا العمل بل اتخذ منسكا وشعيرة تعبدية .

ـ وحركة الخيلاء . ففى إحدى الغزوات امتطى صحابى يسمى أبو دجانة ظهر جواده وأخذ يسير شامخا متبخترا مختالا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم :

{ انها لمشْيَةٌ يبغضُهَا الله إلا فى هذا الموطن } {٢٤٨}

فحركة الخيلاء الناشئة عن الحمية القلبية فى الجهاد أقرها الرسول عليه الصلاة والسلام .

---

(٢٤٨) ـ أنظر : سبل الهدى والرشاد ، المرجع / ٦٠ ، جزء/ ٤ ، ص ٢٨٥

وقليل من الإدراك يظهر أن الشعور بمعية الله تعالى فى الذكر (**أنا جليس من ذكرنى**) ليس أبدا أقل شأنا من شعور الشفقة على الولد أو شعور الحمية للجهاد ؟
أم أن هناك من الناس من انطمست فطرته وأصبح لا يشعر إلا بما يباشر حواسه الظاهرة ؟

لا غرو فقد سيطرت روح الغرب البعيدة عن الغيبيات على مجتمعاتنا الإسلامية ، فزعزت أصول الإيمان فى القلوب . وجعلت من الناس عبيد العبادة الظاهرة لا يفكرون إلا فيها ولا يقصدون غيرها ويحسبون أنهم يحافظون على نقاء الإسلام ويحسبون أنهم يحسنون صنعا .

ويريد بعض أهل الغلظة وقساوة القلب والطباع أن يفرضوا منطقهم وحالهم على الناس : كذلك الأعرابى الذى جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : تُقَبِّلون الصبيان فما نُقَبِّلهم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

{ أَوَ أَمْلِكُ لَكَ إِنْ نَزَعَ الله من قلبِكَ الرحمةَ } (٢٤٩)

فما الذى يعيبونه حقيقة على أهل القلوب الحية : أيعيبون عليهم أن قلوبهم معلقة بنور ربها فإذا ذكر الله مادوا كما تميد الشجر فى الريح . كما يقول الإمام على كرم الله وجهه .
وما الذى يريدون ؟ أيريدون من المؤمن أن يكون صلبا كالحجر ؟

{ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً . وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ - ٢/ البقرة ٧٤ }

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

---

(٢٤٩) ـ أخرجه الإمام أحمد فى المسند ، وبن ماجه ، والإمام البخارى ، والإمام مسلم عن السيدة عائشة رضى الله عنها .
أنظر : بن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، المرجع/١١، جزء/١٠ ، ص ٤٢٦ ،حديث رقم /٥٩٩٨
أنظر : الإمام النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع/ ٢٥، جزء / ١ ، ص ٤٦١

الفصل السابع

(أ) ـ تلاوة القرآن المجيد :

قال الله تعالى :

{ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ـ / محمد ٢٤ }

{ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ـ / الزمر ٢٣ }

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ خيركم من تعلم القرآن وعلمه } {٢٥٠}

{ أقرءوا القرآن فانه يأتي يوم القيامه شفيعاً لاصحابه } {٢٥١}

{من قرأ القرآن فله بكل حرف حسنة والحسنة بعشر امثالها } {٢٥٢}

{ الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به ، مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق فله أجران } {٢٥٣}

{٢٥٠} ـ البخارى ومسلم وأهل السنن .
أنظر : إبن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، مرجع /١١ ، جزء / ٩ ، ص ٧٤ ، حديث ٥٠٢٧ .

{٢٥١} ـ أخرجه الإمام مسلم ، وأخرج بن حبان معناه .
أنظر : النووى ، صحيح مسلم ، مرجع /١٢ ، جزء / ٦ ، مجلد ٢ ، ص ٩٠ .

{٢٥٢} ـ أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، وفى الباب أحاديث كثيرة .
أنظر: تحفة الأحوذى ، المباركفورى ، مرجع/١٣ ، جزء/٨ ، ص ٢٢٦ ، حديث رقم/٣٠٧٥

{٢٥٣} ـ أخرجه البخارى ومسلم ، وأهل السنن .
أنظر : سنن ابن ماجه ، مرجع/١٤ ، جزء/٢ ، ص ١٢٤٢، حديث ٣٧٧٩

فضائل بعض السور والآيات :

* (١) الفاتحة :

{ أعظم سورة فى القرآن ، وهى السبع المثانى والقرآن العظيم } {٢٥٤}

{ أعطيت فاتحه الكتاب من تحت العرش }. {٢٥٥}

{ بينما جبريل قاعداً عند النبى صلى الله علية وسلم سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه ، فقال هذا ملك نزل الأرض لم ينزل قط ، فسلم ، فقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك : فاتحه الكتاب وخواتيم سوره البقره لن تقرآ بحرف منهما ولا أعطيته }. {٢٥٦}

* (٢) سورة البقرة :

{ إن الشيطان ينفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة } {٢٥٧}

{ أقرءوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة } {٢٥٨}

{٢٥٤} ـ أخرجه البخارى ، وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم .
أنظر : ابن حجرالعسقلانى فتح البارى ، مرجع/٩ ، ص ٥٤ ، حديث ٦..٥

{٢٥٥} ـ الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الإسناد .
أنظر : الحاكم ، المستدرك ، مرجع/ ، جزء/١ ، ص ٥٥٩.

{٢٥٦} ـ أخرجه الإمام مسلم والنسائى والحاكم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .
أنظر : النووى ، مرجع/ ، جزء/٦ ، ص ٩١ ، المجلد/٢.

{٢٥٧} ـ أخرجه الإمام مسلم والحاكم وصححه عن ابن عباس .
أنظر : النووى ، صحيح مسلم ، مرجع/ ، جزء/٦ ، ص ٦٨ ، مجلد/٢

{٢٥٨} ـ أخرجه الإمام مسلم .
أنظر : النووى ، صحيح مسلم ، مرجع/ ، جزء/٦ ، ص ٩٠ ، مجلد ٢

{ لكل شيء سنام ، وسنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هى سيدة آى القرآن ... آية الكرسى } {٢٥٩}

{ أقرأوا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران ، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان ، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما } {٢٦٠}

* آية الكرسى :

{ هى أعظم آية فى كتاب الله } {٢٦١}

{ هى سيدة آى القرآن } {٢٦٢}

* خواتيم البقرة :

{ الآيتان من آخر سورة البقرة : آمن الرسول إلى آخرها لا يقرآن فى دار ثلاث ليال فيقربها شيطان } {٢٦٣}

{ من قرأهما فى ليلة كفتاه } {٢٦٤}

{٢٥٩} ـ الترمذى وابن حبان والحاكم فى المستدرك .
أنظر : المباركفورى ، تحفة الأحوذى ، مرجع/١٣ ، جزء/٨ ، ص ١٨١ ، حديث ٣٠٣٨

{٢٦٠} ـ أخرجه الإمام مسلم وأهل السنن .
أنظر : النووى ، صحيح مسلم ، مرجع/١٢ ، جزء/٦ ، ص ٩٠ ، مجلد/٢

{٢٦١} ـ الإمام مسلم والإمام أحمد ، وأبو داود ، وابن أبى شيبة .
أنظر : النووى ، صحيح مسلم ، مرجع/ ١٢ ، جزء/٦ ، مجلد/٢ ، ص ٩٣

{٢٦٢} ـ أخرجه ابن حبان وصححه الترمذى ، والحاكم وقال صحيح الإسناد .
أنظر : المباركفورى ، تحفة الأحوذى ، مرجع/ ١٣ ، جزء/٨ ، ص ١٨١حديث ٣٠٣٨

{٢٦٣} ـ أخرجه الترمذى وابن حبان والنسائى والحاكم من حديث النعمان ابن بشير .
أنظر : المباركفورى ، تحفة الأحوذى ، مرجع/١٣، جزء/٨ ، ص ١٨٩ ، ١٩٠ ، حديث ٣٠٤٤

{٢٦٤} ـ أخرجه الجماعة البخارى ومسلم وأهل السنن الأربع .
أنظر : ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، مرجع/١١ ، جزء/٩ ، ص ٥٥ ، حديث ٥٠٠٩

* يس :

{ قلب القرآن يس لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له ، إقرؤها على موتاكم } {٢٦٥}

* الفتح :

{ الفتح أحب إلى مما طلعت عليه الشمس } {٢٦٦}

* الملك :

{ تبارك الملك ثلاثون آية : شفعت لرجل حتى غفر له } {٢٦٧}

تستغفر لصاحبها حتى يغفر له } {٢٦٨}

* الكافرون :

{ الكافرون : ربع القرآن . } {٢٦٩} { تعدل ربع القرآن } {٢٧٠}

{٢٦٥} ـ النسائى ، وأبوداود ، وابن ماجة والترمذى وابن حبان والطبرانى فى الأوسط وفى الصغير .
أنظر : ابن ماجه ، السنن ، المرجع/١٤ ، الجزء الأول ، ص ٤٦٦ ، حديث ١٤٤٨

{٢٦٦} ـ البخارى والترمذى والنسائى .
أنظر : المباركفورى ، تحفة الأحوذى ، المرجع/١٣، جزء/٩ ، ص١٤٧ ، حديث رقم/ ٣٣١٥

{٢٦٧ . ٢٦٨} ـ أبو داود والترمذى وابن ماجة والنسائى وابن حبان والحاكم فى المستدرك .
أنظر : المباركفورى ، تحفة الأحوذى ، المرجع/١٣ ، جزء/٨ ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١
حديث رقم/ ٣٠٥٣
أنظر :الشوكانى ، تحفة الذاكرين ، المرجع/ ٣٠ ، ص ٢٧٢

{٢٦٩ . ٢٧٠} ـ الترمذى والحاكم وصححاه من حديث أنس وابن عباس .
أنظر : المباركفورى ، تحفة الأحوذى ، المرجع/ ١٣ ، جزء/٨ ، ص ٢٠٣ ، حديث ٣٠٥٧

* الإخلاص :

{ قل هو الله أحد ثلث القرآن } {٢٧١}

{ تعدل ثلث القرآن } {٢٧٢}

* المعوذات :

{ ألا أعلمك خير سورتين قرئتا } {٢٧٣}

{ ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط ؟ قل أعوذ برب الفلق ، قل أعوذ برب الناس. } {٢٧٤}

{ وكان يتعوذ من الجان ، وعين الإنسان ، حتى الإنسان ، حتى نزلتا أخذ بهما ، وترك ما سواهما } {٢٧٥}

(ب) أسماء الله الحسنى :

ـ أسماء الله الحسنى أمرنا بالدعاء بها ، { ومن أحصاها دخل الجنة }

و { لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة } {٢٧٦}

{٢٧١ . ٢٧٢} ـ البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى ، وابن ماجه .

أنظر: بن حجر العسقلانى، فتح البارى ، المرجع/١١، جزء/٩، ص ٥٩ ، حديث ٥٠١٣ ـ ٥٠١٥

{٢٧٣} ـ أبو داود والنسائى وابن حبان والحاكم والطبرانى على أختلاف فى اللفظ .

أنظر : ابن حسام الدين ، الكنز ، مرجع/٢٨ ، الجزء/١ ، ص ٥٨٨ ، حديث ٢٦٧٧

{٢٧٤} ـ مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه وأبو داود .

أنظر : النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/١٢ ، جزء/٦ ، ص ٩٦

{٢٧٥} ـ الترمذى والنسائى وابن ماجه .

أنظر : سنن ابن ماجة ، المرجع/ ١٤ ، جزء/٢ ، ص ١١٦١ ، حديث رقم/٣٥١١

{٢٧٦} ـ البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن جريروابن حاتم والطبرانى وأبو نعيم والبيهقى.

أنظر : بن حجر العسقلانى، فتح البارى ، مرجع/١١، جزء/١١ ، ص ٢١٤، حديث رقم/ ٦٤١٠.

ـ إن لله تسعة وتسعين إسماً ، من أحصاها دخل الجنة .

ـ { هو الله الذى لا اله إلا هو ، الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارىء ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلى ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوى ، المتين ، الولى، الحميد ، المحصى ، المبدىء ، المعيد ، المحيى ، المميت، الحى ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الأحد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالى ، المتعالى ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو، الرؤف ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغنى ، المانع الضار ، النافع ، النور ، الهادى ، البديع ، الباقى ، الوارث ، الرشيد ، الصبور } {٢٧٧}

(هـ) ـ الصلاة والسلام على رسول الله :

قال صلى الله عليه وسلم :

{ ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة للثواب } {٢٧٨}

{٢٧٧} ـ أخرجه الترمذى وابن حبان والحاكم والبيهقى عن أبى هريرة .

أنظر : ابن حسام الدين الهندى ، الكنز، المرجع/ ٢٨، الجزء/١ ، ص ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، حديث رقم/١٩٣٧

أنظر : المباركفورى ، تحفة الأحوذى ، المرجع/١٣ ، جزء/٩ ، ص ٤٨٢ ، ٤٨٩ ، حديث رقم/٣٥٧٤

{٢٧٨} ـ الترمذى وأبو داود وابن حبان ، والإمام أحمد فى المسند ، والحاكم وصححه على شرط البخارى .

أنظر : المباركفورى ، تحفة الأحوذى ، المرجع/١٣ ، جزء/٩ ، ص ٣٢٢ ، حديث رقم/ ٣٤٤٠.

{ إن أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة } {٢٧٩}

{ رغم أنف رجل ذكرت عنده ، فلم يصل على } {٢٨٠}

{من صلى على واحدة صلى الله عليه عشراً } {٢٨١}

{ أتانى ملك فقال يامحمد : إن الله يقول أما يرضيك أنه لا يصلى عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشراً ، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشراً } {٢٨٢}

{ إن لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغونى عن أمتى السلام } {٢٨٣}

{ ما من أحد يسلم علىّ إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام } {٢٨٤}

{ من صلى على واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات {٢٨٥}
وكتبت {٢٨٦} له عشر حسنات {٢٨٧}

{٢٧٩} ـ الترمذى وأبو داود وابن حبان وحسنه الشوكانى .
أنظر : الشوكانى ، تحفة الذاكرين ، المرجع/ ٣٠ ، ص ٢٤
أنظر :الحافظ المنذرى ، الترغيب والترهيب ، المرجع/٢٦ ، الجزء الثانى ، ص ٨٥٢

{٢٨٠} ـ الترمذى وابن حبان والحاكم ، وله شواهد كثيرة ذكرها ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى .
أنظر : المباركفورى ، تحفة الأحوذى ، المرجع/ ١٣ ، ج/٩ ، ص ٥٣٠ ، حديث رقم/٣٦١٣

{٢٨١} ـ مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان .
أنظر : النووى صحيح مسلم ، المرجع/ ١٢ ، جزء/٤ ، ص ٨٥ ، مجلد/٢

{٢٨٢} ـ النسائى وابن حبان ، والإمام أحمد فى المسند ، الطبرانى فى الأوسط .
أنظر : النسائى ، السنن ، المرجع/١٥ ، جزء/٣ ، ص ٥٠

{٢٨٣} ـ النسائى وابن حبان والحاكم والإمام أحمد والطبرانى ، وصححه الحاكم والذهبى وابن حجر .
أنظر : النسائى ، السنن ، المرجع/ ١٥ ، جزء/ ٣ ، ص ٤٣

{٢٨٤} ـ أبو داود وأحمد والبزار وابن حبان ، صححه الإمام النووى ، والإمام ابن حجر .
أنظر : النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع/٢٥ ، جزء/٣ ، ص ١٠٣

{٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧} ـ النسائى وابن حبان والطبرانى ، وأحمد والبخارى فى الأدب والحاكم فى المستدرك ، وصححه الذهبى وابن حبان والإمام ابن حجر العسقلانى .
أنظر : النسائى ، السنن ، المرجع/١٥ ، جزء/٣ ، ص ٥٠

{ من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل : اللهم صلى على محمد النبى الأمى {٢٨٨} وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كماصليت على إبراهيم {٢٨٩} وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد {٢٩.}

{ من صلى على محمد فقال : اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة ، وجبت له شفاعتى } {٢٩١}

ـ { أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة فإن صلاتكم معروضة على } {٢٩٢}

(د)ـــ الإستغفار : ـ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم } {٢٩٣}

{ من قال :أستغفر الله الذى لاإله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ، غفر له ، وإن كان قد فر من الزحف {٢٩٤} (ثلاث مرات) {٢٩٥ } (أو خمس مرات) غفرله ، وإن كان عليه زبد البحر } {٢٩٦}

{٢٨٨ . ٢٨٩ . ٢٩.} ـ حديث أصله ثابت فى البخارى ومسلم وجميع كتب الحديث الأمهات الست . من دون قوله "من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى" فقد تفرد بذلك مسلم وأبو داود .

أنظر : الشوكانى ، تحفة الذاكرين ، المرجع/ ٣. ، ص ٢٩

أنظر : بن حسام الدين الهندى ، الكنز ، المرجع/٢٨، جزء/ ١ ، ص٤٩٣ ، حديث رقم/٢١٧٥

أنظر : النبهانى ، الفتح الكبير ، مرجع/ ، جزء/٣ ، ص ١٩٨

{٢٩١} ـ الإمام أحمد والبزار والطبرانى وصححه الذهبى والمنذرى وغيرهما .

أنظر : الحافظ المنذرى ، الترغيب والترهيب ، المرجع/ ٢٦ ، الجزء الثانى ، ص ٨٦١.

{٢٩٢} ـ أبو داود وابن حبان وأحمد والحاكم .

أنظر : الحاكم ، المستدرك ، المرجع/١٨ ، جزء/١ ، ص ٢٧٨

{٢٩٣} ـ أخرجه الإمام مسلم ، وشواهده لا تحصى كما يقول ابن حجر العسقلانى .

أنظر : النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/١٢ ، جزء/١٧، ص ٦٥

{٢٩٤-٢٩٥-٢٩٦} ـ أخرجه أبو داود ، والترمذى ، وابن حبان وابن أبى شيبة حديث حسن .

أنظر : المباركفورى ، تحفة الأحوذى ، المرجع/١٣، جزء/ ١. ، ص٣١ ، حديث/ ٣٦٤٨

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ أنى لاستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم سبعين مرة } {٢٩٧}
(أكثر من سبعين مرة) {٢٩٨} (مائة مرة) {٢٩٩}

{ أنه ليغان على قلبى ، وإنى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة } {٣٠٠}

{ سيد الإستغفار أن يقول : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما أستطعت أعوذ بك من شر ماصنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فأغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت } {٣٠١}

(هـ)ـ التهليل والتسبيح والتكبير والحوقله

قال صلى الله عليه وسلم :

ـ { لا إله إلا الله أفضل الذكر ، وهى أفضل الحسنات } {٣٠٢}

ـ { أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قالها خالصاً من قلبه } {٣٠٣}

{٢٩٧} ـ الطبرانى فى الكبير والأوسط .
أنظر : النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع/٢٥ ، جزء/١ ، ص ٤٥٦ ـ ٤٥٧

{٢٩٨} ـ أخرجه الإمام البخارى .
أنظر : ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، المرجع/١١، جزء/١١، ص ١٠١، حديث رقم/٦٣٠٧

{٢٩٩} ـ أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط وابن أبى شيبة وابن ماجه .
أنظر : سنن ابن ماجه ، المرجع/١٤ ، جزء/٢ ، ص ١٢٥٤ ، حديث رقم/٣٨١٥

{٣٠٠} ـ أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ، ومسلم وأبو داود ، والنسائى .
أنظر : النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/١٢ ، جزء/١٧ ، ص ٢٣

{٣٠١} ـ أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ، والبخارى ، والنسائى .
أنظر : بن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، المرجع/١١، جزء/١١، ص ٩٧ ،٩٨ ، حديث رقم/٦٣٠٦

{٣٠٢}ـ أخرجه الترمذى والنسائى والإمام أحمدوابن ماجه والبزاروابن حبان وصححه الحاكم وقال صحيح الإسناد.
أنظر : ابن ماجه ، السنن ، المرجع/ ١٤ ، جزء/٢ ، ص ١٢٤٩ حديث/٣٨٠٠

{٣٠٣} ـ أخرجه البخارى وغيره من أهل السنن .
أنظر : بن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، المرجع/ ١١، جزء/١١، ص ٤١٨ ،حديث رقم/٦٥٧٠

{ ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ، وإن زنى وإن سرق ؟ وإن زنى وإن سرق ، وإن زنى وإن سرق } {٣.٤}

{ جددوا إيمانكم . قيل وكيف نجدد إيماننا يارسول الله ؟ قال أكثروا من قول : لا إله إلا الله } {٣.٥}

{ لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد، وهو على كل شيء قديرمن قالهاعشر مرات كان كمن أعتق أربعة من ولد إسماعيل } {٣.٦}

{ أشهدأن لاإله إلاالله ، وأن محمداً رسول الله ما أحد يشهد بها إلا حرمه الله على النار } {٣.٧}

{ وحديث البطاقة التى تثقل بالتسعة والتسعين سجلاً مد البصر هى : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله } {٣.٨}

{ من شهد : أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبدالله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق أدخله الله من أى أبواب الجنة الثمانية شاء } {٣.٩}

{٣.٤} ـ أخرجه الإمام مسلم وبعض أهل السنن .

أنظر : النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/ ١٢ ، جزء/٢ ، ص ٩٤ ، مجلد/١

{٣.٥} ـ أخرجه الإمام أحمد ، والطبرانى فى الكبير ، وصححه البيهقى والمنذرى .

أنظر : النبهانى ، الفتح الكبير ، المرجع/ ٢٥ ، جزء/٢ ، ص ٦٢

{٣.٦} ـ أخرجه الشيخان ، البخارى ومسلم .

أنظر : بن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، المرجع/١١ ، جزء/١١ ، ص ٢.١ ،حديث رقم/٦٤.٤

{٣.٧} ـ أخرجه الشيخان ، متفق عليه .

أنظر : الإمام النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/ ١٢ ، جزء/١ ، مجلد/١ ، ص ٢٤.

{٣.٨} ـ أخرجه ابن ماجه ، والحاكم فى المستدرك ، وابن حبان وصححه .

أنظر : الحاكم ، المستدرك ، المرجع/ ١٨ ، جزء/١ ، ص ٦

{٣.٩} ـ متفق عليه .

أنظر : ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، المرجع/١١، جزء/٦ ، ص ٤٧٤ ، حديث رقم/٣٤٣٥

{ أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ؟ يسبح مائة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة أو تحط عنه ألف خطيئة } {٣١٠}

{ سبحان الله وحده هى أحب الكلام إلى الله(أو)أحب الكلام الذى أصطفاه الله لملائكته } {٣١١}

{ هى التى أمر نوح بها ابنه : فأنها صلاة الخلق ، وتسبيح الخلق وبها يرزق الخلق } {٣١٢}

{ كلمتان خفيفتان على اللسان : ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم } {٣١٣}

{ قال صلى الله عليه وسلم لجويرية وقد خرج من عندها حين صلى الصبح وهى تسبح ثم رجع وهى جالسة بعد أن أضحى قال مازلت على الحال التى فارقتك عليها ؟ قالت نعم . قال لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده . عدد خلقه . ورضاء نفسه . وزنة عرشه . ومداد كلماته ، سبحان الله عدد خلقه . سبحان الله رضا نفسه . سبحان الله زنة عرشه . سبحان الله سداد كلماته } {٣١٤}

{ أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله والحمد لله ، ولاإله إلا الله والله أكبر ، لا يضرك بأيهن بدأت } {٣١٥}

{٣١٠} ـ الإمام مسلم والترمذى والنسائى وابن حبان فى صحيحه .
أنظر : النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/١٢ ، جزء/ ١٧ ، ص ٢٠

{٣١١} ـ الإمام مسلم والترمذى ، وله شواهد بالغة الكثرة .
أنظر : النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/١٢ ، جزء/١٧ ، ص ٤٨ ـ ٤٩

{٣١٢} ـ أخرجه النسائى والحاكم وقال صحيح الإسناد ، والبزار وابن أبى شيبة .
أنظر :الشوكانى ، تحفة الذاكرين ، المرجع/ ٣٠ ، ص ٢٢٧

{٣١٣} ـ البخارى ومسلم والترمذى .
أنظر : ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، المرجع/١١، جزء/١١، ص ٢٠٦، حديث رقم/٦٤٠٦

{٣١٤} ـ الإمام مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه .
أنظر : النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/ ١٢ ، جزء/١٧ ، ص ٤٤

{٣١٥} ـ الإمام مسلم والنسائى وابن ماجه .
أنظر : النووى ، صحيح مسلم ، المرجع/ ١٢ ، جزء/١٤ ، ص ١١٧ ـ ١١٨

{ خذوا جنتكم من النار ، قولوهن (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) فإنهن يأتين يوم القيامة مجنبات ومعقبات ، وهن الباقيات الصالحات } {٣١٦}

{ وهن مع لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنهن الباقيات الصالحات، وهن يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها وهن من كنوز الجنة } {٣١٧}

{ وقال صلى الله عليه وسلم لأبى موسى وغيره ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كنز من كنوز الجنة } {٣١٨}

{ لا حول ولا قوة إلا بالله باب من أبواب الجنة } {٣١٩}

{ من قال : رضيت بالله رباً والإسلام ديناً ، ومحمداً رسولاً ، وجبت له الجنة } {٣٢٠}

(و) ـ الدعاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ الدعاء هو العبادة : ثم تلا قوله تعالى :(وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) } {٣٢٦}

{٣١٦} ـ النسائى والحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم والطبرانى فى الأوسط .
أنظر الحاكم المستدرك ، المرجع/١٨ ، الجزء الأول ، ص ٥٤١

{٣١٧} ـ الطبرانى والنسائى والحاكم والإمام أحمد وابن حبان .
أنظر : مسند الإمام أحمد ، المرجع/ ١٦ ، جزء/٣ ، مجلد/ ٣ ، ص١٥٢
أنظر : الإمام الشوكانى ، تحفة الذاكرين ، المرجع/ ٣٠ ، ص ٢٤٦

{٣١٨} ـ أخرجه الجماعة ، البخارى ومسلم وأهل السنن الأربع .
أنظر : بن حجر العسقلانى،فتح البارى ، المرجع/١١، جزء/١١، ص ٢١٣ـ٢١٤ ، حديث رقم/٦٤٠٩

{٣١٩} ـ الإمام أحمد والطبرانى والترمذى والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى ومسلم .
أنظر : المباركفورى : تحفة الأحوذى ، المرجع/ ١٣ ، جزء/١٠ ، ص ٤١ ، حديث رقم/٥٦٥٢

{٣٢٠} ـ الإمام مسلم والنسائى وورد أيضاً بصيغة .. (وبمحمد نبياً) ويستحب الجمع بينهما .
أنظر : الحاكم ، المستدرك ، المرجع/ ١٨، جزء/١ ، ص ٥١٨

{٣٢١} ـ النسائى والترمذى وابن ماجه وأبو داود ، وابن ماجة ، وابن أبى شيبة .
أنظر : إبن ماجه ، السنن ، المرجع/١٤ ، جزء/٢ ، ص ١٢٥٨ ، حديث رقم/٣٨٢٨

{ لا يرد القضاء إلا الدعاء ولايزيد فى العمر إلا البر } {٣٢٢}

{ ليس شىء أكرم على الله من الدعاء } {٣٢٣}

{ من لم يسأل الله يغضب عليه أو من لم يدع الله غضب عليه } {٣٢٤}

{ لا تعجزوا فى الدعاء فأنه لن يهلك مع الدعاء أحد } {٣٢٥}

{ من سره أن يستجب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء فى الرخاء } {٣٢٦}

{ الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السموات والأرض } {٣٢٧}

{ مامن مسلم ينصب وجهه لله فى مسألة إلا أعطاه إياها : إما أن يعجلها له وإما أن يدخرها له } {٣٢٨}

{٣٢٢} ـ أخرجه الترمذى وابن حبان صححه ، الحاكم وصححه الطبرانى فى الكبير .
أنظر : الحاكم ، المستدرك ، المرجع/ ١٨ ، جزء/١ ، ص ٤٩٣

{٣٢٣} ـ أخرجه الترمذى وابن حبان وصححه ، والإمام أحمد ، والبخارى فى التاريخ ، وابن ماجه والحاكم فى المستدرك وقال صحيح ، وأقره الذهبى .
أنظر : المباركفورى ، تحفة الأحوذى ، مرجع/١٣، جزء/٩ ، ص ٣٠٩ ـ ٣١٠، حديث رقم/٣٤٢٩

{٣٢٤} ـ الترمذى والحاكم وابن أبى شيبه والحاكم فى المستدرك باللفظ الثانى . وصححوه جميعاً .
أنظر : المباركفورى ، تحفه الأحوذى ، المرجع/١٣ ، جزء/٩ ، ص ٣١٣ ، حديث رقم/٣٤٣٣

{٣٢٥} ـ ابن حبان والحاكم فى المستدرك والضياء فى المختاره وصححوه جميعاً .
أنظر : الحاكم ، المستدرك ، المرجع/١٨ ، جزء/١ ، ص ٤٩٤

{٣٢٦} ـ الترمذى والحاكم من حديث أبى هريرة وسلمان رضى الله عنهما .
أنظر : المباركفورى ، تحفة الأحوذى ، المرجع/ ١٣ ، جزء/٩ ، ص ٣٢٤ ، حديث ٣٤٤٢

{٣٢٧} ـ أخرجه الحاكم وأبو يعلى من حديث على ، وجابر رضى الله عنهما .
أنظر الحاكم ، المستدرك ، مرجع/ ١٨ ، جزء/١ ، ص ٤٩٢

{٣٢٨} ـ أخرجه الإمام أحمد ، والحاكم ، وأبوداود ، والترمذى ، وابن ماجه ، وابن حبان .
أنظر : المباركفورى ، تحفه الأحوذى ، مرجع/١٣ ، جزء/١٠ ، ص ٦٨ ، حديث رقم/٣٦٧٧

فهرس المراجع

التفسير :

(١) ــ أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى : **جامع البيان فى تفسير القرآن** .
دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت
١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م
٣/جزء ، ١٢/مجلد .

(٢) ــ إسماعيل بن كثير القرشي : **تفسير القرآن العظيم**
دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة
٤/أجزاء ، ٤ مجلدات .

(٣) ــ محمد الرازى فخر الدين : **التفسير الكبير**
دار الفكر ، بيروت .
١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨ م
٨/أجزاء ، ٨/مجلدات .

(٤) ــ محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى: **الجامع لأحكام القرآن**
دار الشعب ـ القاهرة .
٨/جزء ، ٨/ مجلد.

(٥) ــ جلال الدين السيوطى : **الدر المنثور فى التفسير المأثور**
دار الفكر ـ بيروت .
١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م
٨/أجزاء ، ٨/مجلدات .

(٦) ــ محمد بن على بن محمد الشوكانى : **فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير** .
دار الفكر ـ بيروت .
٥/أجزاء ، ٥/مجلدات .

(٧)ـ شهاب الدين السيد محمود الألوسى : **روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى**
١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م
١٠/أجزاء ، ١٠/مجلدات

(٨)ـ سيد قطب : **فى ظلال القرآن**
دارالشروق ـ بيروت
١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م
٣٠/جزء ، ٦/مجلدات .

(٩)ـ سيد قطب : **التصوير الفنى فى القرآن** .

(١٠)ـ ....

الحديث :

(١١)ـ أحمد بن على بن حجر العسقلاني: **فتح البارى بشرح صحيح البخارى**
المكتبة السلفية ـ القاهرة
١٤/مجلد .
تحقيق/محمد فؤاد عبدالباقى ،
محب الدين الخطيب .

(١٢)ـ يحيى بن شرف الدين النووى : **شرح صحيح مسلم**
المطبعة المصرية ومكتبتها ـ القاهرة
١٨/جزء ، ٦/مجلدات .

(١٣)ـ المباركفورى، محمدبن عبدالرحمن : **تحفة الأحوذى شرح صحيح الترمذى**
محمد عبد المحسن الكتبى .
المكتبة السلفية بالمدينة المنورة/ الحجاز
١٠/أجزاء ، ١١/مجلد
١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٧ م .

(١٤)ـ ابن ماجه القزوينى : **السـنـن**
تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبدالباقى
دارالفكر بيروت ـ لبنان
٤/أجزاء ، مجلدين .

(١٥)ـ النسائى ، أحمدبن على بن بحر : **السنن الكبرى**
بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى
وحاشية الإمام السندى .
دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان
٨/أجزاء ، ٤/مجلدات .

(١٦)ـ أحمد بن محمد بن حنبل : **المسند**
المكتب الإسلامى/بيروت
الطبعة الخامسة .
١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م
٦ / جزء ، ٦ / مجلد

(١٧)ـ أحمد بن محمد بن حنبل : **الزهد**
دار الكتب العلمية ـ بيروت
١٩٨٣ م

(١٨)ـ الحاكم النيسابورى : **المستدرك على الصحيحين فى الحديث .**
مكتبة ومطابع النصر الحديثة ـ الرياض
٤/أجزاء ، ٤/مجلدات .

(١٩)ـ (تابع) شمس الدين محمد بن ا لذهبى : **تلخيص المستدرك**
(بنفس المجلدات السابق ذكرها)

(٢٠)ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلام : **الأحاديث القدسية**
الجزء الأول والثانى .
مطابع الأهرام التجارية ـ القاهرة
١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .

(٢١)ـ يحيى بن شرف الدين النووى : **الأربعين النووية من الأحاديث الصحيحة النبوية .**
مطبعة الحلبى ـ القاهرة .
١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م

(٢٢)ـ يحيى بن شرف الدين النووى : **رياض الصالحين .**

(٢٣)ـ يحيى بن شرف الدين النووى : **الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار .**
مكتبة المتنبى ـ القاهرة .

(٢٤) ـ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى: **الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير** .
دار الكتب العلمية ـ بيروت
٢/جزء ، مجلد واحد

(٢٥) ـ يوسف بن إسماعيل النبهانى : **الفتح الكبير فى ضم الزيادة إلى الجامع الصغير** .
دار الكتاب العربى ـ بيروت
٣/أجزاء ، ٣/مجلدات .

(٢٦) ـ زكى الدين عبدالعظيم بن عبدالقوى المنذرى : **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف** .
مكتبة الجمهورية العربية ـ القاهرة
١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م
٤/أجزاء ، ٤/مجلدات
تعليق محمد خليل هراس .

(٢٧) ـ عبدالرحمن بن على :إبن الديبع الشيبانى :**تيسير الوصول إلى جامع الأصول من أحاديث الرسول**
المكتبة التجارية الكبرى ، والمطبعة السلفية
٤/مجلدات ١٣٤٦ هـ .

(٢٨) ـ علاء الدين على المتقى بن حسام الدين الهندى : **كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال** .
مؤسسة الرسالة ـ بيروت
١٩٧٩ م ، ١٦/مجلد .

(٢٩) ـ أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحرانى : **الكلم الطيب** .
دارعمربن الخطاب ـالإسكندرية

(٣٠) ـ محمد بن على الشوكانى : **تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين**
دار الكتب العلمية ، القاهرة
جزء واحد ، مجلد واحد .

(٣١) ـ أحمد بن حجر الهيثمى : **فتح المبين بشرح الأربعين**
دار مكتبة الهلال ـ بيروت
١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

(٣٢)ـ محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوى :فيض القدير شرح الجامع
شرح الجامع الصغير
دار المعرفة ـ بيروت .
١٣٩١ هـ ـ ١٩٧٢ م
٦/أجزاء ، ٦/مجلدات .

(٣٣)ـ عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلى : جامع العلوم والحكم فى
شرح خمسين حديثاً .
دار الريان ـ القاهرة .
١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م .

(٣٤)ـ د. محمد عبدالله دراز : المختار من كنوزالسنة:
شرح أربعين حديثاً .
دار الأنصار ـالقاهرة .
١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

(٣٥)ـ ....
(٣٦)ـ ....
(٣٧)ـ ....

(٣٨)ـ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد
مكتبة القدس ـ القاهرة
١٠/أجزاء ، ٥/مجلدات .

(٣٩)ـ محمد بن على الشوكانـى : الفوائد المجموعة فى
الأحاديث الموضوعة .
مطبعة السنة المحمدية ـ بالقاهرة
الطبعة الأولى .
١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م .

(٤٠)ـ جلال الدين بن أبى بكر السيوطى : اللآلىء المصنوعة فى
الأحاديث الموضوعة .
دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .
الطبعة الثالثة .
١٤٠١ هـ ١٩٨١ م ، ٢/ جزء ، مجلد

ثالثا : دراسات مختلفة (متفرقات) :

(٤١)ــ محمد بن أبى بكربن قيم الجوزية : **الوابل الصيب من الكلم الطيب** .
المطبعةالسلفيةومكتبتها القاهرة
١٣٩٦ هـ .

(٤٢)ــ محمد بن أبى بكربن قيم الجوزية : **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** .
المطبعة السلفية ــ القاهرة .
٣ أجزاء ، ٣ مجلدات .

(٤٣)ــ محمد بن أبى بكربن قيم الجوزية : **طريق الهجرتين وباب السعادتين** .
دار الكتاب العربى ــ بيروت لبنان .
مجلد واحد .

(٤٤)ــ محمد بن أبى بكربن قيم الجوزية : **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**
مكتبة السنة المحمدية .
تحقيق محمد حامد الفقى .
٢ جزء ، مجلد واحد .
١٣٥٨ هـ ، ١٩٣٩ م .

(٤٥)ــ أحمد عبدالحليم بن تيميه الحران : **الفتاوى الكبرى**
دار ا لمعرفة للطباعة و النشر ـ بيروت .
٥/أجزاء ، ٥/مجلدات .

(٤٦)ــ أحمد عبدالحليم بن تيميه الحرانى : **الإيمان**
دارعمربن الخطاب ـ الإسكندرية

(٤٧)ــ أحمد عبدالحليم بن تيمية الحرانى : **العبودية** .

(٤٨)ـ أبى حامد محمد بن محمد الغزالى : **إحياء علوم الدين**
دار المعرفة ـ بيروت .
٥/ مجلدات ٤ أجزاء .

(٤٩)ـ جلال الدين بن أبى بكر بن محمد السيوطى : **حقيقة السنة والبدعة**
دار الإنسان ـ القاهرة .
١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

(٥٠)ـ جلال الدين بن أبى بكر بن محمد السيوطى : **الحاوى للفتاوى**
دار الكتب العلمية ـ بيروت .
١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م
٢/جزء ، ٢/ مجلد .

(٥١)ـ جلال الدين بن محمد السيوطى : **الإتقان فى علوم القرآن**
مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبى ـ مصر
١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م
٢ جزء ، ١/ مجلد .

(٥٢)ـ أحمدبن عبدالرحيم شاه ولى الله الدهلوى : **حجة الله البالغة**
دار التراث ـ القاهرة .
١٣٥٥ هـ
٢/جزء ، مجلد واحد .

(٥٣)ـ موسى محمد علـى : **حقيقة التوسل والوسيلة على ضوء الكتاب والسنة** .
دار التراث العربى ـ القاهرة .
١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .

(٥٤)ـ محمد بن على الشوكانى : **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار** .
الباب الحلبى ـ القاهرة .
١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١ م
الطبعة الثالثة .
٨/أجزاء ، ٤/مجلدات .

(٥٥)ـ أبى إسحاق الشاطبى : **الموافقات**
دار المعرفة ـ بيروت .
٤/أجزاء ،٤/مجلدات .

(٥٦)ـ أبى إسحاق الشاطبى : الإعتصام
المكتبةالتجارية الكبرى ـ مصر
٢/جزء ، مجلد واحد .

(٥٧)ـ محمد سلام مدكور : **أصول الفقه الإسلامى**
دار النهضة العربية القاهرة .
١٩٦٣ م

(٥٨)ـ إبراهيم حلمى القادرى : **مدارج الحقيقة** .
مدينة النشروالطباعة/ الإسكندرية
١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٣ م

(٥٩)ـ أبى حامد محمد بن محمد الغزالى: سكرات الموت

(٦٠)ـ محمد بن يوسف الصالحى : **سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد** .
مجمع البحوث الإسلامية
١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م .

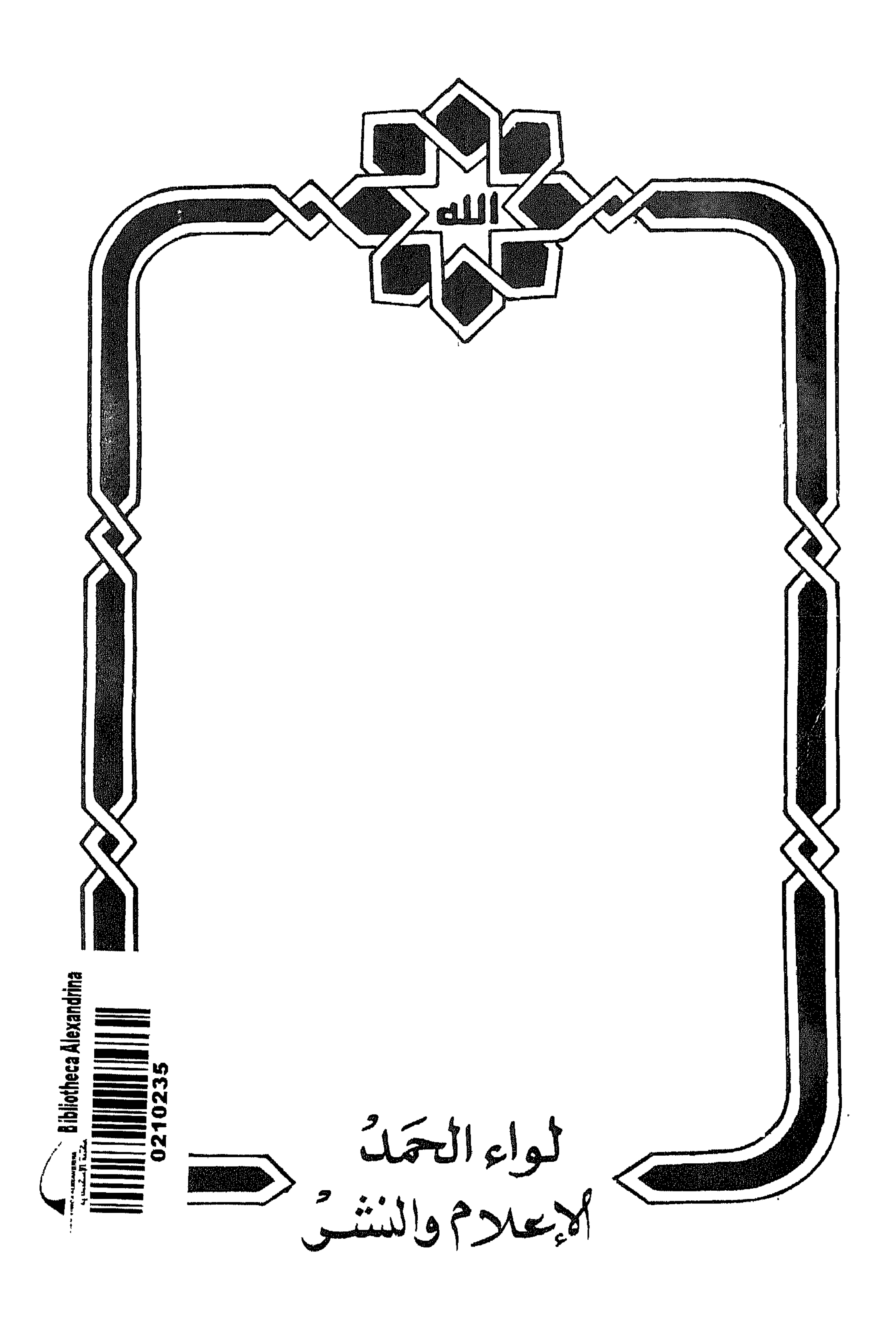
(٦١) ـ إبن منظور : **لسان العرب** .
دار المعارف ـ القاهرة .
٦/ أجزاء ـ ٦/مجلدات .

دار الهدى للمطبوعات

شارع ١٠٠٨ خلف ش جمال عبد الناصر

ميامى ـ ارض المعلمين

امام مؤسسة عبد الرازق



لواء الحمد
للإعلام والنشر